يوئيل رفيل

الصهيونية..
النظرية والتطبيق

ترجمة

نور البواطلة



الصهيونية ....
النظرية والتطبيق

رقم التصنيف:	٣٢٠ ، ٥٤
المؤلف ومن هو في حكمه:	يو آل رفائيل
	ترجمة : نور البواطلة
عنوان الكتاب:	الصهيونية ... النظرية والتطبيق
الموضوع الرئيسي:	١- العلوم الاجتماعية
	٢ – الصهيونية
بيانات النشر:	عمان: دار الجليل

- تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل: ١٩٩٩/٨/١٠٢٩

رقم الإيداع لدى
دائرة المكتبة الوطنية
١٩٩٩/٨ / ١٤٥١

الطبعة الأولى
٢٠٠٠

دار الجليل للنشر
والدراسات و الأبحاث الفلسطينية – عمان
هاتف: ٥١٥٧٦٢٧ – ٥١٥٥٦٢٧
فاكس: ٥١٥٣٦٦٨
ص. ب: ٨٩٧٢ – رمز بريدي ١١١٢١
E-MAIL: Darhalil@go.com.jo
Site- http:/www.darjalil.com.jo

الصهيونية .....
النظرية والتطبيق

تأليف: يوآل رفائيل
ترجمة: نور البواطلة





الفهرس

تقديم:

في الحديث عن الصهيونية، يستدرج التاريخ قصة اليهود الذين تفرقوا في شتى أقطار الأرض، وظهر من بين ظهرانيهم من يحاول جمع شتاتهم، في دولة، ليس مهما أين، ولكن الأهم كيف؟ ذلك أن هؤلاء شكلوا عبئا ثقيلا على مساقط رؤوسهم، في مجالات الدس والوقيعة، والابتزاز، وتوظيف المال في خدمة شخوصهم.

وعلى الرغم من أن الدعوة الصهيونية، اصطدمت بالسخرية والاستهزاء، بداية الأمر، إلا أن الداعية الأول، ثيودرو هرتسل، لم ييأس، إلى أن تحقق له الأمر عام ١٨٩٢ في بازل، حيث بدأ الإعداد للدولة العبرية.

والحركة الصهيونية تقوم أساسا، على مفهوم الدولة الخاصة بالشعب اليهودي، الذي يراوده حلم التفرد بالقوة المميزة، بدل الذوبان في المجتمعات التي يعيش فيها، ومن هنا، اختلطت الأهداف القومية التي يحملها قلة من اليهود، بالتطلع إلى حياة الرخاء، وهو الأمر الذي لا يلوح في الأفق البعيد.

ثمة من عارض، فيما أيد آخرون ساروا على طريق هرتسل، الذي حلق بداية في خيال بدا صعب المنال، وحينما تتالت الإنجازات، اقترب الحلم من الحقيقة.

وحين تقرر تجسيد الدولة على أرض فلسطين، التي يسمونها "أرض إسرائيل"، تجددت الانقسامات في الآراء، فالمهاجرون الأوائل، لم يجدوا في الأرض الموعودة سمنا وعسلا، كما كانوا يوعدون، وكأنهم أرادوا أن يجدوا كل شيء جاهزا وبرسم التسليم، على أن المؤرخين اليهود، أكثروا من التركيز على قضية الأرض القفراء القاحلة، التي تؤوي قلة من الناس، فجاء اليهود ليعمروا الأرض ويحولوها إلى جنات غناء، وهذا طرح دعائي هدفه التأكيد على "أرض بلا شعب".

لا علينا، فقد ثبت مع الأيام، أن الصهيونية حركة عنصرية، تعتمد شعار "شعب اللـه المختار"، و "الجنس اليهودي المتميز" وإذا كانت قد استطاعت فرض إرادتها على الساحة الدولية، وخاصة في الدول المتنفذة، فإن ذلك ينبع من دوافع سياسية، لا تتصل بحال من الأحوال، بالعشق الدولي- اليهودي، فثمة أصوات ربما كانت هامسة في دوائر سياسية مهمة عالميا، تؤكد الخطر الذي تحمله الصهيونية وأبناؤها، كنذير شؤم للعالم، بيد أن الدعاية الصهيونية تظل الأقوى.

ونحن ننشر هذا الكتاب ليست أسطورة...الصهيونية...النظرية والتطبيق، تتدافع إلى الذهن تساؤلات عديدة:

*كيف استطاع الكاتب الساخر ثيودور هرتسل استقطاب يهود العالم المترامي الأطراف؟

*وكيف تحول إلى الجدية السياسية، ليجسدها عمليا في الفكرة الصهيونية.

*وكيف تمكن وأتباعه القلائل، من نقل يهود العالم من حالة الرفاه والدعة، إلى الكد والعمل؟

*ومائة كيف، ومتى؟ وأين نستطيع أن نصدر بها تساؤلات لا تحصى أدت إلى قيام الدولة الإسرائيلية، بيد أن التساؤل الذي سيظل يداعب كل الأحاسيس هو: أين كان العرب والمسلمون؟ لا نحسب أننا مضطرون للإجابة!!

ندرك أن حيثيات هذا الكتاب لا تعدو كونها دعاية "لفتاكة" الحركة الصهيونية، تحمل كثيرا من التشويهات وقلب الحقائق، بيد أننا أكثر إدراكا، بأنها تحمل موعظة لمن يتدبر، وإذا كان الاستعمار قد قرر، فإننا سارعنا إلى الاستجابة والخنوع، وهنا يكمن الفرق بين النضال العربي الواهن، وبين التصميم اليهودي الذي حارب الاستعمار والعرب في آن معا، ليحقق حلم هرتسل، فيما ظل نضالنا مجرد قبض ريح.

دار الجليل

مدخل:

كان عام ١٨٨٢، معلم طريق في تاريخ (أرض-إسرائيل) الجديدة، حيث بدأت الهجرة التي يمكن تسميتها "بالهجرة الصهيونية"، والتي وضعت أمامها هدفا يتمثل في إحياء الاستقلال اليهودي، وإقامة دولة سيادية للشعب اليهودي.

وقد جاء في الإعلان الكبير الذي نشره أعضاء الهجرة اليهودية الثانية من روسيا، في نيسان عام ١٨٨٢ "سينتهي شتاتنا القاسي، وبعد تشردنا آلاف السنين، ستجد نفوسنا التعبة المنهكة، الراحة في أرض آبائنا... (أرض-إسرائيل) فهيا لنرفع علم معسكر يهودا".

سميت هجرة مئات اليهود الذين غادروا المهجر، وتوجهوا إلى (أرض-إسرائيل)، بالهجرة الأولى، غير أن هذا الاسم غير دقيق، ففي عام ١٧٠٠ وصلت إلى (أرض-إسرائيل) مجموعة كبيرة من المهاجرين، وعلى رأسها (يهودا هحسيا)، وكانت أكبر جماعات الهجرة حتى العصر الحديث.

ويرى بعض الباحثين، في هذه الهجرة التي شارك فيها المئات، بداية العهد الجديد في تاريخ إسرائيل، لا سيما وأنها استقت جذورها من دوافع مسيحية، فقد أراد المهاجرون بهجرتهم،تقريب موعد الخلاص بالتوبة وأداء الفرائض من صلاة وصيام وكبح للشهوات.

ويمكن القول أن الانتقال من هجرة ذات طابع مسيحي إلى هجرة تتطلع إلى بناء الأرض والاستقرار فيها، قد تجسد بهجرة الورعين أيام (ابرهام غرشون ميكيطوف)

عام ١٧٤٧، لا سيما هجرة أكبر الجماعات، التي شملت حوالي ثلاثمائة مهاجر، وصلوا إلى أرض إسرائيل عام ١٧٧٧. ولقد أعقبت هذه الهجرة، هجرة "المتدينين الأتقياء"، تلامذة الحاخام الأعظم "مفيلنا"، الذين أطلق عليهم اسم "المعارضين". وقد وصلت أولى قوافلهم عام ١٨٠٨، وتوالت بعد ذلك وفود المهاجرين، بين عامي ١٨١٠-١٨١٢.

لقد شكلت هجرة تلك المجموعات نواة "الاستيطان القديم"، الذي انضم إليه فيما بعد "الغربيون"، مهاجرو شمال إفريقيا والمغرب، الذين تدفقوا على إسرائيل بأعداد كبيرة منذ عام ١٨٣٠.

كان الهدف المعلن للمهاجرين الجدد الذين وصلوا عام ١٨٨٢ الاستيطان في أرض إسرائيل بغية إقامة استيطان مستقل على غرار ما كان في السابق . أما هجرة يهود اليمن والذين جاءوا من الجنوب ومهاجري روسيا ورومانيا، الذين جاؤوا من الشمال فقد كانت هجرة استيطانية تلتها هجرات أخرى من الشرق والبحر.

بلغ عدد اليهود الذين عاشوا في (أرض-إسرائيل) عام ١٨٨٢، ثلاثين ألفا تقريبا، وازداد عام ١٩١٤، عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، ليصل إلى خمسة وثمانين ألفا تقريبا. ورغم ضآلة الهجرة، كانت إنجازات الهجرتين الأولى والثانية في الفترة، ما بين ١٨٨٢-١٩١٤، بمثابة حجر الأساس الذي قامت عليه الركائز الأساسية للدولة اليهودية. وقد انتعشت آنذاك اللغة العبرية، وأصبحت لغة الشارع، كما بدأت قوة الدفاع العبرية بالتبلور، وبرزت أنماط حياتية تمثلت بـ "الموشاف" و "الكيبوتس".

حدث التحول الفكري عام ١٨٩٦، وفي مذكراته، يتحدث دافيد بن غوريون، عن اليوم الذي علم فيه أبناء بلدته "بلونسك"نبأ نشر كتاب "دولة اليهود" (لثيودور

هرتسل)، فيقول : "لقد طرنا فرحا لدى سماعنا النبأ، فقد علمنا فجأة بقدوم المسيح: "إنه رجل حسن المظهر، متوقد العينين، ذو لحية سوداء- (ثيودور هرتسل)، سيقود شعب إسرائيل، إلى أرض الآباء".

وبعد مرور سنوات عديدة، قال بن غوريون، في اجتماع خاص، عقد عام ١٩٤٧بمناسبة مرور (٥٠) عاما على المؤتمر الصهيوني الأول: "لقد أعيدت في هذا المؤتمر نشأة الشعب اليهودي، الذي يدرك حقيقة كونه شعبا، ويعلن رغبته في أن يكون كبقية الشعوب، مستقلا في وطنه".

لم تتجاوز الفترة الفاصلة بين نشر كتاب "دولة اليهود"، وعقد المؤتمر الصهيوني في بازل، بسويسرا، عاما ونصف العام، كانت حافلة بالعمل المضني غير العادي، إلى أن أعلن الزعيم الصهيوني هرتسل مقولته: "في بازل أسست دولة اليهود".

الصهيونية (الكلمة والمصطلح):

للوهلة الأولى، تبدو كلمة "صهيونية" مشتقة من كلمة "صهيون"، لكنها في حقيقة الأمر، ليست كلمة عبرية، وإنما هي مترجمة عن الألمانية.

وقد استخدم الدكتور (نتان بيرنبويم) المصطلح، للمرة الأولى، في الصحيفة الوطنية الصهيونية الأولى في ألمانيا.

لم يكن من السهل "أقلمة" الكلمة مع العبرية، وهناك أمثلة كثيرة تثبت مدى صعوبة استيعاب هذه الكلمة في اللغة العبرية، لا سيما، عبرية أواخر القرن الماضي، التي كانت جذرية ومتعددة المصادر من كافة شرائح المجتمع، بيد أن الأهم من ذلك، هو تطور المعنى على صعيد اللغتين الألمانية والعبرية، ففي البداية أطلقت كلمة "صهيونية" على الحركة الوطنية، أو حركة (محبة صهيون)، ثم بدأت الصهيونية تظهر شيئا فشيئا كحركة سياسية اتسمت بالضبابية بداية. وقد حدث التحول مع

ظهور هرتسل، وعلى الأخص مع عقد المؤتمر الصهيوني الأول، الذي كان يهدف إلى إبراز حركة "محبة صهيون" على الساحة السياسية، غير أن الفكرة لم تحظ برضى الكثير من نشطاء الحركة، الذين أعلنوا رغبتهم في مواصلة العمل في إطار مشاريع استيطانية، دون هدف سياسي، على المديين القريب والبعيد، وقد رأى هرتسل أن الفرصة لاحت أمامه للتمييز بين حركته وحركة "محبة صهيون"، من خلال إدخال معنى جديد لمصطلح "الصهيونية"، والقول بأنها حركة سياسية تتطلع إلى "خلق مأوى آمن من خلال حكم معلن لشعب إسرائيل في (أرض-إسرائيل).

ومنذ ذلك الحين، ونحن نفرق بين حركة "محبة صهيون"، والصهيونية السياسية. ومع مرور الأيام، أدخلت إضافات جديدة مثل "الصهيونية المركبة" التي وضعها وايزمان، "الصهيونية التطبيقية"، وغيرها.

وقد وصف هرتسل الصهيونية فقال: "الصهيونية ليست حزبا، إذ يمكن الوصول إليها من جميع الأحزاب، لأنها شاملة لجميع الأحزاب في حياة الشعب، الصهيونية هي الشعب اليهودي، الآخذ في التبلور".

"المؤلف"

الفصل الأول

للبداية..التعثر والتصميم

في أحد أيام شباط من عام ١٨٩٦، وصل (يعقوب هرتسل)، إلى منزل نجله، الدكتور (ثيودور هرتسل)، وأخبره أن كتابه "دولة اليهود"، الذي يحاول فيه إيجاد حل "عصري" للمشكلة اليهودية القائمة، قد عرض في الأسواق.

غير أن هذا الكتاب، الذي يرى البعض في صدوره، نقطة تحول في تاريخ الشعب اليهودي، قوبل آنذاك ببرود شديد، وقد وصفه الأديب (ستيفان تسفيغ) بأنه محض هراء وطرح أحمق.

كان رفض كبار المؤلفين والأدباء لهذا الكتاب، بمثابة ضربة قوية لهرتسل الذي عرف كصحفي وكاتب ساخر، وقد تلقى من الإهانات ما كان كفيلا بإثنائه عن إتمام المسيرة، وخير ما نستشهد به هنا، قصيدة الشاعر الوطني، (حاييم نحمان بياليك)، التي كتبها بعيد نشر كتاب "دولة اليهود"، يصف فيها رد فعل المثقفين اليهود في غرب أوروبا، الذين سخروا من صدور الكتاب:-

كلهم خارقون!!

أي فعل سيقومون به لن يكون عجيبا!

بإصبع صغير صنعوا دولة...

بإبهام اليد أقاموا عالما كاملا!

كل شيء أصبح الآن جاهزا في فينا

في نهاية لحظتين وخمس دقائق

سيكون، لحسن الحظ، لدينا دولة.

لم يكن هذا رأي (بياليك) وحده، فقد كتب الزعيم (ناحوم سوكولوف)، مقالة في صحيفة (هتشفيرا-البوق)، يسخر فيها من (هرتسل) الذي يتحدث عن دولة يهودية من نسج الخيال، غير أن هذه الآراء، تغيرت فيما بعد، وبات أغلب المعارضين، مؤيدين في غضون عام تقريبا.

وخلافا لموقف المثقفين اليهود الذين رفضوا فكرة الكتاب، استوعب الستة ملايين يهودي، الذين عاشوا في شرق أوروبا، دعوة (هرتسل) القائلة "أن الشعب، شعب واحد".

دولة اليهود:

كان "ثيودور هرتسل"، الممثل البارز للأفكار الداعية إلى ذوبان اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وكان سعيه إلى إيجاد حل لمشكلة اللاسامية مسيرة متواصلة، شكلت فيها قضية الضابط اليهودي (الفرد درايفوس)، نقطة تحول مهمة، فقد كان الملازم (درايفوس)، ضابطا في الجيش الفرنسي، وقد اتهم في أواخر عام ١٨٩٤ بخيانة فرنسا، فحوكم وعوقب، ثم أعيدت محاكمته وبرئت ساحته عام ١٩٠٦. وقد أثارت القضية برمتها أصداء عميقة في معظم دول غرب أوروبا، لا سيما بعد أن اتضح أن إدانته لم تستند إلى أدلة حقيقية، وأن كل المزاعم ضده، كانت محض تخرصات، اشتقت جذورها من دوافع لا سامية.

ولا شك في أن هذه القضية، شكلت أحد العناصر التي أيقظت النزعة الصهيونية، داخل (هرتسل).

لم يكن لدى (هرتسل) موارد مالية، أو قوة سياسية، يعتمد عليها لتحقيق ما يجول في خاطره، وكان يدرك أن النقاشات الأيدولوجية، أو نشر المقالات في الصحف

اليهودية محدودة الانتشار، لن يحدث أي تغيير في وضع يهود أوروبا، لذا كان بحاجة ماسة إلى خطوة تسهم في تحريك المجتمع الأوروبي، وإحداث تغير جوهري في وضع الشعب اليهودي، الذي سيهجر أرض الشتات، ويعود إلى أرضه، وقد أقضّت الفكرة مضجعه، في حقيقة الأمر، واستحوذت على جل اهتمامه، فعكف على وضع كتابه (دولة اليهود)، وواصل الليل بالنهار لإنجاز هذا الهدف. وفي غضون خمسة أيام من ١٣ وحتى ١٧ حزيران ١٨٩٥، تمكن هرتسل من كتابة المسودة الأولى، ذات الصفحات الخمس لهذا الكتاب، الذي كان بمثابة خطاب وجهه إلى عائلة روتشيلد.

ولقد وصف البروفيسور (أفنيري) كتاب هرتسل بالقول: "إنه أشبه ما يكون بمذكرة قضائية دقيقة ومضبوطة، ورغم قلة صفحاتها، تشتمل على الكثير مما يجب أن يقال". ومن الواضح أن (هرتسل)، كان يدرك أنه لا يستطيع تصديع رأس عائلة (روتشيلد)، بقضايا معقدة.

وانطلاقا من قناعته، بأن كتابه يضمن أسسا يمكن أن تحدث (ثورة) في حياة الشعب اليهودي، كتب يقول: "لقد خشيت على نفسي، في بعض الأحيان من الجنون،

الأفكار التي سكنتني، كانت أشبه بعاصفة هوجاء أرّقتني، ورغم أن حياة الإنسان لا تكفي لتحقيق كل شيء، بيد أنني سأترك هنا إرثا روحيا لكل شخص".

بدا واضحا، أن نشر الكتاب بالنسبة لهرتسل، كان بمثابة وصية سياسية، واستكمال كتابته، كان بمثابة الانتهاء من مهمة ألقيت على عاتقه.

كان هرتسل يدرك إمكانية أن يرى الكثير من القراء في كتابه مجرد "تسلية ثقافية"، ليس إلا، أو فكرة عقيمة، لا أمل في تحقيقها على أرض الواقع.

ولقد حرص هرتسل على ألا يرى القراء في كتابه صورة المدينة الفاضلة التي تحدث عنها الفيلسوف المعروف أفلاطون، ووضع فيها أسس دولة نموذجية مثلما

يراها، لا ينتابها الشر من أي جهة، بهذا كتب في مقدمة الكتاب يقول: "ينبغي أن أحمي خطتي، لئلا ينظروا إليها على أنها رسم لمدينة فاضلة، فهي ليست دولة مثالية نموذجية... ويخيل إلي أن وضع اليهود في مختلف الأماكن، سيئ للغاية، الأمر الذي لا يجعل لأي مقدمات أخرى أي ضرورة".

ويؤكد هرتسل، أن إيجاد حل قومي-سياسي، للمسألة اليهودية، هو هدف تاريخي، تحقيقه منوط باليهود أنفسهم فقط، ويقول: "اليهود الذين يتطلعون إلى إقامة دولتهم، سيحظون بها وسيكونون جديرين بها".

وفي النص الأصلي لكتابه كتب يقول: "بمقدوري حل المسألة اليهودية، أعرف أن الأمر يبدو أشبه بضرب من الجنون، وأدرك أنهم سيتهمونني، بادئ الأمر، بالجنون ولأكثر من مرة، إلى أن تثبت للجميع، حقيقة كل ما أقول".

كان ظن هرتسل في مكانه، فردة الفعل التي توقعها، بل وخشي منها، لم تتأخر لكن، رغم كل ذلك حدث التغير المطلوب، وأصبحت المسألة اليهودية قضية سياسية قائمة في حد ذاتها.

وقد أكد هرتسل، أن حل المسألة اليهودية، ينبغي أن يكون جزءا من السياسة الدولية، وبعد نقاش قصير لتحديد المكان الذي ستقام فيه الدولة اليهودية، تقرر إقامتها على (أرض-إسرائيل)، وليس في الأرجنتين-كما كان مقترحا.

كانت خطة هرتسل، كما وصفها "بسيطة المبدأ، معقدة التنفيذ"، وتستلزم وجود عنصرين مهمين أولهما: "الهيئة اليهودية"، التي ستعمل كهيئة سياسية، تكون مسؤولة عن المسائل الوطنية، وعلى وجه الخصوص، المفاوضات السياسية، وثانيهما: "شركة يهودية"، تعمل كمؤسسة إدارية وظيفية، تدير شؤون الهجرة

اليهودية، تتولى مهمة تصفية أملاك اليهود في الشتات، وتأسيس مجتمع يهودي، في الأرض الجديدة.

كان على "الهيئة اليهودية"، أن تتفاوض مع حكومات يتوقع أن توافق على منح اليهود "سيادة على أرض محايدة"، وتتولى عندئذ إدارة شؤونها كحكومة مؤقتة، في حين كان على الشركة اليهودية، لعب دور شركة "تشارتر" التي ستتم إقامتها في لندن، وفقا للقوانين البريطانية، برأسمال يصل إلى ٥٠ مليون جنيه إسترليني، وستستخدم كمصدر مالي لتنفيذ المهام الملقاة على عاتق الشركة.

شكل الدولة:

كانت النقطة الوحيدة التي أجمع عليها مؤيدو ومعارضو كتاب هرتسل، أنه نجح في إدراج المسألة اليهودية على جدول الأعمال الدولي، وكان أول زعيم يصوغ أفكارا صهيونية، ويضعها في قالب صحفي، بل ويبدأ في إخراجها إلى حيز التنفيذ، وقد قام بتشكيل حركة استمد منها القوة اللازمة لدفع النشاطات السياسية الرامية إلى إنشاء الدولة التي طالما داعبت خياله، وحلم بها.

وقد وصف هرتسل، بالتفصيل شكل "الدولة اليهودية"، التي توقع أن تقوم عام ١٩٢٣، في رواية (التنويلند)، التي صدرت عام ١٩٠٢، حيث تحدث فيها عن دولة نموذجية من الناحية الاجتماعية، التكنولوجية، والزراعية.

ويجدر بنا التنويه إلى أن معنى كلمة "التنويلند"، في العبرية، الأرض القديمة الجديدة.

وفي وصفه لدولته، تناول هرتسل النواحي الأدبية، الاجتماعية،التجارية، العسكرية وجميع شؤون الحياة اليومية، وقد فضل أن يكون شكل الحكم ملكيا

ديمقراطيا أو جمهوريا أروستقراطيا، فالشعوب باعتقاده، غير مهيأة للديمقراطية المطلقة ويرى أن اليهود ليسوا أفضل من بقية شعوب العالم.

أما الأرض التي ستقام عليها الدولة اليهودية مستقبلا، فقد قرر هرتسل، أن تكون ملكا قوميا، يتم تأجيرها للمهاجرين والمستوطنين، وقد طور هذه الفكرة في كتابه (التنويلند)، إذ اقترح أن تتم إعادة الأرض، كل خمسين عاما إلى الملكية القومية، وهذا يعني، أن الأرض لن تكون تحت ملكية خاصة إلى الأبد.

ولقد شغلت قضية الاستيطان فكر هرتسل، الذي كان يدرك مدى أهميتها في حياة كل دولة، ففكر في إقامة مشاريع إسكانية عمالية عامة، وتطوير شبكة خدمات، تمنح الدولة طابع الرفاهية والرخاء، لذلك أراد فرض قيود مشددة على عمل النساء، وتوقع أن يتم إنشاء مدارس فخمة في منازل مضاءة وصحية، تتبع فيها أحدث أساليب التعليم.

كانت قمة أحلام (هرتسل) على الصعيد الاجتماعي، تحديد سبع ساعات للعمل يوميا، وقد اعتمد في ذلك على تجربة عدد من الدول الأوروبية، ورأى أن الأمر في غاية الأهمية، خاصة وأن علم (الدولة اليهودية) يضم سبعة نجوم، ترمز إلى سبع ساعات من العمل.

بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان هرتسل مؤمنا بالاشتراكية؟ لقد تضاربت الآراء بهذا الشأن، ففي كتابه (التنويلند)، وصف هرتسل التركيبة الاجتماعية (للدولة اليهودية)، بناء على أسس التعاون المشترك، والتكافل، وقد رأى فيه (بارك كتسنلسون)، شخصية ذات تطلعات ورؤى اجتماعية بعيدة المدى، في حين قال (ناحوم سوكولوب)، الذي كان على معرفة جيدة به "لقد كان برجوازيا".

في وصفه شكل (الدولة اليهودية)، يتناول هرتسل مسألة (الدين والدولة)، وضرورة الفصل بينهما، وتحقيقا لتطلعاته التي تتعارض مع أي صورة للثيوقراطية-أي الحكم الديني في الدولة، يدعو إلى تبجيل الحاخامات، ومنحهم أكبر قدر من الاحترام والتقدير، مع عدم السماح لهم في المقابل بالتدخل في إدارة أي من شؤون الدولة، لتنحصر مهامهم داخل الكنس فقط، تماما مثلما يتمركز الجيش في ثكناته ولقد رسم في مخيلته صورة لجيش صغير نسبيا قوامه ١٠% من الشعب.

كانت هجرة اليهود من المنفى إلى (أرض-إسرائيل)، إحدى مشاكل تأسيس الوجود اليهودي، كان هرتسل يدرك طبيعة المشاكل النفسية والعقبات الاقتصادية التي سترافق المهاجرين في إطار تلك الهجرة، وقد وضع وصفا دقيقا لكل ذلك حسب ما جال في مخيلته، فكتب يقول: "لن تتم تلك المسيرة (باجتثاث) اليهود عنوة من أرض منشئهم، بل سنقتلعهم بحذر مع جذورهم، ونعيد زرعهم مجددا، في أرض أفضل،ولقد بلغت دقة هرتسل، حد الخوض في أدق التفاصيل، فتساءل: كيف سيتم نقلهم، وكيف سيتم ترتيب الجماعات المهاجرة؟ كيف سيهتمون بالمسنين؟ كيف سيختارون الأماكن المناسبة لإنشاء المدن؟ وما الذي سيغري اليهود من الطبقة المتوسطة، بالهجرة إلى "أرض إسرائيل"؟

وعلى الرغم من إمكانية الرد على كل تلك الأسئلة، بيد أن طرحها في حد ذاته، يدل على أن هرتسل، كان يدرك طبيعة التعقيدات الكامنة في خلق (دولة يهودية)، وكان يخشى بالفعل أن يتهم بالجنون.

إن الاطلاع على كتابي (الدولة اليهودية) و (التنويلند)، يثبت مدى التحام هرتسل بالمجتمع الذي عاش فيه، كانت التكنولوجيا الحديثة في ذلك الوقت، تسير خطوات واسعة على طريق التطور، وهرتسل الذي ظن أن المستقبل أمامه، يصف مجتمع

المستقبل في (أرض-إسرائيل)، مع قطارات كهربائية في جميع المدن، قطارات سريعة، وشبكة طرق متشعبة، سيارات خصوصية وأخرى عمومية، قنوات مياه ومحطات لتوليد الطاقة الكهربائية، تستغل الفارق في مستوى الارتفاع بين سطحي البحرين المتوسط والميت، باختصار، الكثير من الأفكار التي نحلم بها، أو نقوم بتنفيذها.

كان كتاب (الدولة اليهودية)، بمثابة (بشرى خلاقة)، أطلعت شعب إسرائيل، وللمرة الأولى، على تصور كامل لمستقبله كشعب في (أرض-إسرائيل)، وانطلق استخدام هرتسل لوسائل الإعلام، من خلال خبرته في مجال العلاقات العامة، وقناعته بأن "أرض-صهيون ستحرر بالعمل الجاد"، من أهم العوامل التي أدت إلى تحول تلك النبوءة إلى واقع.

الاستعدادات التي سبقت عقد المؤتمر الصهيوني الأول:

"في هذا المؤتمر، أعيدت نشأة الشعب اليهودي، الذي يدرك حقيقة كونه شعبا، ويعلن رغبته في أن يكون ثانية، ككل الشعوب، مستقلا في وطنه".

لقد أطلق دافيد بن غوريون، عبارته تلك، في إطار خطاب ألقاه عام ١٩٤٧، بمناسبة مرور خمسين عاما على عقد المؤتمر الصهيوني الأول.

لكن ما الذي حدث في ذلك المؤتمر، الذي كثر الحديث عنه عقب مقولة هرتسل: "في بازل أسست (الدولة اليهودية)، هل غير طابع التاريخ اليهودي بشكل عام، وهل غيره في عصرنا الحالي بصفة خاصة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد من استعراض الأحداث، والاستعدادات التي سبقت عقد المؤتمر، الممارسات والنشاطات المذهلة التي جرت من وراء الكواليس، والتي منحت القوة لهذا المؤتمر.

المحاولات الأولى:

استمر المؤتمر الصهيوني الأول، الذي عقد في صيف عام ١٨٩٧ ثلاثة أيام، كان كل ما حدث خلالها، وما اتخذ من قرارات، يشير إلى بداية مرحلة جديدة في التاريخ اليهودي.

لقد أوجد عقد هذا المؤتمر، في واقع الأمر، وللمرة الأولى، هيئة يهودية منظمة، كافحت من أجل إقامة دولة للشعب الذي تشتت بين مختلف الأمم، ونفي من "أرضه" قبل ذلك بألف وثمانمائة عام، كانت تلك المرة الأولى منذ دمار الهيكل الثاني، التي يلتئم فيها ممثلو الشعب اليهودي، من شتى أنحاء المهاجر، ليقرروا مصيرهم بأنفسهم، وليحددوا المسار الذي سينتهجونه، والذي تحققت نتائجه بعد خمسين عاما، عندما تقرر خلال اجتماع الهيئة العمومية للأمم المتحدة، إقامة دولة يهودية لشعب إسرائيل في (أرض-إسرائيل).

ولقد ظهر مصطلح "الكونغرس الوطني-المؤتمر الصهيوني" للمرة الأولى، في كتاب "أوتومنسيفتسيا"-التحرير الذاتي، الذي ألفه الزعيم اليهودي، (يهودا ليف ليئون بينسكر)، وصدر عام ١٨٨٢، باللغة الألمانية، حيث دعا فيه اليهود، إلى عدم انتظار قدوم المسيح لينقذهم، بل تقرير مصيرهم بأنفسهم.

وقال (بينسكر) في كتابه، "إن شعب إسرائيل في المهجر، ليس شعبا حيا، بل هو شبح شعب، يخيف أمم العالم، وهذا الخوف إلى جانب عوامل اقتصادية واجتماعية، هو المنهل الذي تستقي اللاسامية جذورها منه، وحل مشكلة اللاسامية، يكمن في السعي من أجل التحرر الذاتي، الصحوة القومية، وتثبيت اليهود في أرض تكون لهم، وليس في الحملات الإعلامية، التي تشجب كراهية اليهود".

وأود أن أشير هنا إلى أن هرتسل قال ذات مرة "لو قرأت كتاب (الاوتومنسيفتسيا)، لما وضعت كتاب (دولة اليهود).

كان (بينسكر)، نتاجا بارزا لمرحلة ثقافية، وقد شهد تجدد القومية الفرنسية، الذي تجسد من خلال الثورة الفرنسية، كما شهد انعقاد المؤتمر القاري الأول في الولايات المتحدة الأمريكية، فتاق لأن يشهد الشعب اليهودي أحداثا مماثلة.

في عام ١٨٨٣، نشر (بينسكر) والزعيمان اليهوديان الدكتور (تسفي هرمان شفيرا)، الذي عرف بـ (أبي الصندوق القومي)، والدكتور (ماكس مندلستم)، أحد زعماء حركة "محبة صهيون"، بيانا دعوا فيه إلى توحيد صفوف القوات اليهودية، وبلورة تنظيم حقيقي لحركة "محبة صهيون".

كان بالإمكان، اعتبار اجتماع ممثلي حركة "محبة صهيون"، في إطار مؤتمر (كتوفيتس) عام ١٨٨٤، بمثابة (كونغرس وطني)، غير أن من شارك في المؤتمر، هم ممثلو روابط الحركة في روسيا، الذين قرروا، بعد وقت قصير، أن تكون مدينة (أوديسا)، مقرا للجنة المركزية الخاصة بهم.

وفي عام ١٨٩١، نشر شاب يهودي-ألماني، يدعى الدكتور (ماكس بودنهايمر)، الذي عرف في تلك الفترة كأحد معاوني هرتسل، وكمستشار قانوني في الهستدروت الصهيوني، مقالة تحت عنوان "أيها الصهاينة في كل الأرض، اتحدوا".

لم تتمخض تلك المحاولات في واقع الأمر، عن حدوث شيء، بيد أن الدعوة لعقد "مؤتمر صهيوني"، أحدثت أصداء واسعة بين أنصار حركة "محبة صهيون".

في شهر أيلول من عام ١٨٩٣، اجتمع في العاصمة النمساوية، فينا، عدد من النشطاء اليهود، الذين استجابوا لدعوة الدكتور (نتان بيرنيويم)، ورابطة "يسرائيل هتسعير"-إسرائيل الشابة من ألمانيا، واقترحوا عقد مؤتمر "يصوغ بوضوح، الأهداف

النهائية للصهيونية السياسية اليهودية، على شكل مبادئ حزب ملزمة، تكون أساسا للعمل المشترك"، غير أن هذه المبادرة باءت بالفشل أيضا، في ظل غياب الدعم والتشجيع اللازمين لتجسيد الفكرة.

وفي مطلع عام ١٨٩٤،اجتمع في باريس، ممثلو حركة "محبة صهيون"، ونشطاء حركة "من أجل أرض-إسرائيل"، من شتى أنحاء المهاجر، وقد تمخض اجتماعهم عن تشكيل "لجنة مركزية"، غير أن أيامها كانت قصيرة، إذ عارض "السخي المعروف"، (ادموند دي-روتشيلد)، الذي قدم الكثير من المساعدات للموشافات في إسرائيل، القيام بنشاطات سياسية علنية من أجل (أرض-إسرائيل)، ورفض تقديم الدعم المالي "للجنة المركزية"، الأمر الذي أسفر عن حلها.

ولقد أعقبت هذه المحاولات، محاولات أخرى في عامي ١٨٩٥و ١٨٩٦، تمثلت في المشاركة الإسرائيلية الأولى من نوعها في المعرض العالمي، الذي أقيم عام ١٨٩٦ في العاصمة الألمانية برلين، والتي كانت حافزا لعقد مؤتمر صهيوني، واقتراح نشطاء روابط صهيونية في مدينة (جاليتسيا) في كانون أول ١٨٩٥، أن تستغل هذه المشاركة، والفعاليات التي ستواكبها، في عقد مؤتمر عالمي للحركات الصهيونية، بيد أن هذه المبادرات، منيت بالفشل أيضا، بعد أن أصرت رابطة "يسرائيل هتسعير"، التي كانت نشيطة في ألمانيا، على عقد اجتماع للعناصر الصهيونية هناك، قبل عقد المؤتمر العام.

كان آخر هذه المحاولات، كما يبدو في حزيران ١٨٩٦، حيث بعث نشطاء حركة "محبة صهيون"، من مدينة (مينسك) الروسية، كتابا إلى الحركات الصهيونية في شتى أنحاء أوروبا، جاء فيه: "لقد أدرك "محبو صهيون" الوطنيون في السنوات الأخيرة الماضية، أن الطريق الذي نسير فيه، ليس هو الطريق الصحيح... فالعمل على

أرض الواقع يفتقر إلى الوحدة والتكاتف، بسبب غياب أسس نظرية مبلورة على نحو جيد... المؤتمرات التي عقدت حتى الآن، لم تتمكن من تعديل هذا الوضع السيء، لأنها تمحورت حول شؤون عملية، ولم تطوق المسألة اليهودية من كافة جوانبها."

بيد أن هذه الخطة، تهاوت، ككل الخطط السابقة في ذلك العام، على أعتاب المنصة التي اقترح هرتسل من فوقها، حلا (بسيطا) للمسألة اليهودية-تمثل في إقامة (دولة يهودية).

المعركة الأولى-اعتراف المشاركين:

لقد أدرك هرتسل منذ البداية، أنه لن يكون بمقدوره تحمل عبء تحقيق حلم الصهيونية، وعقد المؤتمر الصهيوني الأول، دون تأييد ودعم أثرياء اليهود، وانطلاقا من فهمه لهذا الواقع، وتشبثه بالهدف الذي طالما تاق إلى تحقيقه، توجه إلى البارون (هيرش)، والبارون (روتشيلد) وطلب منهما، في لقاء منفصل، تقديم الدعم المالي اللازم وتحمل مسؤولية الترتيب لعقد المؤتمر وكسب شرف رئاسته، غير أن الفكرة لم ترق لهما، وقد برر (روتشيلد) رفضه هذا العرض، بحجة "أن الأمر غير قابل للتنفيذ، وأنه لا يتوقع أن يكون الشعب اليهودي منظما".

لم يثبط هذا الموقف عزيمة (هرتسل) بل أحدث تحولا حاسما في تطلعاته، وكان حافزا جديدا له، للاعتراف بوجوب إطلاق العنان للصهيونية.

منذ ذلك الوقت، أعني تموز ١٨٩٦، بدأ هرتسل والمؤمنون بفكرته بالنشاطات الحقيقية لعقد المؤتمر الصهيوني.

المعركة الثانية-الاستعداد انطلاقا من احترام الذات والقوة:

ترقب هرتسل حضور ممثلي جماهير الشعب اليهودي إلى المؤتمر، وأراد أن يضفي على هذا الحدث، قوة تكسب القائمين عليه والمشاركين فيه الهيبة والاحترام،

والقدرة على مواصلة هذا المشروع، لقد شغل نفسه حتى بأدق التفاصيل، كان أشبه برسام ينتظر بفارغ الصبر، رؤية لوحته على الجدار.

لقد واجه هرتسل في إطار الاستعدادات لعقد المؤتمر، معارضة واسعة النطاق، من مختلف تيارات الشعب، فقد كافح الحاخامات الإصلاحيين، أو "حاخامات الاحتجاج"، على حد تعبيره، ضد إقامة دولة يهودية في (أرض-إسرائيل)، فيما خشي أصحاب رؤوس الأموال، أن يثير نقاش المسألة اليهودية على مستوى جماهيري، موجة لا سامية جديدة في أوروبا، وخشي البعض الآخر أن يؤدي قيام دولة يهودية إلى إثارة الشكوك في مدى إخلاصهم لمساقط رؤوسهم.

كان هرتسل يرغب في عقد المؤتمر في مدينة (ميونخ) الألمانية، بادئ الأمر، ونظرا لمعارضة الحاخامات وزعماء الطائفة المحلية هناك، تم نقله إلى بازل، ولقد شغلت مسألة كم، ومن سيحضر المؤتمر، فكر هرتسل إلى حد بعيد.

وفي واقع الأمر، لم يكن من الواضح حتى آخر يوم سبق عقد المؤتمر ما إذا كان سيعقد فعلا، وكيف على الرغم من أن لجنة التحضير، التأمت لوضع اللمسات الأخيرة، ويبدو أن أكثر المسائل التي أرقت هرتسل، كانت تسجيل المشاركين في المؤتمر. فقد كان قلقه شديدا، بيد أن رغبة الكثير من الأعضاء في العمل، وتطلع آخرين لكسب الهيبة والاحترام، بددت مخاوفه، واستقطبت عددا كبيرا من الطلبة، الصحفيين، الشعراء، التجار، الأطباء وغيرهم لحضور المؤتمر.

المعركة الثالثة-مراسيم افتتاح المؤتمر:

تركت لحظة افتتاح المؤتمر، أثرها في نفس هرتسل نفسه، فعلى منصة قائمة الحفلات التي عقد فيها المؤتمر، وضعت طاولة خضراء اللون، إلى جانبها الكرسي الذي سيجلس عليه رئيس المؤتمر، وأعدت طاولة خاصة للصحفيين، كان عدد الحضور كبيرا

جدا، فبالإضافة إلى عدد الأعضاء الذي بلغ مائتين، غصت القاعة بالمئات من اليهود وغير اليهود، وعشرات الصحفيين.

افتتح المؤتمر بتعليقات مملة، أطلقها الحاخام، (كارل ليفا) من مدينة (ياسي) في رومانيا، وأثار من خلالها غضب هرتسل، بيد أن توجهه بعد ذلك بالدعاء، وشكر الرب الذي أوصل اليهود إلى ما هم فيه"، كان كفيلا بامتصاص الغضب، وإثارة مشاعر كثير من الحضور، الذين اغرورقت عيونهم بالدموع، ثم قام بنقل مطرقة رئيس المجلس إلى هرتسل وأعلن "أن الأمر الوحيد الذي يحتاج إليه اليهود، هو تأسيس كيان قومي" فضجت القاعة بالتصفيق والهتافات.

كان صعود هرتسل إلى منصة الخطابات ملوكيا، ألهب مشاعر الحضور، فلوحوا له بأيديهم، وهتفوا له "يعيش سيدنا الملك".

لقد أدرك بأن كل حركة سيقوم بها، ستكون محل اهتمام، وستترك أثرها في النفوس، فوقف منتصبا وفي عينيه نظرة حادة ثاقبة، انتظر حتى هدأت القاعة، وبدأ بإلقاء خطابه، تحدث بداية عن أهداف الحركة الصهيونية والرغبة في تشكيل منظمة يهودية دائمة، ثم ناقش قضية اللاسامية، حلل الوضع الذي يعيشه اليهود، وأعلن أن الصهيونية هي العودة إلى اليهودية، وتحقيق ما يعتبر مستحيلا. أعني، التحام القوى اليهودية، كقوة واحدة، وتحقيق الهدف المنشود-إقامة الدولة اليهودية.

أنهى هرتسل خطابه وسط تصفيق وهتافات الحضور، وقد أدرك القائمون على عقد المؤتمر، أن جهودهم على مدار عام، آتت أكلها، وها هي تتمخض عن ولادة منظمة صهيونية عالمية للشعب اليهودي، وهو الهدف الأساسي الذي تحقق خلال الساعات الأولى للمؤتمر، الذي استمر يومين.

الكونغرس الصهيوني:

كان الكونغرس (المؤتمر الصهيوني)، الذي أسسه هرتسل هو الهيئة التي تصدر الصلاحيات العليا للهستدروت الصهيوني، وحسب اعتقاده، فقد أثبت هذا الكونغرس، أن الفكرة القومية اليهودية، قادرة على سد الثغرات، وضم أشخاص تسود بينهم الفروق اللغوية، الاجتماعية، السياسية والدينية، في حركة واحدة، ولقد رأى هرتسل، أن هذا المؤتمر، حقق "الوحدة القومية للشعب اليهودي"، إذ لم يكن بالإمكان عقد مؤتمرات على (أرض-إسرائيل)، أيام الحكم العثماني، أو الانتداب البريطاني.

كانت اللغة الألمانية، لغة المؤتمرات، بصفة عامة، آنذاك ،حتى أنها سميت-بنوع من السخرية-لغة "مؤتمر دوتيش"-أي اللغة الألمانية للمؤتمرات، لأنها كانت ممزوجة باللغة الأيدشية، وبقية لغات مناشىء أعضاء المؤتمر.

وتكمن القيمة التاريخية للكونغرس-المؤتمر الصهيوني الأول، في وصف هدف الصهيونية، الذي حدد في "خطة بازل"، والذي يقول: "إن الصهيونية تتطلع إلى إنشاء كيان قومي لشعب إسرائيل على أرض-إسرائيل، تضمنه القواعد العامة". أضف إلى ذلك، أن يهود أوروبا الشرقية، الذين انشغلوا آنذاك بالنشاطات (العملية) للاستيطان في (أرض-إسرائيل)، أخذوا على عاتقهم، تحمل عبء مسؤولية الصهيونية السياسية، التي اشترطت نشاطات الاستيطان بموافقة الشعوب.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا المؤتمر، حدد سلسلة من القواعد التي اتبعت في كل المؤتمرات منذ ذلك الحين، تتمثل في إعداد تقارير حول وضع اليهود في الشتات، محاضرات حول (أرض-إسرائيل) ومشاكل الاستيطان وطرح قضايا حضارية وثقافية وغيرها.

الهستدروت الصهيوني العالمي:

تأسس الهستدروت الصهيوني العالمي، في مدينة (بازل) بسويسرا، في إطار المؤتمر الصهيوني الأول (آب ١٨٩٧)، وقد حددت أهدافه في (خطة بازل)، التي تقول :"إن الصهيونية تتطلع إلى إنشاء "كيان قومي" لشعب إسرائيل في (أرض-إسرائيل)، تضمنه القواعد العامة.

ويعتبر المؤتمر الصهيوني، مصدر الصلاحيات العليا للهستدروت، الذي كرّس جهوده منذ قيامه، وحتى إقامة دولة إسرائيل، لكسب التأييد الدولي للمشروع الصهيوني في (أرض-إسرائيل)، ودعمه من النواحي الاقتصادية، الاجتماعية والصهيونية.

اللجنة التنفيذية الصهيونية:

ثاني أهم المؤسسات الصهيونية، بعد الكونغرس (المؤتمر) الصهيوني، وهي مصدر الصلاحيات العليا للهستدروت العالمي، في الفترة الفاصلة بين عقد مؤتمر وآخر، وقد تم اختيار أعضائها من قبل هيئة الكونغرس، حسب ميزان القوى الحزبية فيها، إضافة إلى عدد محدود من الأعضاء الذين ينضمون إليها، بحكم مناصبهم في المؤسسات الصهيونية، أو نشاطاتهم فيها في السابق. وتلتئم هذه اللجنة، مرة واحدة كل عام، حيث تبلور سياسات الإدارة الصهيونية، تحدد ميزانيتها وتراقب نشاطاتها.

<u>أشكال الصهيونية</u>

أخذت "الحركة الصهيونية" أشكالا وصورا متعددة، بينت مواقف مختلف التيارات اليهودية إزاء كيفية تجسيدها، ويمكن بيانها فيما يلي:

*الصهيونية السياسية:

من أبرز ممثلي هذا التيار، ثيودور هرتسل الذي رأى ضرورة في تركيز الجهود على صعيد العمل السياسي، بغية التوصل إلى وثيقة حقوق سياسية، تمكنهم بالتالي من العمل في (أرض-إسرائيل)، من خلال اتفاق مع إحدى الدول العظمى وتحت رعايتها، كشرط لإقامة كيان قومي يهودي.

*الصهيونية العملية:

أحد تيارات الحركة الصهيونية، الذي طالب بالهجرة إلى (أرض-إسرائيل) إنشاء المستوطنات فيها وتأسيس اقتصاد يرسخ الوجود اليهودي، دون اشتراط كل ذلك بإنجاز أي حقوق سياسية.

*الصهيونية المركبة:

أبرز ممثلي هذا التيار، الدكتور (حاييم وايزمان) وقد تبلور قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث دعا إلى دمج الصهيونية السياسية بالصهيونية العملية، والعمل بهما سويا في آن واحد، ومن أهم الأسس التي وجهت تيار الصهيونية المركبة، الواقعية السياسية والحذر من التصلب الفكري، المرونة والبحث عن قاسم مشترك بين جميع العناصر المؤمنة بالفكرة الصهيونية.

*الصهيونية الدينية:

أبرز ممثلي هذا التيار، الحاخامات (القلعي)، (كليشر)، (موهليبر) و (نفتالي تسفي يهودا بارلين). ويقوم على أساس نظرية الربط بين دين إسرائيل والقومية اليهودية، والعمل على إعادة الحرية السياسية والمفاهيم اليهودية لشعب

إسرائيل، وقد كانت الشريعة اليهودية بالنسبة لهذا التيار شرطا لوجود الأمة على أرضها.

*الصهيونية الاشتراكية:

دعت الصهيونية الاشتراكية إلى تأسيس المجتمع الجديد، الآخذ بالتبلور في (أرض-إسرائيل) على مبادئ المساواة الاجتماعية، وقد أسس هذا التيار، (نحمان سيركين)، الذي آمن بأن الصهيونية، ضرورة تاريخية-اقتصادية للشعب اليهودي، وللعامل اليهودي الذي سيضطلع بمهمة تاريخية، ويترأس مسيرة تحرير الفرد، وقد انبثقت عن هذا التيار، حركات طلائعية واستيطانية كثيرة، وعدد من الأحزاب السياسية، في الاستيطان والدولة.

*الصهيونية الروحية:

وهي أحد أساليب التفكير القومي اليهودي الحديث والأيديولوجية الصهيونية أسّسها (أحاد هعام)، الذي يرى أن النهضة القومية لشعب إسرائيل، ستتحقق من خلال خلق مركز روحي ديني يهودي على (أرض-إسرائيل)، وحسب اعتقاده، لم تخلق الصهيونية لحل المشكلة الاقتصادية للشعب اليهودي، بل لحل مشكلة الروحية، إضافة إلى أنه لا يثق بقدرة (أرض-إسرائيل) على استيعاب جميع جماهير الشعب الإسرائيلي.

*الصهيونية التصحيحية:

أسّس (زئيف جيبوتنسكي)، هذا التيار عام ١٩٢٥، وطالب بتغيير السياسات المعتدلة التي تبناها (حاييم وايزمان)، رئيس تيار الصهيونية المركبة، ومن أهداف هذا التيار، تفعيل الضغط المستمر على بريطانيا، لإقامة دولة يهودية على

ضفتي نهر الأردن، خلق أغلبية يهودية في (أرض-إسرائيل)، تأهيل الشباب اليهودي عسكريا وتبني سياسات هجومية إزاء بريطانيا، وقد انبثقت عن هذا التيار منظمتا(اتسل) و (ليحي).

*الصهيونية العامة:

شملت الصهيونية العامة، كل من شارك في المؤتمرات الصهيونية، دون الانتماء إلى أي حزب صهيوني، ومع مرور الوقت انخرطوا في إطار منظمات، ذات أيدولوجيات مختلفة وأصبحوا أعضاء في الهستدروت الصهيوني العام، الذي كان حزبا وسطيا في الهستدروت الصهيوني. ومن أهم الأسس التي ارتكزوا إليها، صهيونية على غرار صهيونية مؤتمر بازل، دون إضافات أيدولوجية، تفضيل الصهيونية على أي مصلحة اجتماعية، حزبية أو خاصة، وسيادة القومية في كل نشاط صهيوني.

صهيونية شرق أوسطية

*ميخائيل افيطبول

ظهرت الصهيونية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، بعد وقت قصير من عقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، وانتشار مبادئ خطة هرتسل وسط اليهود هناك من خلال الصحف أو النقاد الغربيين، ولم تكن فكرة "العودة" إلى (أرض-إسرائيل) مفاجئة بالنسبة لتلك الطوائف اليهودية التي عاشت بالقرب من الأرض المقدسة، وظلت متمسكة إلى حد بعيد بالتعاليم الدينية، لذلك فإن أوائل من انضموا إلى الحركات الصهيونية-شبانا كانوا أو مسنين، أنصار فكرة الرقي والتقدم أو المتمسكين بالتقاليد الدينية-جاؤوا في واقع الأمر، من جميع الطبقات اليهودية.

وقد ازداد عددهم بشكل كبير عقب إعلان وعد بلفور، فعلى سبيل المثال، بلغ تأثر اليهود المغاربة بما حدث، حدا تبلور معه أول وفد من المهاجرين، بصورة

تلقائية، مع قرب انتهاء الحرب العالمية الأولى، بيد أن حظهم كان سيئا، فعندما وصلوا إلى ميناء يافا، منعت السلطات البريطانية دخولهم إلى (أرض-إسرائيل)، دون أن تبادر المؤسسات الصهيونية إلى خطوة تتيح مجالا لدخولهم.

ويمكن القول، أن هؤلاء المهاجرين، شعروا، كمئات المهاجرين "غير الشرعيين"، الذين جاؤوا من دول آسيا وأفريقيا، بالهوة العميقة بين الصهيونية، كأيدولوجية حديثة وسياسية بحتة، وبين الحنين التقليدي لبني صهيون، والذي لم يكن بالإمكان فصله عن الهوية الدينية، لذلك، فقد كانت السنوات ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، شاهدا على تضاؤل النشاطات الصهيونية في كل دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط، وكان اليهود الورعون، أول من ترك الروابط الصهيونية لأنهم لم ينجحوا في التوفيق بين الصهيونية والإلحاد في آن واحد، وقد حذا حذوهم، أولئك الذين خشوا أن تلحق الصهيونية الأذى بالعلاقات بين اليهود والمسلمين من جهة، وبين اليهود والسلطات الاستعمارية من جهة أخرى، وأخيرا تبعتهم الجماعات التي تشبعت بالحضارة الغربية، بصورة أو بأخرى، وكانت تؤمن بإمكانية الذوبان الحقيقي في مجتمعات الدول التي عاش اليهود فيها مئات أو آلاف السنين، وهذه الأيديولوجية كانت رائجة، بشكل خاص، وسط النشئ الصاعد من يهود العراق، في العشرينات من القرن الحالي، وبصورة أقل نسبيا، وسط الطوائف اليهودية التي عاشت في دول خضعت للسيطرة الفرنسية أو كانت تحت تأثير رابطة "كل إسرائيل أصدقاء"، ولا شك في أن فتور العلاقات اليهودية، ألحق الأذى بالنشاطات الصهيونية لفترة طويلة، فعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، ظلت الحركة الصهيونية في تلك الدول ضعيفة بما فيه الكفاية، ومعزولة عن أغلب التيارات الأيديولوجية الصهيونية في أماكن أخرى.

بيد أن هذا الوضع، تغير في الأربعينيات، فالفتك باليهود في أوروبا والتشريع المناهض لليهودية في شمال أفريقيا، تحت حكم (بانون) و (موسوليني) وفي العراق تحت حكم رشيد عالي، أثار صدمة قوية في نفس الجيل الناشئ، الذي كان يؤمن، حتى ذلك الحين، بفكرة الانخراط في المجتمعات التي نشأ فيها. وقد توطدت العلاقة مع الاستيطان العبري، إثر تواجد مئات الجنود الإسرائيليين في مصر، سوريا، العراق وليبيا، أضف إلى ذلك، الجهود التي بذلها عدد من الصهاينة وسط الطوائف اليهودية في الشرق، وخلقت عناصر صهيونية نشيطة وفاعلة، وجهت جل جهودها نحو مرحلة "التنفيذ"، أقصد الهجرة إلى (أرض-إسرائيل). وبالطبع، كلما تزايدت الدلائل التي بشرت بقرب إقامة دولة يهودية على (أرض-إسرائيل)، تراجعت العلاقات بين المسلمين واليهود، وارتفع عدد الهجمات الدامية على الطوائف اليهودية.

في العقود الأولى، التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، كانت الدول الإسلامية، تعيش حالة من الغليان المستمر، بسبب الرغبة في تصفية الاستعمار، العصبية القومية والتطرف الإسلامي، لذلك، إذا كان وضع الطوائف اليهودية في تلك

الدول متذبذبا إلى حد كبير، قبل إقامة دولة إسرائيل، فقد أصبحت في دائرة الخطر الحقيقي بعد قيامها، وكان الحل الوحيد، الهجرة المستمرة وغير القابلة للتراجع، التي أملت وتيرتها وحجمها الحروب التي خاضتها إسرائيل مع العرب، وإعلان الاستقلال في الدول المختلفة، وقد أصبحت دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط خلال بضع عشرات السنينن خالية من اليهود تقريبا، في حين بلغ عددهم في المشرق والمغرب، منتصف القرن العشرين، مليونا تقريبا، وبعد أربعين عاما، لم يبق سوى بضع مئات منهم في عدة بؤر بلدية في عدد من دول العالم.

تعليق:الأرض التي تاق إليها الآباء:

*الياهو هكوهين

كل الأحاديث التي دارت أيام الهجرة اليهودية الثانية من الاتحاد السوفياتي، حول (أرض-إسرائيل) المثالية البكر، والتي تخلب العقول بمناظرها الطبيعية، لا تعدو كونها مجرد أسطورة، فقد وجد الرعيل الأول من المهاجرين هنا، في القرن الماضي، أرضا مهجورة، مقفرة، قبيحة وجرداء لا تحتمل، كانت أشبه بمقبرة كبيرة للبشر، للمناظر الطبيعية، لقصور فخمة دمرت، غابات محقت، مدن هدمت، حدائق وبيارات وبساتين توارت عن الأنظار، قبل ذلك بمئات السنين، هذا ما أكده أيضا، مئات الباحثين والرحالة الذين زاروا هذه الأرض، في تلك الفترة، وتركوا في كتب الأسفار صورا كثيرة تشهد بذلك.

فقد كتب (صموئيل كليمانص)-وهو نفسه (مارك توين) المعروف الذي ألف سلسلة قصص "توم سوير"، و "هكلبري فن"، يقول بعد أن زار (أرض-إسرائيل) عام ١٨٦٧: "كانت (أرض-إسرائيل) الأكثر بشاعة، بين جميع البقاع الدميمة على مستوى العالم، الجبال جرداء، التلال مقفرة والأرض قاحلة جدباء كانت أرض خربة مشؤومة، ظلت أريحا كومة أنقاض مثلما تركها (يهوشع بن نون) وبقيت الناصرة مدينة مهجورة، أما القدس، فقد بدا عليها البؤس والشقاء، كانت مقاما للمجذومين، والعجزة وهواة كسب (البقشيش)، الذين يتجولون بأسمالهم البالية المتعفنة وعلامات البلادة والحماقة تكسو وجوههم.

غير أن (أبشلوم بينبيرغ) أورد في مقدمة رسائله وصفا أكثر واقعية لفلسطين القديمة، فقال: "إنها أرض صخرية قاحلة صحراء متشققة، طرق وعرة، اجتاحتها الملاريا وانتشرت فيها أمراض شتى، منها السل والجذام، واليرقان و (التراخوما)،

وقد وجدت الثعابين السامة، العقارب، الذباب، البعوض والبراغيث فيها أجواء ملائمة للعيش، إنها أرض الملح والكبريت، أرض الجهل، أرض تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف وغزارة الأمطار، يسودها الفقر والمظاهر التي تبعث على الاشمئزاز، إضافة إلى امتلائها بالمحتالين والمتسولين.

كانت الأرض التي تاق إليها الآباء، تتسم بالفوضى والاضطراب، وقد استخدمت فيها شتى أنواع العملات: المتليك البشلك، المجيدي والبارة التركية، الكبيك والروبل الروسي، الفرنك الفرنسي، الغولدن النمساوي، الشلن الإنجليزي، الروبية الهندية، المارك الذهبي، النابليون الذهبي والدينار الذهبي المسماة بعملة الدوكات، وقد كان لكل عملة قيمة في القدس وقيمة أخرى في يافا، أما بالنسبة للبريد، فقد كانت هناك ستة مكاتب بريدية مختلفة على الأقل، هي البريد الروسي، النمساوي، الألماني، التركي، الفرنسي والإيطالي، وكان لكل بريد عربة خاصة، ويمكن القول، أن الرسالة التي ترسل من القدس، كانت تصل إلى يافا مثلا، في اليوم التالي، كذلك استخدمت جميع الأوزان والمقاييس في (أرض-إسرائيل).كان هناك الدرهم الذي يساوي ٣ غرامات، العقة ٤٠٠ درهم، الأوقية ١٨.٧٥لوت، الرطل ١٢ أوقية أو ٦ باوند أو ٧ ليبرات، المائة رطل تبلغ قنطارا واحدا أو ١٥ باوند، ومن المقاييس استخدموا الذراع، خاصة في مجال قياس الأقمشة والبناء، الدونم، القطر و(الديستين)، أضف إلى كل ذلك، اختلاف اللهجات بين السكان، باختلاف مناطق سكناهم.

*معارضون مؤيدون:

كانت عودة اليهود إلى "الأرض التي تاق إليها الآباء"، مصحوبة بالكثير من المشاكل، فقد زعم الشاب (براتس سمولنسكين)، بأن من يروم إلى ترميم أطلال وخرائب بني صهيون، أشبه ما يكون بشخص يريد بناء سقف البيت قبل هيكله،

وعارض إعادة إحياء اللغة العبرية وقال: "تعتبر اللغة العبرية ميتة بالنسبة لجميع العلوم التي اكتشفت بعدها، وليس بمقدورنا بعثها من جديد".

أما (ليلينبلوم) فقد كتب في تلك الفترة يقول: "لا يهمني ما إذا كانت اللغة السائدة في (أرض-إسرائيل)، الإنجلزية أو الأيدشية-لغة اليهود الاسكناج في مهاجرهم- لماذا يتحتم علينا أن نكون مخلصين أكثر من أجدادنا؟ لقد جاء أبونا إبراهيم من منطقة أور كشديم التي عاش فيها البابليون وقد تحدث الآرامية بالتأكيد".

وقد كتب المؤرخ اليهودي، (شمعون دوفنوف)-الذي عارض فكرة الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، يقول: "لقد هاجر إلى (أرض-إسرائيل)، السيئون، الكسالى، والاستغلاليون من اليهود الذين وصلوا الأرض المقدسة ليموتوا فيها، والذين سيؤثرون بأخلاقياتهم السيئة، سلبيا على المهاجرين الجدد".

أما شقيقه (فلاديمير دوفنوف)، فقد هاجر إلى (أرض-إسرائيل) وهو في ريعان الشباب، في إطار الهجرة الثانية من روسيا، وقد كتب رسائل تنبأ فيها بقيام الدولة اليهودية، في الوقت الذي لم يكن فيه هرتسل، قد توصل إلى فكرة تشكيل الحركة الصهيونية وحسب أقوال هرتسل، فقد كان وجه الشبه بين طرحه وطرح (فلاديمير)، مثيرا إذ كتب (فلاديمير) يقول: "إن الهدف الأخير، الذي أتوق إليه، هو شراء (أرض-إسرائيل)، واستعادة اليهود لاستقلالهم، لا تسخروا مني، فلست أهذي"، وكتب هرتسل بعد عشرين عاما يقول: "لو سمحتم، إنها ليست أسطورة"، ويتابع (فلاديمير): "وأهم الوسائل التي يمكن من خلالها إنجاز هذا الهدف، تتمثل في إنشاء المستوطنات واحتراف الزراعة والصناعة في (أرض-إسرائيل)، وعندئذ سيأتي ذلك اليوم العظيم، الذي سيعلن فيه اليهود استقلالهم، ربما سيكون ذلك بعد خمسين

عاما، بيد أنكم ستتفقون معي على أن الخمسين عاما لا تساوي لحظة من لحظات إنجاز مثل هذا الهدف".

وبعد خمسة عشر عاما كتب هرتسل نصا مماثلا وشاملا، تحدث فيه عن خمسين عاما لإقامة الدولة اليهودية.

تجدر الإشارة إلى أنه لم يتم استيعاب فلاديمير دوفنوف في (أرض-إسرائيل) وانضم إلى شقيقه في روسيا، المؤرخ دوفنوف، رافع لواء فكرة الشتات، وسلب اليهود حق العودة، والذي لقي مصرعه بعد ستين عاما، على يد شرطي لاتيفي إبان الاحتلال النازي.

بطيخة تكفي أسبوعا:

كانت "الأرض التي تاق إليها الآباء"، محط أنظار يهود روسيا المضطهدين، لكن على صعيد المجلات والصحف والكتب فقط، أما على صعيد الواقع، فقد كانت أمريكا تثير شغفهم واهتمامهم، وإحدى العثرات التاريخية التي لا تغتفر للشعب اليهودي هي توجه ٢٥.٠٠٠ يهودي فقط إلى (أرض-إسرائيل)، من أصل مليونين غادروا شرق أوروبا في إطار الهجرة الأولى، في الوقت الذي كانت فيه تلك الأرض الجرداء القاحلة، خالية-تقريبا-من السكان، إذ لم يتجاوز عدد السكان في ضفتي نهر الأردن-آنذاك، ٣٠٠.٠٠٠ نسمة، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا كان سيحدث لو أن عشر من هاجروا إلى أمريكا فقط، توجهوا شرقا واستوطنوا في (أرض-إسرائيل)؟

في تلك الفترة، نظم كبير الأفاكين اليهود (كوفلمان) من (بيتح تكفا) حملة دعائية، للترويج (للأرض-إسرائيل) وسط يهود روسيا فكان يخبرهم بأنها أرض يتدفق منها الحليب والعسل، وأن البطيخ الذي ينبت فيها كبير الحجم، لدرجة أن نصف

البطيخة يكفي لإعالة أسرة كاملة في (بيتح تكفا) لمدة أسبوع، وأن بمقدور العائلة بعد ذلك، استخدام البطيخة كقارب والتجذيف به في نهر اليركون.

بيد أن الطلائعيين الحقيقيين لم يكونوا بحاجة إلى حملات دعائية، فعلى سبيل المثال، قطع (يهوشع شتمبر)، مؤسس (بيتح تكفا)، الطريق من هنغاريا إلى (أرض-إسرائيل)، سيرا على الأقدام، هذا، في الوقت الذي كان فيه كثير من اليهود بانتظار المسيح.

يقول (ليندا) و (رابينوفيتش) في كتابهما "اللاسامية" عام ١٩٠٠ "إن الصهيونية كالكيمياء"، ومثلما يستحيل استخراج الذهب من الحديد، ستكون إقامة دولة يهودية، وعلى (أرض-إسرائيل)، أكثر استحالة.

هذه عملية إحياء مفتعله، وأصحاب المنطق السليم يدركون أن قيام الدولة اليهودية، أمر لن يتحقق إلا مع مجيئ المنقذ المنتظر، والأرض التي تاق إليها الآباء، لم تكن سوى قطعة أرض نائية معزولة.

وفي قصيدته "سارعوا أيها الأخوة"، يدعو (بيناس) اليهود إلى الهجرة إلى أرض لا نظام يحكمها، أرض الحراذين والثعالب. أما (شلونسكي)، فقد أوضح في إحدى قصائده بعد ذلك: "كنا أدركنا أننا جئنا من أرض حية عامرة إلى أرض نائية معزولة مقفرة ينتظرنا فيها الجوع والملاريا، ورغم ذلك سنتمسك بالأمل".

الفصل الثاني

الدولة الحلم: من أوغندا إلى العريش فمدين وأخيرا فلسطين

في مقدمة كتابه "دولة اليهود"، كتب بنيامين زئيف هرتسل يقول: "الفكرة التي سأطرحها في هذا الكتاب، فكرة قديمة، تتمحور حول إقامة دولة يهودية في ظل غياب القوة والثراء اللازمين لنقل شعب كامل من مكان إلى مكان آخر، الأمر ممكن على صعيد التخيل والفكرة لم تبرح الخيال، بل كانت مستحوذة على اهتمام اليهود الذين طالما حلموا بالعودة إلى (أرض-إسرائيل)، وقد حان الوقت لنبرهن على أن هذا الحلم، يمكن أن يتحول إلى حقيقة واضحة وضوح الشمس..

"إن المشكلة اليهودية أمر واقع، ومن السفاهة إنكارها، إنها نتاج العصور الوسطى، التي لم تنجح الشعوب المتنورة في التغلب عليها حتى يومنا هذا.

إنها حقيقة قائمة في كل مكان يعيش فيه عدد كبير من اليهود، وإذا خلت من مكان، يحملها إليه اليهود المهاجرون...

"باعتقادي أن المسألة اليهودية، ليست مسألة دينية أو اجتماعية، رغم أنها قد تبدو كذلك، أو بإشكال أخرى، إنها قضية قومية، ولإيجاد حل لها، نأمل، وقبل كل شيء أن نتمكن من ترسيخها كقضية سياسية عالمية، تطرح وتناقش في مجالس الشعوب المثقفة، إننا شعب، شعب واحد".

للوهلة الأولى، بدت خطة هرتسل، نصا وروحا عادية بسيطة، بيد أنها أقحمت في إشكالات وتعقيدات ما زلنا نحاول حلها حتى اليوم.

ويتابع هرتسل قوله: "الخطة برمتها بسيطة للغاية وغير معقدة، وينبغي أن تكون كذلك، كي يتسنى للجميع فهمها واستيعابها، وكي تمنحنا السيادة على بقعة تكفي حاجاتنا كأمة.

خطة "بازل":

في واقع الأمر، كان الخطاب الحماسي الذي ألقاه هرتسل، بمثابة إعلان عن بدء المؤتمر وليس نهايته، فقد انتخب عقب ذلك، بالإجماع، رئيسا للمؤتمر، وتقرر أن يكون (ماكس نوردو) نائبا له، وما زال الجميع يرى في شخص هرتسل خير زعيم للحركة الصهيونية، حتى اليوم.

بيد أن خطاب (نوردو)كان أكثر قوة وحماسا من خطاب هرتسل، حيث تحدث فيه بالتفصيل عن وضع اليهود في أواخر القرن التاسع عشر،وقد عرف (نوردو) في ذلك الحين، ككاتب عالمي مبدع، متحدث فذ، واضح الرؤيا، يتمتع بالحكمة وسداد الرأي.

كانت الهتافات التي انطلقت فور انتهاء خطابه تؤكد أن كل ما قاله، قد تغلغل إلى الأعماق، وأن كل من حضر المؤتمر، كان يدرك تماما، أن اليهود في الغرب، يعانون من مشكلة روحية ومعنوية، وفي شرق أوروبا يعانون من الامتهان والإذلال والتفرقة على صعيد القانون والسياسة، والاقتصاد، ولم تكن معاناتهم كبقية بني البشر، بل لمجرد كونهم يهودا.

عقب انتهاء خطاب (نوردو)، خاض حضور المؤتمر، جولة من المباحثات والنقاشات حول وضع اليهود من ناحية، والفكرة الصهيونية كحل، من ناحية أخرى،

وقد تمت الموافقة في نهاية المطاف، على مشروع تسوية طرحه هرتسل تحت عنوان: "الصهيونية ترنو إلى إقامة كيان قومي للشعب اليهودي في (أرض-إسرائيل) تضمنه القواعد العامة". وقد سميت هذه الخطة "بخطة بازل"، وكي يتسنى تنفيذها، حدد المؤتمرون عددا من الإجراءات تتمثل فيما يلي:

*تطوير عملي هادف لأرض-إسرائيل، من خلال توطينها باليهود المزارعين والمهنيين والحرفين.

*تنظيم اليهودية وتأطيرها من خلال إنشاء مشاريع مجدية، محلية وعامة، حسب القوانين التي تقرها كل دولة.

*تعزيز الوعي والشعور القومي-اليهودي.

*القيام بنشاطات للحصول على موافقة الحكومات، والتي تعتبر ضرورية من أجل الوصول إلى أهداف.

وفي الوقت الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، كان في (أرض-إسرائيل) ٥٠.٠٠٠ يهودي، عاش ٤٥.٠٠٠ فيهم في تسع مستوطنات بلدية (في القدس وحدها، عاش حوالي ٢٠.٠٠٠)، فيما تمركز ٤.٣٥٠ منهم في تسع عشرة مستوطنة زراعية، وقد بلغت مساحة المنطقة التي زرعها اليهود في (أرض-إسرائيل) ١٨٠.٠٠٠ دونم، أضف إلى ذلك ١٢٠.٠٠٠ دونم، كانت تابعة للملكية اليهودية على ضفتي نهر الأردن.

بيد أن هذه المنطقة، كانت أقل من أن تستخدم كأساس لدولة يهودية، أو كأساس اقتصادي لهجرة المزيد من اليهود الذين سينصبون على زراعة الأرض، وكان من الواضح أن شراء المزيد من الأراضي، سيضمن مستقبل الحلم الصهيوني، فتقرر إنشاء صندوق قومي لهذه الغاية، وكان عالم الرياضيات، البروفيسور (تسفي هرمان

شبيرا)، أول من طرح اقتراحا من هذا النوع، خلال المؤتمر الصهيوني الأول، بيد أنه قوبل بالرفض.

وفي المؤتمر الرابع الذي عقد في لندن في آب عام ١٩٠٠، تم طرح ضرورة إنشاء صندوق قومي، وكلفت اللجنة التنفيذية باتخاذ الإجراءات التمهيدية اللازمة لذلك.

وجاء في المذكرة التي قدمتها اللجنة التنفيذية الصهيونية خلال المؤتمر الخامس عام ١٩٠١، والذي أعلن فيه إنشاء الصندوق القومي الإسرائيلي: "سيكون الصندوق القومي الإسرائيلي، ملكا أبديا للشعب اليهودي. ولن تستخدم أموال الصندوق لغاية سوى شراء الأراضي في (أرض-إسرائيل) وسوريا. وقد تقرر خلال المؤتمر مطالبة جميع اليهود، أغنياء وفقراء، بتقديم الدعم المالي للصندوق، كما تقرر تخصيص ثلثي أموال الصندوق لشراء الأراضي ورصد الثلث الباقي لفلاحتها والعناية بها.

وقد جاء في قرارات المؤتمر الصهيوني السادس، الذي عقد في بازل عام ١٩٠٣: "سيكون هدف الصندوق القومي، شراء أراض في (أرض-إسرائيل)، أراضي بناء، حقول بساتين، غابات وغير ذلك، وفلاحة هذه الأرض، أو تأجيرها لعناصر يهودية تقوم بفلاحتها، أو البناء عليها، مع حظر إعادة تأجيرها مرة ثانية، ولن يتم أبدا استخدام أكثر من ثلاثة أرباع رأس المال لشراء الأراضي، فيما سيخصص الربع الباقي لتنميتها والعناية بها...

ومن أهداف الصندوق الأخرى، تمكين العامل اليهودي الذي لا يملك رأس المال، من التوطن في الأرض، ترسيخ العمل اليهودي، السيطرة على الأرض، وكبح جماح ظاهرة السمسرة".

بدأ الصندوق القومي أعماله عام ١٩٠٥، وقد تمحورت، بداية، حول إنشاء المستوطنات وحتى إقامة الدولة عام ١٩٤٨، تمكن الصندوق من شراء حوالي مليون

دونم في شتى أنحاء (أرض-إسرائيل)، أنشئت عليها مئات المستوطنات، لكن مع إنشاء الصندوق التأسيسي عام ١٩٢٠ (الصندوق الوطني للوكالة اليهودية لدعم التوطن الزراعي في إسرائيل وإعمار البلاد)، ركز جل اهتمامه على شراء الأراضي وتشجيرها. وتمكن حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، من زراعة مساحات شاسعة في منطقة (بن شيمن)، (خلدة) وغيرها.

سرى نبأ إنشاء الصندوق القومي بين اليهود في شتى أنحاء العالم تحت شعار "الأرض لي ولن تباع إلى الأبد". فجندت الجهود لجمع الأموال اللازمة من خلال ما عرف "بالصندوق الأزرق"، الذي وضع في المنازل، المؤسسات والمدارس، التسجيل في سجلات العظماء مثل "السجل الذهبي"، التركات، والمساهمة بالغراس والأشتال.

خطة العريش:

طرحت خطة العريش في الفترة ما بين عامي ١٩٠٢-١٩٠٣، وكان هدفها إقامة مشروع استيطاني واسع النطاق في منطقة العريش في شبه جزيرة سيناء، بعد أن يئس هرتسل من الحصول على (وثيقة حقوق) في (أرض-إسرائيل) من السلطان التركي، وحسب الخطة، كان على حكومة مصر منح اليهود حق الاستيطان في تلك المنطقة، التي يفترض أن تستخدم مياه النيل لتنميتها، وإقامة لواء مستقل يشكل المرحلة الأولى والتمهيدية لتحويل (أرض-إسرائيل) إلى دولة يهودية، ولتحقيق هذا الهدف، أجريت اتصالات في لندن والقاهرة، وفي آذار ١٩٠٣ أرسل الهستدروت الصهيوني، طاقم أبحاث، إلى هناك، ضم الدكتور (هلال يافيه)، الكولونيل اليهودي من أصل إنجليزي (أوليفر جولد شميت)، المهندس الزراعي (زليغ سوسكين)، الزعيم الصهيوني (الكسندر ماربوك)، وممثلين عن حكومة مصر، بيد أن الخطة لم تصل إلى

مرحلة متقدمة، نظرا لموقف ممثل بريطانيا في مصر، (اللورد كرومر)، الذي عارضها لأسباب سياسية، وبعد فشل الخطة، طرح البريطانيون على هرتسل "خطة أوغندا".

خطة أوغندا:

في آب ١٩٠٣، انعقد المؤتمر الصهيوني السادس بحضور ستمائة عضو، في ظل الأحداث الدامية التي وقعت ضد اليهود في (كيشنيق)، قبل ذلك بأربعة أشهر، وقد رأى هرتسل في تلك الأحداث، حافزا جديدا للوصول إلى حل سريع لمشكلة اليهود الذين يعيشون وضعا صعبا في شرق أوروبا، بعد أن علم بفشل خطة العريش، وعدم إحراز تقدم على صعيد المفاوضات التي جرت مع عدد من الدول، بما فيها الامبراطورية العثمانية، فطرح على الأعضاء اقتراحا بريطانيا لإنشاء مستوطنات يهودية في (أوغندا) بشرق أفريقيا، الذي كان خاضعا للانتداب البريطاني، وقد برر الاقتراح بقوله: "صحيح أن الأرض الجديدة، لا تملك القيمة التاريخية والدينية التي تتمتع بها شبه جزيرة سيناء، بيد أنه لا يساورني أدنى شك، في أن الكونغرس، بوصفه ممثلا للجماهير اليهودية، سيقبل بهذا الاقتراح".

وأضاف هرتسل: "أنه سيتم منح المستوطنين اليهود، الذين سينقلون إلى ذلك المكان، حكما ذاتيا داخليا تحت قيادة حاكم يهودي".

ولتجسيد الاقتراح الذي نال ثقته المطلقة، اقترح هرتسل إرسال طاقم أبحاث يضم عددا من أعضاء المؤتمر الصهيوني لدراسة المكان.

غير أن أقوال هرتسل أثارت عاصفة هوجاء، وقد لاقى الاقتراح الذي سمي بـ "خطة أوغندا" معارضة قوية من ممثلي اليهود في روسيا، الذين طرحت الخطة من أجلهم، ورغم معارضة الكثير من أعضاء المؤتمر، تمت الموافقة بأغلبية ٢٩٥ صوتا ومعارضة ١٧٨ وإقناع ١٣٢ آخرين، بالاقتراح الخاص بتشكيل لجنة، تختص بدراسة

مسألة الاستيطان اليهودي في المنطقة التي اقترحتها حكومة بريطانيا، وتعمل على إسداء النصح والمشورة للجنة التنفيذية المصغرة، بشأن إرسال طاقم أبحاث إلى المناطق التي تحتاج إلى دراسة، على ألا يتم اقتطاع نفقات الطاقم من الأموال المخصصة للاستيطان اليهودي أو أموال اللجنة الإنجليزية-الفلسطينية أو الصندوق القومي الإسرائيلي، وأن تتم مناقشة مسألة إمكانية الاستيطان في شرق أفريقيا، خلال المؤتمر الذي سيعقد لهذه الغاية.

أدرك هرتسل، أن إقامة دولة يهودية في (أوغندا)، تتعارض مع الفكرة الصهيونية، التي يمكن أن تتجسد على (أرض-إسرائيل)، وقد أكد في خطابي الإفتتاح والاختتام على ذلك فقال: "إن منطقة شرق أفريقيا، ليست أرض صهيون، ولا يمكن أن تكون كذلك أبدا، وعليه، فإن هذا ليس سوى اتجاه خلقته الرغبة في الاستيطان، لكنه سيجسد وفقا لأساس قومي وسياسي، ومع ذلك، ليس بمقدورنا، الإلماح إلى جماهير الشعب اليهودي ببدء الهجرة". وأنهى الخطاب الختامي بقوله: "لتنساني يميني إذا نسيتك يا قدس".

لقد أوشكت "خطة أوغندا" على إحداث شرخ داخل الحركة الصهيونية، بيد أن هرتسل، أدرك خطورة الوضع فسارع إلى التراجع والاعتذار، وفي نيسان عام ١٩٠٤، أي قبل وفاته بوقت قصير، أعلن أمام أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية: "سأبقى مخلصا للشعب اليهودي وللقدس".

بعد مضي قرابة عام، تمخض المؤتمر السابع الذي عقد في بازل في تموز ١٩٠٥ عن قرار جاء فيه: "يعلن المؤتمر الصهيوني السابع، إن الهستدروت الصهيوني، متمسك بمبدأ "خطة بازل"، لإقامة كيان قومي لشعب إسرائيل على (أرض-إسرائيل)،

تضمنه القواعد العامة، وإنه يرفض أي فكرة تدعو إلى الاستيطان خارج (أرض-إسرائيل) والدول المجاورة".

وجاء في قرار آخر: "لقد قرر المؤتمر الصهيوني السابع، التوجه بالشكر الجزيل إلى الحكومة البريطانية التي عرضت علينا منطقة أوغندا، لنقيم عليها مستوطنات يهودية تتمتع بحقوق الحكم الذاتي... وإننا اليوم نشعر بالرضا العميق إزاء اعتراف الحكومة البريطانية بالحركة الصهيونية، ورغبتها، في التوصل إلى حل للمسألة اليهودية، ونطمع في كسب تأييد ودعم الحكومة البريطانية في المنطقة التي سنجد أنها مناسبة لتنفيذ "خطة بازل".

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كانت هذه بمثابة رؤية سياسية تحذيرية سبقت الإعلان عن وعد بلفور ١٩١٧؟ ربما، وعلى أية حال، جاء في قرار لاحق، "إن المؤتمر الصهيوني السابع يذكر، بل ويؤكد، أن الهستدروت الصهيوني يشمل جميع العناصر اليهودية المؤيدة "لخطة بازل"، حسب ما ينص عليه البند الأول من القانون الصهيوني".

وقد انتهى المؤتمر الصهيوني السابع، الذي بدأ برثاء هرتسل، ورفض "خطة أوغندا"، بانسحاب المعارضين لقراراته، مؤيدي "الهستدروت الإقليمي"، الذين أيدوا فكرة الإستيطان اليهودي في مناطق مختلفة من العالم، وليس فقط على (أرض-إسرائيل).

خطة مدين:

تهدف "خطة مدين" التي طرحت في أواخر القرن التاسع عشر، إلى إقامة دولة يهودية في منطقة "مدين"، شمال غرب شبه الجزيرة العربية، وكان عرّاب الفكرة، يهودي مرتد يدعى (باول فريدمان)، نشر عام ١٨٩١ كتيبا باسم "مدين"،

خاطب فيه يهود شرق أوروبا، الذين عانوا من التنكيل والقسوة، وطرح من خلاله نفس الفكرة. وقد نجح (فريدمان) في إقناع عشرات اليهود في مدينة (كركوب) ببولندا، بالانضمام إلى مشروعه، ولقد توجهت المجموعة شرقا مع نهاية عام ١٨٩١، حيث أبحر (فريدمان) ورجاله على متن سفينة أطلق عليها اسم "إسرائيل"، لكن بدلا من الوصول إلى منطقة ، مدين رست السفينة في "شرم المويا" القريب من شرم الشيخ، وعسكرت المجموعة هناك، كانت العلاقات بين (فريدمان) ورجاله هشة منذ البداية، وقد بلغ تدهورها حدا، واضطر معه إلى طرد قسم منهم، وقد أثار كل ما جرى في ذلك المعسكر، الرعب بين اليهود في شتى أنحاء العالم، ولفت في الوقت نفسه، انتباه الأتراك الذين خشوا من الاستيطان اليهودي، كما أبدى البريطانيون في مصر آنذاك، تحفظاتهم إزاء الفكرة وبعد حوالي شهرين، رفعت الخطة من جدول الأعمال.

الانتصار الأول للصهيونية العملية:

أفضى رفض "خطة أوغندا" إلى حدوث مواجهة داخلية عنيفة بين أتباع تياري "الصهيونية العملية" و "الصهيونية السياسية". ورغم اتفاقهم على الهدف النهائي، تباينت آراؤهم حول كيفية تحقيقه، فقد أراد أتباع "الصهيونية السياسية" الحصول بداية على ضمانات من دول تتكفل بمساعدتهم على إقامة الدولة اليهودية، وتعترف بهم كشعب بين الشعوب، فيما تمحورت آراء أتباع "الصهيونية العملية" حول المبادأة بنشاطات استيطانية قبل خوض أي مفاوضات سياسية.

وفي آب ١٩٠٧ التأم المؤتمر الصهيوني الثامن في العاصمة الهولندية (هاج)، وكان من بين أعضاء المؤتمر الدكتور (حاييم وايزمان)، أحد أنصار "الصهيونية العملية"، الذي كان يأمل ببلورة تعاون مشترك بين مؤيدي التيارين وقد اعتلى منصة المؤتمر، وألقى كلمة دعا من خلالها إلى تبني نشاطات صهيونية من نوع جديد، تجمع

بين تياري "الصهيونية العملية" و "الصهيونية السياسية"، وهو ما عرف "بالصهيونية المركبة"، وقد قال في كلمته: "كان آخر ما قاله هرتسل، "إننا وصلنا إلى طريق مغلق"، بالنسبة لنا-نحن أتباع "الصهيونية العملية"-الأمر لا يبدو بهذه الصورة، بيد أننا نعتقد أن علينا تغيير صورة مصطلح" وثيقة الحقوق"، علينا أن نقول للشعب، أن بمقدوره تحقيق الهدف الذي يصبو إليه، إذا بدأ اليوم فقط، بشراء الأرض التي يملكها...

"إننا نجمع على أن جميع ما يبذل من جهود، ليس سوى وسائل للوصول إلى الهدف، وحسب اعتقادنا، فإنهم يتبنون سياسات أحادية الجانب، وحتى الآن، لم تكن الصهيونية سوى صهيونية سياسية فقط، لقد أرادوا رفع معنويات الشعب عندما قالوا له، إن السلطة بيده، وإنها تميل لصالحنا، لكن الشعب كان يدرك أن اعتراف الحكومات بتطلعاتنا، لا يكفي، صحيح أنها تؤيدنا، بيد أنها لا تحرك ساكنا لترجمة طموحاتنا إلى واقع ملموس.

"لقد زعموا أنه ستسقط ضحايا في (أرض-إسرائيل) ينبغي أن يدرك الجميع أن أي عملية استيطانية، تستلزم وجود طلائعيين... إذا ظن معارضونا أن أسلوب العمل الذي ننتهجه غير آمن، فمن سيضمن أمن عملهم حتى إذا حصلوا على (وثيقة الحقوق) المنتظرة؟ من أجل (أرض-إسرائيل)، سنكون نحن، بني صهيون، الضحايا، فدون ضحايا، لن نحصل على الأرض. وبالطبع، لن نتراجع أبدا عن هدفنا".

"إننا نطمح في توليف حقيقي بين النظريتين...لن يقول أحدنا إن الصهيونية ليست حركة سياسية، لكن لا تجعلوا السياسات مقتصرة على الاستجداء أمام أبواب الحكومات ومعرفة رأيها بالصهيونية، لأن هذا لن يجدي نفعا، لقد توجهنا إلى كل الحكومات، ولا نستطيع البدء بجولة جديدة.

"إنني أرى الصهيونية السياسية، مزيجا من النشاطات على مختلف الصعد، والصهيونية العملية، هي السبيل للوصول إلى الهدف السياسي، إنني أؤيد أن تصبح المسألة اليهودية مسألة دولية، لكن، كما هي الحال عندما تريد حفر نفق، ينبغي أن يبدأ العمل من كلا الجهتين.على الأقل، لمست لدى الطرف الأول الرغبة في بدء العمل، في حين ادعى الطرف الآخر، بأن العمل صعب، وإن النفق يشكل بؤرة خطر، وما أردناه هو أن يبدأ العمل في نهاية المطاف.

"ينبغي أن يلقي المؤتمر الصهيوني على كاهل اللجنة التنفيذية، مهمة واضحة المعالم، لا تدع مجالا للشك، وللحقيقة، ينبغي علينا أن نطمح في الحصول على (وثيقة حقوق)، لكن فقط من خلال جهودنا (أرض-إسرائيل). ودون ذلك، لن تكون أكثر من قصاصة ورق .

العبرية كلغة رسمية:

خلال السنوات الأولى لعقد المؤتمرات الصهيونية، كرّس (اليعازر بن يهودا) في القدس نفسه لخوض غمار حرب اللغة العبرية، وكان يثق بأن النهضة القومية للشعب اليهودي، ستتحقق مع تجديد الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، وترسيخ اللغة العبرية كلغة رسمية.

وقد حظيت الفكرتان بتأييد المؤتمر الصهيوني، حيث أصدر في مجمل قراراته، قرارا ينص على وجوب تأسيس قسم جديد في إطار اللجنة التنفيذية (المصغرة)، يختص بالشؤون الفلسطينية، ويشرف على عمل (المكتب الإسرائيلي)، الذي كان في ذلك الحين، الممثلية الرسمية للحركة الصهيونية في (أرض-إسرائيل).

وقد ترأس هذا "المكتب" الذي عمل في يافا، منذ عام ١٩٠٨ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الدكتور (آرثر روبين)، بمساعدة الدكتور (يعكوف طاهون)،

وكان له أكبر الأثر في توطين اليهود، خلال الهجرة الثانية، وإنشاء المستوطنات وما عرف بالكيبوتسات والموشافات، وقد لعب إلى حد ما، دورا في تأسيس تل أبيب، كما أنشأ "المكتب" شركة "تأهيل الاستيطان"، التي لعبت دورا مهما في مشروع الاستيطان في (أرض-إسرائيل).

وجاء في قرار آخر، أصدره المؤتمر: "قرر الكونغرس الصهيوني، الاعتراف، مبدئيا، باللغة العبرية كلغة رسمية للحركة الصهيونية، وتبنيها بشكل عملي وتدريجي في أوساط الزعامة، المؤتمرات، والاتحادات الكونفدرالية اليهودية، ونظرا للحاجة الملحة إلى نشر الفكر الصهيوني في أوساط الجماهير اليهودية، يمكن للهستدروت الصهيوني استخدام لغات أخرى، إضافة إلى اللغة العبرية".

وبهذا يكون (بن يهودا) قد أحيا رفات اللغة العبرية، وكلل بالنجاح جهودا مضنية استغرقت خمسة وعشرين عاما.

حرب اللغات:

عرفت الصراعات التي دارت رحاها على (أرض-إسرائيل)، في الفترة ما بين عامي ١٩١٣-١٩١٤، حول اللغة التي ستعتمد رسميا في المدارس، "بحرب اللغات"، وقد نشب الخلاف على خلفية قرار مؤسسة "عزرا" اليهودية-الألمانية، اعتماد اللغة الألمانية للتعليم في المدرسة التقنية، التي أنشئت في حيفا، والتي أصبحت فيما بعد كلية الهندسة التطبيقية، حيث زعم ممثلو المؤسسة، بأن اللغة العبرية ما زالت لغة محدودة، نظرا لغياب المصطلحات التقنية والعلمية، ونقص كتب التدريس المصاغة بالعبرية، وعلى خلفية معارضة هذا الطرح، والرغبة في تعليم وتعلم اللغة العبرية، أعلن الإضراب في جميع مدارس المؤسسة وانضمت إليه مؤسسات تعليمية أخرى في شتى أنحاء (أرض-إسرائيل)، بيد أنه تم التوصل في نهاية الأمر إلى تسوية، وفي تلك

الأثناء، نشبت الحرب العالمية الأولى، ولما تم افتتاح كلية الهندسة التطبيقية، تم اعتماد اللغة العبرية.

العلاقة التركية-الألمانية:

عقدت المؤتمرات الصهيونية الثلاثة، التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، في ظل التحالف الألماني-التركي، الذي فرض آنذاك سيطرته على (أرض-إسرائيل)، التي عاشت أحداث ثورة "الشبان الأتراك".

كان المؤتمر التاسع أول المؤتمرات الصهيونية التي عقدت في ألمانيا، ففي كانون أول ١٩٠٩، وصل الأعضاء إلى مدينة (هامبورغ) الألمانية، على أمل أن يسهم المحور الألماني-التركي في تغيير نظرة الحكومة العثمانية الجديدة للصهيونية والاستيطان اليهودي، بيد أن خطابي (ولفسون) و (نوردو)، أثارا معارضة شملت ممثلي نشطاء "الهجرة الثانية"، الذين لعبوا دورا في اتخاذ قرار البدء بتنفيذ "الاستيطان التعاوني"، حسب خطة عالم الاجتماع اليهودي ألماني الأصل (فرانس أوفنهايمر).

أما المؤتمر العاشر الذي عقد في آب ١٩١١، بمدينة (بازل)، فقد تمخض عن انتصار حقيقي لمؤيدي تيار الصهيونية الواقعية-المركبة، حيث ناقش النشاطات

العملية للحركة الصهيونية في (أرض- إسرائيل)، وتم تخصيص وقت منه لمناقشة المسألة العربية، وضرورة البدء بحملة إعلامية في الأوساط العربية، لتوضيح ماهية الصهيونية وأهدافها.

بعد ذلك بعامين، وتحديدا في أيلول ١٩١٣، عقد المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فينا، وقدم خلاله (روبين) تقريرا مفصلا شمل ثلاثين عاما من الاستيطان في

(أرض-إسرائيل) (١٨٨٢-١٩١٢)، وتناول الدور الذي لعبته الحركة الصهيونية في إطار ذلك.

وحسب اقتراح (وايزمان)و (سوكولوب)، قرر المؤتمر إنشاء جامعة عبرية في القدس، بيد أن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ، بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

اتفاق سايكس-بيكو:

اندلعت الحرب العالمية الأولى في الأول من آب ١٩١٤، وانتهت في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩١٨.

ففي تشرين الأول ١٩١٤، انضمت تركيا إلى دول الوسط (ألمانيا، النمسا، هنغاريا)، وبما أن (أرض-إسرائيل)، كانت إحدى الجبهات في الحرب، فقد وضع الاستيطان العبري على محك اقتصادي وسياسي صعب، وتعرض وجوده للخطر، بسبب العداء الذي كان يكنه له الأتراك.

في أيلول ١٩١٤، ألغت تركيا الاحتكارات الرأسمالية (وثائق منحت الدول الأجنبية حقوقا لا لزوم لها في الإمبراطورية العثمانية)، وحرم المقيمون الأجانب، الذين كان معظمهم يهودا، من رعاية القناصل، كما فضل الكثيرون منهم مغادرة البلاد، على الاستجابة لدعوة التجنس بالجنسية العثمانية، أضف إلى ذلك، طرد الآلاف بأمر من السلطات العثمانية، ووفاة المئات جوعا ومرضا، وقد أسفرت هذه العوامل مجتمعة، عن انخفاض عدد اليهود في سنوات الحرب من ٨٥ ألفا إلى ٥٦ ألفا.

في فترة الحرب العالمية الأولى، بدأت المباحثات بين الدول العظمى حول تقسيم الإمبراطورية العثمانية، بعد هزيمتها، وفي إطار ذلك، طرحت مسألة (أرض-

إسرائيل)، وقد بذل (وايزمان) جهودا في لندن، لكسب تأييد بريطانيا للفكرة الصهيونية ومشروع الاستيطان في إسرائيل.

وفي تلك الآونة، قام وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا بتكليف البريطاني (ماركس سايكس) والفرنسي (جورج بيكو)، بإعداد خطة مفصلة لتقسيم المناطق العربية في الإمبراطورية العثمانية، وقد عرف هذا الاتفاق فيما بعد، باتفاق سايكس-بيكو، قسمت بناء عليه خارطة الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ تمت الإشارة إليها برموز وألوان مختلفة، حيث صبغت منطقة النفوذ البريطانية باللون الأحمر، ومنطقة النفوذ الفرنسي باللون الأزرق، وبين هاتين المنطقتين، تمت الإشارة على الخارطة إلى منطقتي "أ" و "ب"، اللتين تقرر بشأنهما ما يلي:

"إن فرنسا وبريطانيا الكبرى مستعدتان للاعتراف، بل وتأييد قيام دولة عربية مستقلة، أو كونفدرالية، بين دول عربية في منطقتي "أ"و "ب"، التي تمت الإشارة إليهما في الخارطة المرفقة".

وحسب الاتفاق، تم تقسيم (أرض-إسرائيل) إلى ثلاثة أقسام: قسم شمالي-وفيه نهر الليطاني، منابع نهر الأردن، طبريا واليرموك-وكان من المقرر تسليمه إلى فرنسا، منطقتا عكا وحيفا اللتان خصصتا لبريطانيا، والمناطق الوسطى والجنوبية من (أرض-إسرائيل)، بما في ذلك الأماكن المقدسة، التي تقرر أن تبقى تحت رعاية دولية، وقد جاء في الاتفاق ما يلي:

"سيتم منح بريطانيا مدينتي عكا وحيفا الساحليتين، وسيتم التعهد بتزويد كميات محدودة من مياه نهري دجلة والفرات، التابعين للمنطقة "أ" (الواقعة ضمن السيطرة الفرنسية)، لخدمة المنطقة "ب"، (الخاضعة لسيطرة بريطانيا)، وسيكون لبريطانيا الحق في بناء وإدارة وامتلاك السكة الحديدية التي تربط حيفا بالمنطقة "ب".

كما يحق لها نقل قوات عسكرية على طول هذا الخط الحديدي في أي وقت"، بيد أن هذا الاتفاق لم يخرج إلى حيز التنفيذ.

وعلى الرغم من أنه استخدم في حقيقة الأمر، كأساس لتقسيم منطقة الشرق الأوسط، لكنه لم ينفذ بصيغته الأولى، وفي الفترة ما بين عامي ١٩١٥-١٩١٩، جرت مباحثات لإجراء تعديلات مختلفة، إلى أن أعلن رئيس حكومة فرنسا، جورج كليما نصو، في الخامس عشر من شباط ١٩١٩، إن حكومته غير معنية بالاتفاق ولا "ترغب بتحمل مسؤولية إدارية في فلسطين".

كيان قومي:

في تلك الفترة التي أجرت فيها الدول العظمى مباحثات التقسيم، بدأ زعماء الحركة الصهيونية بطرح مطالبهم في (أرض-إسرائيل)، وفي أيلول ١٩١٤، بدأ (وايزمان) اتصالاته مع عدد من الساسة البريطانيين، وقد حظي هو و (سوكولوب) الذي انضم إليه، بتأييد ودعم اليهود ذوي النفوذ في بريطانيا، وفي الثاني من تشرين ثان ١٩١٧، تكللت كل الجهود المضنية التي بذلت على هذا الصعيد في تلك الفترة، في عواصم أخرى، وبشكل خاص في باريس، بالنجاح، حيث بعث وزير الخارجية البريطاني آنذاك، (آرثر جيمس بلفور) رسالة إلى البارون (ليونل روتشيلد)، الذي شارك الحكومة البريطانية في المفاوضات، وقد عرفت هذه الرسالة فيما بعد بـ "وعد بلفور" وجاء فيها:-

عزيزي اللورد روتشيلد:

يسرني أن أنقل إليك من حكومة بريطانيا، الإعلان الآتي الذي طرح أمام المجلس الوزاري، وتمت المصادقة عليه: "تعلن حكومة بريطانيا عن تأييدها لتأسيس كيان قومي للشعب اليهودي في (أرض-إسرائيل)، وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذا

الهدف، شريطة عدم القيام بأي خطوة يمكن أن تلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في (أرض-إسرائيل)، أو بالمكانة السياسية والحقوق التي يتمتع بها اليهود في أي بقعة أخرى، وسأكون شاكرا إذا أطلعت الاتحاد الصهيوني على هذا الإعلان".

آرثر جيمس بلفور

من إعلان إلى دولة:

كان نشر "وعد بلفور" إيذانا بانتهاء مرحلة النضال من أجل الاعتراف بحق سياسي لليهود في (أرض-إسرائيل)، وبدء مرحلة الكفاح من أجل إقامة دولة يهودية، بيد أن "وعد بلفور"، ترك العديد من المشاكل التي حاول السياسيون التغاضي عن بعضها، وتذكر على سبيل المثال، البند الذي يربط تجسيد الصهيونية على (أرض-

إسرائيل)، بعدم المساس بحقوق "الأغيار" هناك، والبند الذي يربط إقامة كيان قومي في (أرض-إسرائيل) بعدم المساس بالمكانة المدنية لليهود في الدول الغربية.

ولقد وجدت القيادة الصهيونية، في إسدال الستار على الحرب العالمية الأولى، حافزا لاتخاذ خطوات جديدة لتنفيذ "وعد بلفور"، وقد جاءت أقوال (حاييم وايزمان) في مستهل المؤتمر الصهيوني الثاني عشر الذي عقد في تشيكوسلوفاكيا، عقب انتهاء الحرب في أيلول ١٩٢١ تعبيرا واضحا عما حدث في الفترة ما بين عامي ١٩١٧-١٩٢١، وما تقتضي الظروف عمله من الآن فصاعدا، ومما جاء في خطابه:-

"لا يمكن اعتبار "وعد بلفور"، الحل النهائي لمسألتنا، وهذا ما ينبغي قوله وبوضوح، كل ما في الأمر، أنه أتاح أمامنا إمكانية الوصول إلى مثل هذا الحل، أعني أنه أساس لبناء كيان قومي، وليس كيانا قوميا قائما بحد ذاته، كما ينبغي ألا يغيب عن

أذهانكم، أنه لا توجد حتى الآن، طريق ممهدة إلى (أرض-إسرائيل)، وهذه الطريق، ينبغي أن تشق بجهدنا نحن، كي نجعل لوعد بلفور قيمة حقيقية".

اجتماع العقبة:

بعد خمسة أشهر من إعلان "وعد بلفور" أي في نيسان ١٩١٨، قررت القيادة الصهيونية، بموافقة الحكومة البريطانية إرسال وفد إلى (أرض-إسرائيل) لدراسة الوضع هناك، وإعداد الخطط اللازمة لإخراج هذا الوعد إلى حيز التنفيذ، وقد تجول هذا الوفد الذي ترأسه وايزمان، لبضعة أشهر في (أرض-إسرائيل)، كان الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي، قد أتم خلالها احتلال الأرض واتضح لأعضاء الوفد، الذي عرف فيما بعد باسم "لجنة المحاور"، أن الآثار التي خلفتها الحرب كانت قاسية، وأن عدد اليهود في (أرض-إسرائيل)، انخفض إلى حوالي ٥٦ ألفا.

استغرق عمل اللجنة في (أرض-إسرائيل) ثلاث سنوات، تركزت خلالها الجهود على النشاطات السياسية وترميم المستوطنات، كان مقرها بداية في يافا، ومن ثم انتقلت إلى القدس، وقد واصل "المكتب الإسرائيلي" أيضا، العمل إلى جانبها.

كان (وايزمان) يدرك بأن المواجهة مع العرب المقيمين في (أرض-إسرائيل) والدول المجاورة، ستسهم في تعقيد الأمور، فتوجه في حزيران ١٩١٨، إلى العقبة للقاء الأمير فيصل، نجل الشريف حسين بن علي، شريف مكة وملك الحجاز، وقد كان فيصل آنذاك، قائد القوات العربية التي ساعدت البريطانيين في حربهم ضد الأتراك. ولما دعي في الأول من كانون الثاني عام ١٩١٩، لحضور مؤتمر السلام" الذي عقد في باريس عقب الحرب قال:- "يشكل العرب الغالبية العظمى من السكان في (أرض-إسرائيل)، وتربطهم باليهود قرابة العرق إلى حد بعيد.وليس هناك تناقض بين الخصائص التي تميز الشعبين، فمن حيث المبدأ، نحن متفقون في الرأي، قطعا، ومع

ذلك، لا يستطيع العرب تحمل مسؤولية المواجهة العرقية والدينية بين الشعبين على هذه الأرض، التي ألحقت بالعالم بأسره كثيرا من الصعوبات والمشاكل".

في الثالث من كانون الثاني، اجتمع (وايزمان) الذي كان هو الآخر في باريس بالأمير فيصل ثانية، ووقعا على وثيقة أجملت نتائج المحادثات بينهما، وانطلاقا من اعترافهما بالقرابة العرقية والعلاقات القديمة القائمة بين العرب واليهود، والافتراض بأن أيسر السبل إلى تحقيق طموحاتهم الوطنية تتمثل في تبني تعاون مشترك شجاع، لتطوير الدولة العربية و (أرض-إسرائيل)، وانطلاقا من الرغبة في التأكيد على مستوى التفاهم الواضح بينهما، اتفقا على ما يلي:-

*تتم إدارة جميع شؤون ومشاريع الدولة العربية و (أرض-إسرائيل) بروح ودية وبأقصى قدر من التفاهم المتبادل والودي، وعليه، يتم تعيين ممثل لكل دولة في الدولة الأخرى.

*فور انتهاء النقاشات في مؤتمر السلام يتم ترسيم الحدود النهائية بين الدولة العربية و (أرض-إسرائيل)، وتتولى هذه المهمة لجنة معتمدة من كلا الجانبين المعنيين بهذا الاتفاق.

*في سن التشريع وإدارة (أرض-إسرائيل)، يتم التمسك بكافة الوسائل التي يمكن أن تشكل ضمانة كاملة لتنفيذ وعد حكومة بريطانيا الصادر في ١٩١٧/١١/٢.

*تتخذ كافة الوسائل اللازمة لتشجيع ودعم هجرة اليهود على نطاق واسع إلى (أرض-إسرائيل)، ويتم توطين المهاجرين اليهود، بصورة مكثفة وبالسرعة القصوى من خلال فلاحة مكثفة للأرض، ومع ذلك، تتم حماية الفلاح العربي، وحقوق العمال المأجورين، ويتم تقديم المساعدة اللازمة لهم لتطوير اقتصادهم.

*لا يتم تحديد نظام ولايسن قانون يحظر أو يعيق، بأي شكل من الأشكال، حرية الدين، وإضافة إلى ذلك، لن يسمح مطلقا بحرية الدين والصلاة، انطلاقا من مبدأ التمييز أو حق الأقدمية، كما لن يتم أبدا تحديد معيار ديني لممارسة حقوق مدنية أو سياسية.

*تكون المقدسات الإسلامية تحت رقابة إسلامية.

*يرسل الهستدروت الصهيوني إلى (أرض-إسرائيل) لجنة خبراء لدراسة الإمكانيات الاقتصادية هناك، وإعداد تقرير حول أفضل الوسائل الممكنة لتطويرها كما سيسعى الهستدروت الصهيوني إلى بذل أقصى طاقاته لمساعدة الدولة العربية من خلال توفير الوسائل اللازمة لتطوير مواردها الطبيعية وإمكاناتها الاقتصادية.

*تتفق الأطراف الموقعة على هذه الوثيقة على العمل في كافة القضايا المدرجة فيها، بعد الاتفاق والتفاهم التام في مؤتمر السلام.

*يتم عرض جميع الخلافات التي يمكن أن تنشب بين طرفي الاتفاق، على الحكومة البريطانية لتنظر فيها.

ورغم شمولية هذا الاتفاق لجوانب عديدة، بيد أنه ترك أيضا بعض علامات الاستفهام، فلقد توخى الأمير فيصل الحذر الشديد في الوصف السياسي النهائي (لأرض-إسرائيل)، أضف إلى ذلك أن (أرض-إسرائيل) تبدو كمجرد كيان جغرافي، مفتوح أمام الاستيطان اليهودي، لكنه لم يتحدد كجزء منفصل عن المنطقة التي ستقام فيها دولة عربية، وفي نهاية الاتفاق، أضاف الأمير فيصل عبارة تقول: "إن تنفيذ الاتفاق مشروط بإقامة المملكة العربية التي وعدت الدول العظمى بها".

ولقد أثار حضور فيصل لمؤتمر السلام في باريس، حفيظة الكثيرين في العالم العربي، الذين عملوا ضد الاتفاقيات التي أبرمها.

وقد شكلت في دمشق لجنة وطنية عربية عارضت فرض الانتداب الفرنسي على سوريا، والانتداب البريطاني على (أرض-إسرائيل) (فلسطين). وقد لعبت هذه اللجنة دورا كبيرا في إذكاء نيران التوتر في شمال (أرض-إسرائيل)، والذي تمخض في آذار ١٩٢٠ عن هجوم "المتمردين" العرب على "المطلة" و "تل حي"، اللتين كانتا مع قرية (جلعادي)، معزولتين في الشمال، وقد غادر مستوطنو الجليل المنطقة لبضعة أشهر إثر ذلك، غير أنهم عادوا إليها في تشرين أول من نفس العام.

ولقد أحدث تصميم مستوطني أصبع الجليل على عدم مغادرة المنطقة، تغييرات في اتفاق سايكس-بيكو، وأدى إلى إدراج الجليل الأعلى الشرقي في إطار المناطق الخاضعة للانتداب البريطاني، كما تقرر ضم "المطلة"، منابع نهر الدان وبانياس، ومنحدرات الجولان إلى مناطق النفوذ البريطاني.



العمل العبري يدخل مرحلة جدية

الانتداب البريطاني:

كان احتلال الجيش البريطاني لـ (أرض-إسرائيل)، وتخليصها من أيدي الأتراك، جزءا من سيناريو الحرب العالمية الأولى. ففي اتفاقات سرية أبرمت بين الدول الحليفة، تقرر أن تواصل بريطانيا السيطرة على (أرض-إسرائيل)، بيد أن تلك الاتفاقيات لم تكن سارية المفعول بشكل رسمي، إذ كان ما يزال هناك من يتطلعون إلى زعزعة التسوية السياسية الجديدة.

في نيسان ١٩٢٠، وبعد وقت قصير من مهاجمة تل-حي، قرر المجلس الأعلى لمؤتمر السلام، الذي كان مقره آنذاك في مدينة سان-ريمو الإيطالية، إدراج "وعد بلفور"، في إطار وثيقة السلام مع تركيا، وقد أضيف إلى الوثيقة بند جاء فيه: "اتفق الجانبان الموقعان على الوثيقة، على وضع (أرض-إسرائيل) تحت وصاية حكومة تنتجها حكومات الدول الحليفة، بحيث تكون هذه الحكومة، مسؤولة عن تنفيذ الوعد البريطاني (وعد بلفور ١٩١٧)، الخاص بتأسيس "كيان قومي" للشعب اليهودي على (أرض-إسرائيل)، على أن لا يتم المساس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية في (أرض-إسرائيل)، أو بحقوق اليهود ومكانتهم السياسية في أي دولة أخرى".

وبناء على القرارات المنبثقة عن مؤتمر سان ريمو، قررت الحكومة البريطانية، وقف السيطرة العسكرية التي فرضتها منذ عام ١٩١٨، دون انتظار

الموافقة النهائية لعصبة الأمم المتحدة، على مسألة فرض الوصاية على (أرض-إسرائيل)، كما قررت، رغم تحذيرات القادة العسكريين في المنطقة، وعلى رأسهم الجنرال (اللنبي)، تعيين السياسي اليهودي البارز، والمؤيد لوعد بلفور (هربرت صموئيل)، ليكون المندوب السامي الأول في (يهودا)-جنوب الضفة الغربية.

انتهت فترة الحكم العسكري مع وصول (صموئيل) إلى (أرض-إسرائيل) في الأول من تموز ١٩٢٠، وقد منحت الحركة الصهيونية، في ذلك الوقت، فرصة سياسية نادرة للعمل من أجل تأسيس دعائم الاستيطان العبري، ودفع فكرة إقامة الدولة العبرية.

استمر الحكم البريطاني (لأرض إسرائيل) عامين، دون تخويل من قبل عصبة الأمم المتحدة، إذ لم يتم الانتهاء من وضع الصيغة الكاملة للوثيقة التي منحت بريطانيا حق فرض سيطرتها على (أرض-إسرائيل)، إلا في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٢. وتعتبر هذه الوثيقة، سارية المفعول ابتداء من تاريخ ١٩٢٣/٩/٢٩.

ومما جاء في صيغة صك الانتداب:

"بما أن الدول العظمى اتفقت فيما بينها، على تجسيد البند رقم "٢٢" من ميثاق عصبة الأمم المتحدة، الخاص بتسليم زمام السيطرة على (أرض-إسرائيل)-التي كانت قبل ذلك تابعة للإمبراطورية العثمانية، إلى حكومة تختارها الدول آنفة الذكر، بالحدود التي تقررها:

"وبما أن الدول العظمى، اتفقت كذلك على أن تكون الحكومة المنتدبة، مسؤولة عن تنفيذ "الوعد" الذي قطعته حكومة جلالة ملك بريطانيا في الثاني من تشرين ثان ١٩١٧، وصادقت عليه الدول العظمى آنفة الذكر، من أجل تأسيس "كيان قومي "للشعب اليهودي على (أرض-إسرائيل)، شريطة عدم القيام بأي عمل قد يمس

بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في (أرض-إسرائيل)، أو بالحقوق والمكانة السياسية لليهود في أي دولة أخرى: "وبما أن الدول العظمى اختارت جلالة ملك بريطانيا مسؤولا عن (أرض-إسرائيل): "وبما أن شروط الوصاية فيما يتعلق (بأرض-إسرائيل) قد صيغت في البنود التالية، وقدمت لمصادقة عصبة الأمم المتحدة: "وبما أن جلالة ملك بريطانيا، تعهد بتنفيذ الوصاية على (أرض-إسرائيل) باسم الأمم المتحدة، وفقا للشروط الموضحة فيما يلي:

"وبما أنه جاء في البند رقم ٢٢ المذكور آنفا أن حجم الصلاحية، الحكم أو الإدارة، التي ستمارسها حكومة الانتداب-والتي لم يتفق الأعضاء في عصبة الأمم المتحدة عليها بعد، بحاجة إلى وصف جلي وواضح من عصبة الأمم المتحدة:

:وبما أنه تم بناء على ذلك، الاعتراف بأسس إعادة بناء الكيان القومي للشعب اليهودي على هذه الأرض: فإن عصبة الأمم المتحدة تحدد في إطار المصادقة على هذا الصك، وشروطه كما يلي:

١-سيكون لحكومة الانتداب الصلاحيات الكاملة فيما يتعلق بالتشريع والإدارة، شريطة أن لا تكون هناك قيود مسبقة في هذا الصك.

٢-حكومة الانتداب، مسؤولة عن وضع الأرض ضمن شروط سياسية، إدارية واقتصادية تضمن إقامة الكيان القومي اليهودي، وفق التوجيهات المذكورة آنفا، وتضمن تطور مؤسسات الحكم الذاتي، وحماية الحقوق المدنية والدينية لجميع المقيمين في (أرض-إسرائيل)، دون التمييز بين دين وآخر، أو شعب وآخر.

٣-تعمل حكومة الانتداب على تشجيع الحكم الذاتي المحلي، وفقا لما تسمح به الشروط.

٤-يكون لليهود جهة تمثلهم (وكالة يهودية) يتم الاعتراف بها كمؤسسة علنية، تسدي النصح والمشورة إلى إدارة (أرض-إسرائيل)، وتشاركها العمل في المجالات الاقتصادية، الاجتماعية وغيرها، طالما أنها أمور تمس بإقامة "الكيان القومي" اليهودي ومصالح الاستيطان اليهودي على (أرض-إسرائيل)، كما سيكون من مهامها مدّ يد العون والمشاركة في تطوير الأرض تحت إشراف الحكومة.

٥-تحرص حكومة الانتداب على عدم تسليم أو تأجير جزء من (أرض-إسرائيل) إلى أي حكومة أجنبية، أو وضعها بأي شكل من الأشكال تحت إشراف أي حكومة.

٦-بضمانها حقوق ومكانة بقية الطوائف، تسهل إدارة (أرض-إسرائيل) الهجرة اليهودية، وتتعاون مع الوكالة اليهودية المذكورة في البند رقم (٤)، من أجل التوطين المكثف لليهود على (أرض-إسرائيل)، بما في ذلك أراضي الحكومة والأراضي المهجورة.

٧-تكون إدارة (أرض-إسرائيل) مسؤولة عن سن قانون منح الجنسية، الذي سيشمل أيضا إرشادات، تسهل على اليهود المقيمين إقامة دائمة في (أرض-إسرائيل)، الحصول على الجنسية الإسرائيلية.

١١-تقوم إدارة (أرض-إسرائيل)، بكل ما يلزم، للحفاظ على مصالح الجمهور اليهودي، بما يتناسب مع تطوير (أرض-إسرائيل)...

والحكومة مخولة بالتوصل إلى اتفاق مع الوكالة اليهودية، المذكورة في البند رقم "٤"،يخولها فتح أي مؤسسة، أو استغلال أي ثروة من الثروات الطبيعية، إذا لم تأخذ الحكومة على عاتقها القيام بتلك المهام.

١٣-تتعهد حكومة الانتداب بتحمل كامل المسؤولية عن الأماكن المقدسة،والأماكن الدينية في (أرض-إسرائيل)، بما في ذلك حماية الحقوق القائمة في الوقت الحالي،

وضمان حرية الوصول إلى تلك الأماكن، وحرية آداء الشعائر الدينية فيها، وفقا للأنظمة والقواعد..

١٥-تحرص حكومة الانتداب على ضمان حرية المعتقدات وحرية ممارسة جميع أشكال الطقوس الدينية، شريطة عدم انتهاك النظام العام ومبادئ السلوك الأخلاقي، كما تحرص على عدم ممارسة التمييز بين سكان (أرض-إسرائيل)، على خلفية جنس أو دين أو لغة.

٢٢-تكون الإنجليزية، العربية والعبرية، اللغات الرسمية في (أرض-إسرائيل)، ويتم إقران اللغة العربية بالعبرية، في كل ما يكتب على طوابع البريد أو العملات في (أرض-إسرائيل).

٢٣-تعترف إدارة (أرض-إسرائيل) بأعياد جميع الطوائف في (أرض-إسرائيل) بوصفها أيام عطل لأبناء تلك الطائفة.

٢٤-تقدم حكومة الانتداب إلى عصبة الأمم المتحدة تقريرا سنويا، حول الخطوات التي تم اتخاذها خلال العام، لإخراج صك الانتداب إلى حيز التنفيذ، وينبغي إرفاق التقرير بنسخ عن جميع القوانين والأنظمة التي وضعت خلال العام.

٢٥- في المناطق الممتدة بين نهر الأردن والحدود الشرقية (لأرض إسرائيل)- كما سيتم تحديده مستقبلا- ستكون حكومة الانتداب مخولة-بموافقة عصبة الأمم المتحدة- بإرجاء أو عرقلة فرض الأوامر المدرجة في هذا الصك، إذا تعذر عليها فرضها في ظل الظروف الراهنة، وتحديد أوامر إدارية، حسب ما تراه مناسبا.

٢٧-موافقة عصبة الأمم المتحدة، ضرورية في حال حدوث أي تغيير في بنود صك الانتداب.

٢٨-في حال انتهاء الوصاية التي خولت بها الحكومة المنتدبة، فإن عصبة الأمم المتحدة مدعوة لبذل كل ما في وسعها وحسب ما تراه مناسبا، للحفاظ على الحقوق المدرجة في البندين (١٣) و (١٤) الخاصين بالأماكن المقدسة.

النظام البريطاني والاستيطان اليهودي:

بعد أن تم إدراج "وعد بلفور" في صك الانتداب، أصبح من واجب الحكومة المنتدبة، أن تواجه مشكلة يستلزم حلها جهدا كبيرا وموارد عديدة: إنها مسألة الصراع اليهودي-العربي التي كانت أبرز سمة انفردت بها (أرض-إسرائيل) عن بقية الدول المستعمرة.

من وجهة نظر صهيونية، برزت خصوصية صك الانتداب في تأكيده، وبصورة لا تقبل التأويل، على وجود علاقة بين الشعب اليهودي و (أرض-إسرائيل)، واعتبار مسألة إقامة "كيان قومي يهودي" أحد أسباب منح الوصاية لحكومة بريطانية.

بيد أن الانتداب على (أرض-إسرائيل) اختلف ومن نواح عديدة، عن الانتداب الذي فرض على مناطق آسيا العثمانية-أرض ما بين النهرين (العراق) سوريا ولبنان، ففي البند الأول من وثائق صك الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، والبريطاني على العراق، طولبت الحكومة المنتدبة بسن تشريع مناسب في غضون ثلاث سنوات، واتخاذ سلسلة من الخطوات، تسهل عملية التطوير التدريجي لتلك المناطق باعتبارها دولا غير تابعة، بيد أن هذه التوجيهات، لم تدرج في صك الانتداب على (أرض-إسرائيل)، كما بم تدرج فيه عبارة "مع انتهاء الانتداب" التي صيغت في وثائق صك الانتداب على الدول الأخرى، والتي تعني أن الانتداب سينتهي ذات يوم، وتمت الاستعاضة عنها بعبارة "في حال انتهاء الانتداب"، أي أنه من غير الواضح ما إذا كان الانتداب سينتهي أم لا.

وقد جاء البند رقم "٢٥" في صك الانتداب مخالفا "لوعد بلفور" نصا وروحا، إذ خلق تنفيذ هذا البند حقائق سياسية جديدة، حيث تم اقتطاع ٩٠.٠٠٠كم-والتي هي مساحة الأردن التي كانت تشكل أكثر من ثلاثة أرباع منطقة (أرض-إسرائيل) الانتدابية-من المناطق التي كانت مخصصة لإقامة "كيان قومي يهودي"، وقد جاءت سياسات الحكومة البريطانية، التي بلورها وزير المستعمرات، (ونستون تشرتشل) قبل منح الوصاية، لفصل الضفة الشرقية لنهر الأردن وتسليمها للأمير عبد الـلـه، النجل الثاني للشريف حسين ملك الحجاز، وجدّ الملك الحسين.

تبلورت وجهة نظر (تشرتشل) أثناء جولة قام بها في منطقة الشرق الأوسط، في ربيع عام ١٩٢١، وخلال إقامته في القدس، استقبل وفدا من وجهاء العرب في (أرض-إسرائيل)، طالبوا بإلغاء فكرة إقامة "كيان قومي" للشعب اليهودي. وعندما رفض (تشرتشل) ذلك، بدأوا باستثارة الجمهور العربي، وتحريضه، إلى أن قامت مجموعة من الشبّان العرب في أيار ١٩٢١، بمهاجمة عدد من المستوطنات والأحياء اليهودية، وقتل ٤٧ يهوديا، وقد كان من بين القتلى الأديب (ي.ح بيرنر) الذي لقي مصرعه في يافا، بمنطقة (كريات شالوم) اليوم، جنوب مدينة تل أبيب.

وعلى خلفية الواقع الذي تعيشه (أرض-إسرائيل)، نشب صراع سياسي بين الاستيطان اليهودي والقيادة العربية، فبعد أحداث أيار ١٩٢١، توجه وفد من السكان العرب في (أرض-إسرائيل) إلى لندن، باريس، برلين وعواصم أخرى، بهدف الحيلولة دون إقامة "كيان قومي" لليهود. وقد رأت القيادة الصهيونية، أن من الضروري العمل ضد الأهداف التي ينشدها الوفد العربي، لا سيما وأن أوساطا مختلفة في لندن أعربت عن تأييدها لمطالبه.

وفي الأول من تموز ١٩٢١، أصدرت بريطانيا، تحت ضغط يهودي-صهيوني، وثيقة عرفت فيما بعد "بالكتاب الأبيض" صاغها المندوب السامي، (هربرت صموئيل)، وجاء فيها:

"لقد أعاد وزير الحكومة لشؤون المستعمرات، النظر في الوضع السياسي الراهن، في (أرض-إسرائيل)، انطلاقا من رغبته الشديدة في التوصل إلى حل شامل للمسائل العالقة، التي أدّت إلى خلق الضبابية، وعدم الارتياح بين السكان.

وبعد استشارة المندوب السامي في (أرض-إسرائيل)، قرر إعداد هذا البيان الذي يشمل تلخيصا لأهم ما جاء في الرسائل التي تم تبادلها بين وزير الحكومة البريطانية، ووفد من رابطة العرب والمسلمين في (أرض-إسرائيل)، وتفصيلا للنتائج الأخرى التي تم التوصل إليها بعد ذلك.

"إن التوتر الذي يسود (أرض-إسرائيل) بين فترة وأخرى يستسقي جذوره من المخاوف التي تعتري السكان العرب واليهود، على حد سواء، ولا شك في أن قلق السكان العرب، يأتي على خلفية التحليلات المبالغ فيها لـ "وعد بلفور" الذي ينظر بعين العطف لتأسيس "كيان قومي" يهودي، في (أرض-إسرائيل). لقد أصدروا تصريحات غير مؤكدة، تقول أن غاية "وعد بلفور" جعل (أرض-إسرائيل) يهودية تماما، مثلما أن إنجلترا إنجليزية تماما. بيد أن حكومة بريطانيا، ترى استحالة تحقق مثل هذه الأمور، وهي لا تطمح في تحقيق أي هدف من هذا النوع، كذلك لم يخطر ببال الحكومة البريطانية، ما خطر ببال الوفد العربي-كما يبدو- من إمكانية أن يؤدي "وعد بلفور" إلى ضياع أو استعباد السكان العرب، اللغة أو الثقافة العربية في (أرض-إسرائيل)، وأن حكومة جلالته تود لفت الانتباه إلى أن الوعد المذكور آنفا، لا يعني تحويل (أرض-إسرائيل) برمتها إلى "وطن قومي" للشعب اليهودي، وإنما إقامته

في داخلها، وبناء على هذا التفسير، يرى وزير المستعمرات أن الوعد لا يتضمن ما يستحق أن يثير مخاوف الجماهير العربية في (أرض-إسرائيل)، أو الشعور بالإحباط لدى اليهود.

"ومن أجل تجسيد هذه السياسات، ينبغي تشجيع الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، وتعزيز الاستيطان فيها، بقدر ما تسمح به الظروف الاقتصادية، وبصورة لا تشكل عبئا على بقية السكان بوجه عام".

"لقد سارت الهجرة حتى هذا اليوم وفق هذا المنظور، إذ لم يتجاوز عدد المهاجرين اليهود منذ الاحتلال البريطاني (٢٥) ألفا، كذلك، ينبغي ضمان عدم دخول عناصر غير مرغوب فيها سياسيا، وقد اتخذت حكومة (أرض-إسرائيل) جميع الوسائل اللازمة لذلك..."

ولقد تطرق "الكتاب الأبيض" وبصورة غير مباشرة، إلى فصل الضفة الشرقية لنهر الأردن عن المنطقة التي خصصت لإقامة "الكيان القومي اليهودي"، وجاء فيه بهذا الخصوص:-

ينبغي توضيح بعض النقاط فيما يتعلق بالتشريع الذي يعتزم جلالة ملك بريطانيا سنه في (أرض-إسرائيل).

*أولا: ليس صحيحا، ما يزعم به الوفد العربي، من أن حكومة بريطانيا تعهدت إبان الحرب، بتأسيس مجلس وطني مستقل في (أرض-إسرائيل)، فهذه المزاعم تستند بشكل رئيسي إلى الرسالة التي بعث بها السيد (هنري مكماهون)، في الرابع والعشرين من تشرين أول ١٩١٥، عندما كان المندوب السامي في مصر، إلى ملك الحجاز، الشريف حسين، والتي فسرها الوفد على أنها وعد بريطاني بالاعتراف باستقلالية العرب في المناطق التي اقترحها شريف مكة، ودعم هذا الاستقلال فيما

بعد، بيد أن هذا الوعد كان مقيدا بشرط تم التأكيد عليه في تلك الرسالة، يستثني الأقسام السورية الواقعة غربي ولاية دمشق، وقد كان هذا الشرط من وجهة نظر حكومة بريطانيا، يشمل ولاية بيروت ولواء القدس، وبذلك، يكون السير (مكماهون) قد استثنى من وعده منطقة (أرض-إسرائيل) كلها، الواقعة غربي نهر الأردن.

وتجدر الإشارة إلى أن "الكتاب الأبيض" أوضح وبشكل جلي، أن إقامة اليهود على (أرض-إسرائيل)، "حق لهم وليس صدقة"، بيد أنه أورد مع ذلك، تحليلا "لوعد بلفور" يقول، إن "الكيان القومي" اليهودي، سينشأ داخل (أرض-إسرائيل)، وليس عليها كلها، وأن الوضع الاقتصادي سيكون الأساس الذي سيحدد حجم الهجرة اليهودية.

أما الموافقة الرسمية لاقتطاع الضفة الغربية لنهر الأردن، فقد صدرت في مرسوم ملكي في الأول من أيلول ١٩٢٢، جاء فيه:-

"إن المرسوم الملكي الخاص (بأرض-إسرائيل) لعام ١٩٢٢، لن يطبق على المنطقة الممتدة شرق نهر الأردن، والتي تتواصل من النقطة الواقعة على مسافة ميلين غرب مدينة العقبة، مرورا بوسط وادي عربة والبحر الميت ونهر الأردن، وانتهاء بنقطة التقاء نهر الأردن مع نهر اليرموك، وتتواصل من هناك في وسط نهر اليرموك حتى حدود سوريا".

بيد أن رد الإدارة الصهيونية لم يتأخر، ففي رسالة بعث بها (زئيف جابوتنسكي) إلى صحيفة (جويش كرونيكال) قال: "إن وثيقة "الكتاب الأبيض" نصا وروحا، تنطوي على الإذلال والتحقير، لكن باعتقادي أنها لا تشمل سطرا واحدا يستبعد إمكانية إنجاز أهداف الصهيونية، وعلى رأسها خلق أغلبية يهودية في (أرض-إسرائيل). وبما أن الإعلان لا يستبعد هذه الإمكانية، فكل ما بقي ليس مهما".

أما الرد الرسمي للقيادة الصهيونية فقد صدر بعد ذلك بعام تقريبا، في المؤتمر الصهيوني الثالث عشر، الذي عقد في آب ١٩٢٣، والذي تقرر خلاله إنشاء جامعة عبرية في القدس، وقد جاء في أحد قراراته:-

"انطلاقا من الاعتراف بأن (أرض-إسرائيل) الشرقية والغربية جزء لا يتجزأ على الصعيد التاريخي، الجغرافي، والاقتصادي، فإن المؤتمر يعبر عن توقعاته بأن يتم تحديد مستقبل شرقي الأردن، حسبما يتناسب مع المطالب الشرعية لشعب إسرائيل".

لقد كان لشعب إسرائيل مطالب شرعية بيد أن تحقيقها يحتاج إلى جهود مضنية فقد أوضحت نتائج التعداد السكاني الذي أجري في تشرين أول ١٩٢٢، أن عدد اليهود لم يتجاوز (٨٣) ألفا من إجمالي عدد السكان في (أرض-إسرائيل)، الذي بلغ ٧٥٧.٢٠٠ نسمة، والاستيطان اليهودي الذي اتسع في غضون خمس سنوات (١٩١٨-١٩٢٣)، بنسبة ٥٠% تقريبا، كان ما يزال يشكل أقلية لا تزيد نسبتها على ١١%، بيد أن فرصة التعايش كانت لا تزال قائمة، كما أكد على ذلك الأمير عبد اللـه في شرق الأردن، عندما كتب يقول: "إن (أرض-إسرائيل) كيان واحد، وتقسيم الأرض إلى جزأين على ضفتي نهر الأردن، تقسيم زائف ومشوه، لأنه بمقدورنا نحن العرب واليهود، أن نتعايش سويا وبسلام على الأرض الكاملة، لكن يبدو لي أنه سيكون من الصعب عليكم التفاهم مع السكان الفلسطينيين، عليكم إبرام حلف معنا نحن عرب العراق، شرقي الأردن، والعرب في شبه الجزيرة العربية، فنحن فقراء وأنتم أثرياء، من فضلكم أن تأتوا إلى شرق الأردن، وأنا أضمن أمنكم، وسنعمل معا لصالح البلاد".

أسس الحكم البرلماني:

في التاسع عشر من نيسان ١٩٢٠، أجريت الانتخابات الأولى لمجلس ممثلي الاستيطان اليهودي، وشارك فيها جميع ممثلي التيارات الاستيطانية في عشرين قائمة مثلت استيطانا منقسما على ذاته، وقد حصلت كل قائمة على مقعد في المجلس، وتشكلت أربع كتل عملت فيما بعد لسنوات طويلة وهي كتلة حركة العمال (تنوعات هبوعليم)، الكتلة الطائفية، الكتلة المدنية والكتلة الدينية، بيد أن النظام العسكري البريطانية حظر انعقاد المجلس، إلى أن سمح المندوب السامي الأول، (هربرت صموئيل) بذلك في تشرين أول ١٩٢٠، بعد أن تم استبدال النظام العسكري بالنظام المدني.

كان مجلس ممثلي الاستيطان اليهودي، الذي تغير عدد أعضائه من مرة لأخرى، أشبه ببرلمان للنقاشات العامة، ومن بين أعضاء المجلس، تم اختيار أعضاء اللجنة الوطنية، التي بلورت السياسات اليهودية الشاملة، ومن بين أعضاء اللجنة، تم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة، الذي كان آنذاك بمثابة "مجلس وزراء"، أي "حكومة" في وقتنا الحاضر.

وقد تمحورت نشاطات اللجنة حول تمثيل الاستيطان اليهودي أمام سلطات الانتداب البريطاني، وتنظيم الخدمات العامة، كالتعليم، الصحة، الثقافة،الشؤون الدينية وشؤون الإعانات والاهتمام بقضايا الأمن.

عرف مجلس ممثلي تيارات الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، باسم "كنيست إسرائيل- أي البرلمان الإسرائيلي"، وقد صادق المندوب البريطاني، اللورد (بلومار)، بشكل نهائي على أنظمة وقوانين البرلمان، في الثلاثين من كانون أول ١٩٢٧، وكانت تلك الأنظمة تنص على أن كل يهودي يقيم على (أرض-إسرائيل)،

ينتمي وبصورة تلقائية إلى البرلمان الإسرائيلي، إلا إذا أعلن رغبته في الانسحاب منه، وحسب ما نصت عليه القوانين:

"يكون مجلس ممثلي الاستيطان اليهودي، ممثلا، "للبرلمان الإسرائيلي"، ويتم انتخاب أعضائه مرة كل أربع سنوات...

"يمنح مجلس ممثلي الاستيطان اليهودي صلاحية فرض ضرائب لتحقيق أحد الأهداف التالية: إعالة الأيتام، التعليم، إعانة الفقراء، معالجة المرضى، دعم مكاتب حاخامات الطوائف اليهودية في المهجر، اللجنة الوطنية...

"يقوم المجلس، كل عام، بتشكيل لجنة وطنية، يكون أعضاؤها من داخل المجلس نفسه، ويمنح المجلس صلاحية اتخاذ القرارات التي ستعمل اللجنة وفقا لها...

تعمل اللجنة الوطنية مدة عام واحد، وتتمحور مهامها حول:

أ) إدارة شؤون "البرلمان الإسرائيلي" بما يتناسب مع قرار مجلس ممثلي الاستيطان اليهودي.

ب) في الفترة الممتدة بين الجلسة والأخرى، تنفذ اللجنة جميع قرارات المجلس المذكور آنفا، في المجالات الواقعة ضمن نطاق صلاحياتها.

ج) تكون اللجنة ممثلة "للبرلمان الإسرائيلي" أمام الحكومة الإسرائيلية، وتكون مسؤولة عن إدارة المجالات والنشاطات التي يكلفها بها المجلس المذكور.

د) مراقبة الشؤون المالية والإدارية في اللجان المخصصة لأعمال الخير التي لا ينص القانون عليها.

هـ) تكون اللجنة مخولة بأن تنقل إليها باسم "البرلمان الإسرائيلي" الملكية على الأموال المنقولة، ومختلف أنواع الممتلكات العقارية، التوقيع على عقود، التوقيع على أوراق مالية وغير ذلك.

و) تقديم تقرير سنوي للمندوب السامي حول جميع نشاطات "البرلمان الإسرائيلي".

ومما نصت عليه أنظمة "البرلمان الإسرائيلي":

يحق للجنة الوطنية، أن تعقد اجتماعا "للبرلمان الإسرائيلي" عند الضرورة، لكن ليس أقل من مرة كل عام.

"على اللجنة الوطنية أن تختار من بين أعضائها العدد اللازم لتشكيل لجنة تنفيذية تدير نشاطاتها باسم اللجنة الوطنية وتمثلها..

ومن بين المهام الأخرى للجنة التنفيذية:

أ-تنفيذ قرارات اللجنة الوطنية.

ب-تكون مسؤولة أمام اللجنة الوطنية.

إنشاء الوكالة اليهودية

في سنوات العشرينات، التي أنشئت فيها إدارة الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، عانى الهستدروت الصهيوني من نقص في الموارد الاقتصادية وقد رأى الكثير من زعماء الصهيونية، ضرورة في تعاون أكبر عدد ممكن من أوساط الشعب اليهودي-بما فيها الأوساط غير الصهيونية- من أجل إنشاء الكيان القومي.

كانت هذه الفكرة تتساوق مع البند الرابع من صك الانتداب، الذي منح بريطانيا حق الوصاية على (أرض-إسرائيل) والذي جاء فيه:-

"يعتبر الهستدروت الصهيوني، ممثلا للشعب اليهودي، طالما أن حكومة الانتداب ترى فيه هيئة منظمة تعمل بالشكل المناسب، وتخوّل هذه الهيئة باتخاذ الخطوات اللازمة لضمان مشاركة جميع العناصر اليهودية التي ترغب في المساعدة بإنشاء الكيان القومي".

لقد أثارت العبارة الأخيرة، معارضة واسعة بين أعضاء الهستدروت الصهيوني، الذين رفضوا إشراك عناصر غير يهودية في الوكالة اليهودية، وعلى امتداد سبع سنوات، دار جدل ساخن حول القضية، حُسم في صيف عام ١٩٢٩، فقد قرّرت الأغلبية العظمى من أعضاء المؤتمر الصهيوني السادس عشر، في آب من نفس العام، وجوب توسيع نطاق الوكالة اليهودية، وفور اختتام المؤتمر أعماله، التأمت بمدينة (زيوريخ) في سويسرا، الجمعية التأسيسية لمجلس الوكالة الموسع، التي تضم مائتي عضو صهيوني وغير صهيوني.

وقد بلور هذا المجلس، القانون الأساسي للوكالة اليهودية في (أرض-إسرائيل)، والذي جاء فيه:- "تأخذ الوكالة على عاتقها، القيام بالمهام التي حدّدت في صك الانتداب، وهذا يعني أنها ستهتم بجميع الشؤون الموكلة إليها، الأمر الذي سيضمن تحقيق الأهداف التالية:

أ- دعم وتشجيع الهجرة اليهودية، من خلال التوجه نحو منح مزيد من الاهتمام للمهاجرين، العاملين، والأثرياء.

ب- اهتمام الوكالة اليهودية بالحاجات الدينية اليهودية، انطلاقا من افتراض إمكانية ضمان حرية الوعي الذاتي.

ج- الاهتمام باللغة العبرية والثقافة اليهودية.

د- شراء الأراضي وتسجيل ملكيتها باسم الصندوق القومي الإسرائيلي، لضمان السيطرة،عليها كملك للشعب اليهودي.

ه- تعمل الوكالة من أجل دعم الاستيطان الزراعي اليهودي..

أما العناصر التنفيذية للوكالة فستكون:

١)المجلس ٢)اللجنة الإدارية ٣)اللجة التنفيذية.

سيشغل رئيس الوكالة، منصب رئيس الهستدروت الصهيوني في الوقت ذاته، ما لم يقرر المجلس غير ذلك.

سيكون المجلس مصدر الصلاحية العليا في الوكالة..

يكون نصف أعضاء المجلس من ممثلي الهستدروت الصهيوني، والنصف الآخر من ممثلين غير صهاينة في شتى الدول..

وبعد مضي عام، أي في آب ١٩٣٠، أكدّ وزير المستعمرات البريطاني أن "حكومة بريطانيا مستعدة للاعتراف بالوكالة الموسعة...بوصفها الوكالة اليهودية، المذكورة في البند الرابع من صك الانتداب على (أرض-إسرائيل).

<u>الفصل الرابع</u>

-بداية المواجهات الفلسطينية-اليهودية-

أحداث عام ١٩٢٩:

في الفترة التي شكلّت فيها القيادة اليهودية الوطنية الموحدة، بلغ التوتر بين اليهود والعرب في (أرض-إسرائيل) ذروته. فقد ألزم صك الانتداب الحكومة البريطانية، بإبقاء الوضع على ما هو عليه في كل ما يتعلق بالحفاظ على الأماكن المقدسة، دون المس بالمشاعر الدينية لأي طائفة في (أرض-إسرائيل).

وقد كان حق اليهود في الصلاة في منطقة حائط البراق (المبكى)، جزءا من الوضع الراهن آنذاك، بيد أن هذا الأمر أثار خلافا شديدا، اندلعت في أعقابه المواجهات وأعمال العنف ففي التاسع من آب ١٩٢٩، وبعد توتر دام قرابة عام، تظاهر عدد من الشبان اليهود وأعضاء حركة "بيتار" بالقرب من حائط البراق، وهتفوا "المبكى لنا" ردا على تحدي العرب، وفي اليوم التالي، نُظمت في نفس المكان مظاهرة عربية، وبعد يوم من ذلك، قُتل شاب يهودي في شجار مع عناصر عربية، وقد تحوّلت جنازة اليهودي إلى مظاهرة اشتبك خلالها المتظاهرون مع قوات الشرطة، كما أسهم التحريض العربي في تفاقم الأوضاع، حتى أن شائعة سرت بين اليهود تقول إن المفتي أمر بمهاجمة اليهود في القدس، لمنعهم من مهاجمة مساجد البلدة القديمة.

وبعد بضعة أيام، بلغت حدة التوتر أوجها، ففي الثالث والعشرين من آب نفس العام، دخل عدد كبير من العرب إلى البلدة القديمة في القدس، مسلحين

بالسكاكين والعصي، وهاجموا الأحياء اليهودية، وأعملوا في سكانها قتلا ونهبا، وقد سقط العدد الأكبر من القتلى، في مدن الخليل، صفد والبلدة القديمة، التي لم تتواجد فيها قوات من منظمة "الهاغاناه" اليهودية المقاتلة، باعتبارها مراكز استيطانية قديمة، لا علاقة لها بالمشروع الصهيوني، حيث بلغ عدد الإصابات في مدينة الخليل التي كان يعيش فيها نحو ستمائة يهودي، وستين قتيلا، فيما جرح العشرات، وقد قام الجيش البريطاني بإخلاء بقية اليهود الذين بقوا على قيد الحياة، أما الحي اليهودي في صفد، فقد كان طعاما للنيران، في حين شهدت مستوطنات (رمات راحيل)، (هيرطوف)، (كفار أوريا)، (موتسا)، (بئير طوفيا) و (حولدا) مواجهات عنيفة ويمكن القول، أن حصيلة المواجهات التي استغرقت ثمانية أيام، كانت مقتل (١٣٣) يهوديا، جرح المئات، إحراق ونهب الكثير من الممتلكات، وتشريد العديد من العائلات اليهودية، التي كانت تعيش في المدن العربية.

كان من الواضح للقيادة اليهودية والشرطة البريطانية، إن أحداث عام ١٩٢٩، كانت نتيجة مباشرة لأسلوب التحريض الموجه الذي تبنّاه الزعماء العرب، وعلى رأسهم مفتي القدس وألدّ أعداء الصهيونية، الحاج أمين الحسيني.

لجنة شاو وتقرير سمبسون:

بعد ذلك بحوالي شهرين، أرسلت الحكومة البريطانية إلى (أرض-إسرائيل) لجنة برئاسة السير (وولتر شاو) للتحقيق في "الأسباب المباشرة" التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث، وتقديم التوصيات اللازمة لحفظ الأمن مستقبلا.

وقد جاء في التقرير الذي أعدته اللجنة، والذي نشر في آذار ١٩٣٠ ما يلي:-

"حسب اعتقاد اللجنة، كان لحرب البراق هدفان، أولهما: الرغبة في مضايقة اليهود، وثانيهما: تجنيد الرأي العام العربي لدعم وتأييد مطالب المسلمين فيما يتعلق

بحائط البراق وما حوله.... لا شك في أن مفتي القدس كان راضيا عن كل ما قام به... وربما يكون هذا هو التفسير الصحيح لتسلسل تلك الأحداث، إذا ما افترضنا بأن الجهات التي بدأتها، فقدت السيطرة عليها، ووقعت بالتالي الكارثة النهائية".

في هذه الأثناء، أعربت "لجنة شاو" عن اعتقادها، بأن التوتر الذي نشأ وسط العرب في (أرض-إسرائيل)، وتسبب في تفاقم حدة الأمور، نجم عن المخاوف التي خلقها الاستقرار اليهودي على الصعيد الاقتصادي، والذي يعزز حتما المكانة السياسية للصهيونية.

وبعد نشر نتائج "لجنة شاو" ببضعة أسابيع، أرسلت الحكومة البريطانية إلى (أرض-إسرائيل) مبعوثا آخر، كان هذه المرة، السير (جوب-سيمبسون) نائب رئيس لجنة عصبة الأمم المتحدة، لتأهيل اللاجئين في اليونان، وقد كلف بالتحقيق في قضايا الهجرة، الأراضي والقدرة الاقتصادية للبلاد، لكن، قبل أن يتم استكمال تقرير (سيمبسون)، أعلنت الحكومة البريطانية نيتها إرجاء مواصلة الهجرة اليهودية إلى (أرض-إسرائيل)، فرض قيود على بيع الأراضي وتقليص صلاحيات الوكالة اليهودية، لذلك لم يفاجأ أحد من زعماء الصهيونية، عندما قال (هوب-سيمبسون) في تقريره الذي نشر في ٢١ تشرين أول ١٩٣٠، "إن من واجب الحكومة، وفقا لصك الانتداب، أن تحرص على عدم هضم حقوق العرب في ظل الهجرة اليهودية، ومن واجبها أيضا، تشجيع الاستيطان اليهودي المكثف، مع الالتزام بالشرط المذكور آنفا، وكي تتسنى المواءمة بين هذين الأمرين المتناقضين، ينبغي عليها أن تتبنى أسلوبا يضمن لها الاستيطان المكثف، وإشراك العرب واليهود في زراعة وفلاحة الأرض...".

الصراع ضد الكتاب الأبيض:

أثار نشر "الكتاب الأبيض" على يد وزير الخارجية البريطاني، اللورد (بسفيلد)، ردود فعل مختلفة، فقد رحّب العرب به، وللمرة الأولى، لم يتم إعلان الإضراب العام في ذكرى وعد بلفور، في حين هاجمه بشدة عدد من كبار الشخصيات السياسية المرموقة مثل الجنرال (سماتا) والجنرال (لويدجورج)، حيث رأوا فيه "تجاهلا علنيا وواضحا للالتزامات التي تعهدت بها بريطانيا في صك الانتداب".

أما الحركة الصهيونية فقد ندّدت به بشدة، ولجأت إلى نشاطات سياسية مختلفة في مقاومته، كانت أبرزها نشاطات (حاييم وايزمان)، الذي استقال من رئاسة الهستدروت الصهيوني، كتعبير عن احتجاجه، وقد تركت استقالته أثرا قويا في الأوساط السياسية في بريطانيا، والتي لم تكن، ظاهريا، مكترثة بنشر "الكتاب الأبيض"، كما أكد زعماء الحركة الصهيونية عدم صحة آراء (هوب-سيمبسون) وأن "الكتاب الأبيض" تجاهل توصيات "لجنة شاو" وتقرير "هوب سيمبسون".

وفي المؤتمر الصهيوني السابع عشر، الذي عقد في بازل، في تموز ١٩٣١، لم يتم انتخاب (وايزمان) رئيسا للهستدروت الصهيوني العالمي، وفي خطابه، تطرق (وايزمان) إلى الوثائق البريطانية التي صدرت في صيف عام ١٩٣١ فقال: "لقد تم نشر تقرير السير "هوب-سيمبسون" و "الكتاب الأبيض" في وقت واحد-تقريبا. وقد كان إطلاعنا على مضمونهما ضمن وقت لم يكن بمقدورنا، إحداث تغييرات في "الكتاب الأبيض"، كلكم يعرف تماما، مضمون هذه الوثيقة، لذلك أقول لكم، وبكلمة واحدة، إن "الكتاب الأبيض" يعتبر بالنسبة لنا، بمثابة إلغاء لصك الانتداب، وحسب اعتقادنا، فإنه يحول دون أي إمكانية لمواصلة التعاون المشترك بين الوكالة اليهودية وحكومة بريطانيا، لقد رفضنا هذه الوثيقة، ليس فقط لاعتبارات قانونية، بل لأننا رأينا فيها ما يعرض حياتنا ومستقبلنا في (أرض-إسرائيل) للخطر.

وإزاء الانتقادات الشديدة التي وجهت إلى "الكتاب الأبيض"، دعي وايزمان على رأس الوكالة اليهودية لإجراء مباحثات بهذا الخصوص مع لجنة من أعضاء الحكومة البريطانية، وقد طرحت خلال هذه المباحثات التي جرت في شتاء عام ١٩٣٠-١٩٣١ مشكلتان رئيستان هما:

*اعتراف الحكومة بأن الانتداب هو بمثابة التزام بريطاني تجاه الأمة اليهودية كلها، وليس تجاه اليهود والعرب في (أرض-إسرائيل).

*عدم تجميد إقامة "الكيان القومي اليهودي، بعد خمسين عاما من العمل المضني (١٨٨٢-١٩٣١).

وبعد نقاشات مطولة نشرت في الثالث عشر من شباط ١٩٣١ وثيقة جديدة، تضمنت شيئا من التراجع عن قرارات "الكتاب الأبيض".

هذه الوثيقة، كانت عبارة عن رسالة بعث بها رئيس الحكومة، (رمزي ماكدونالد) إلى (حاييم وايزمان)، وقد حملت بين طياتها تفسيرا بريطانيا جديدا "للكتاب الأبيض"، خفف من حدة العاصفة التي ثارت عقب نشره. ومما جاء في الرسالة:- "هناك من يقول: إن سياسات الحكومة البريطانية، تبتعد وبصورة جدية عن الالتزامات التي يقتضيها الانتداب تجاه الشعب اليهودي...لكن ينبغي لفت الانتباه إلى حقيقة أن "الكتاب الأبيض" الذي صدر عام ١٩٣٠ لا يعتمد فقط على "الكتاب الأبيض" الصادر عام ١٩٢٢، والذي صادقت عليه الوكالة اليهودية-بل يعترف أيضا بأن التزامات الانتداب هي التزامات تجاه الشعب اليهودي، وليس فقط تجاه الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)..

"لقد وجهت انتقادات شديدة إلى "الكتاب الأبيض"، انطلاقا من الافتراض بأنه يشمل اتهمات تمس بالشعب اليهودي ونقابات العمل العبرية، لم تكن الحكومة

البريطانية تقصد شيئا من هذا القبيل، ولقد أثبتت الوكالة اليهودية على الدوام، رغبتها في المساعدة بتجسيد سياسات الانتداب، كما أن العمل البناء للشعب اليهودي، أسهم في تطوير (أرض-إسرائيل).

كذلك، تعترف الحكومة البريطانية بأهمية الخدمات التي تقدمها نقابات العمّال في (أرض-إسرائيل)، وترغب في تشجيعها..

لم يكن القصد من نشر الكتاب الأبيض منع اليهود من شراء أراض أخرى، بل كان القصد فرض الرقابة المؤقتة على نقل وبيع الأرض، بهدف عدم تعريض خطة الاستيطان الزراعي وأهدافها للخطر.

"كما أن الحكومة البريطانية، لم ولن تقرر وقف أو منع الهجرة اليهودية بشتى أنواعها".

كانت رسالة (ماكدونالد) بمثابة نصر صهيوني واضح، ومع تسلمه الرسالة، قال (وايزمان): "لقد بات بمقدورنا العودة إلى التعاون المشترك مع الحكومة البريطانية، الذي تعتمد عليه السياسات الصهيونية".

أما بالنسبة للعرب، فقد كانت الرسالة بمثابة صدمة، حطمت كل آمالهم وتطلعاتهم، ولذلك أطلقوا عليها اسم "الرسالة السوداء".

ومع ذلك، كان في القيادة اليهودية من عارض وجهة نظر (وايزمان)، وقد جاء في قرارات المؤتمر الصهيوني السابع عشر، الذي عقد في تموز ١٩٣١: "لقد أقر المؤتمر بأن رسالة (ماكدونالد) تحمل قيودا وتوجيهات تنطوي على ما يثير الخوف والقلق، كما أنها لم تحمل أي توضيح على كثير من الأسئلة الهامة، التي عالجها "الكتاب الأبيض" عام ١٩٣٠، بشكل لا تقبله الوكالة اليهودية بأي شكل من الأشكال، لأنه يعرض تطوير الكيان القومي اليهودي للخطر".

كانت السنوات التي أعقبت نشر كتاب (بسفيلد) الأبيض-سنوات التوسيع والاستقرار في حياة الشعب اليهودي. وقد رأى المندوب السامي، السير (آرثر فاكوب) أن المساواة بين عدد اليهود والعرب، واعتبار (أرض-إسرائيل) كتلة اقتصادية مشتركة، قد يحل الصراع، وعليه فقد توسع نطاق الهجرة اليهودية-الهجرة الخامسة-بعد نشر رسالة (ماكدونالد) عام ١٩٣١، ووصل عدد المهاجرين اليهود حتى عام ١٩٣٥ إلى ٦٥ ألفا مقابل ٥٠٠٠ عام ١٩٢٩، بيد أن التحول الكبير، حدث في كانون ثان ١٩٣٣، عندما وصل النازيون إلى السلطة في ألمانيا، ووجد الشعب اليهودي نفسه في خضم صراع يهدد وجوده، وألقيت على عاتق الحركة الصهيونية مهمة البحث عن حلول للمشاكل والصعوبات التي تواجهها، وحتى ربيع عام ١٩٣٦، كان في (أرض-إسرائيل) نحو ٤٠٠.٠٠٠يهودي، أي ضعف عددهم عام ١٨٨٢ بست عشرة مرة، وفي تلك الأثناء اندلعت الثورة العربية من (١٩٣٦-١٩٣٩).

الثورة العربية:

في الخامس عشر من نيسان ١٩٣٦ لقي يهوديان مصرعهما وأصيب آخران بجروح، في طريق طولكرم-نابلس، وبعد مضي أربعة أيام، اندلعت أعمال العنف، عندما بدأ السكان العرب بمهاجمة اليهود في الشوارع. وقد كانت حصيلة اليوم الأول، مقتل تسعة من اليهود وإصابة ستين آخرين بجروح، وتدفق الآلاف إلى تل أبيب، بعد نهب وحرق أحياء يافا، وهكذا، اندلعت "الثورة العربية" التي استمرت لفترة طويلة، وتمركزت في مدينة نابلس.

أحداث نيسان-تشرين أول ١٩٣٦:

اتسعت دائرة المواجهات العنيفة في هذه الفترة، ويمكن القول بأن اتساع نطاق الهجرة اليهودية في الفترة ما بين عامي ١٩٣٢-١٩٣٦، تدفق رؤوس الأموال في إطار الهجرة من ألمانيا، تأييد ألمانيا وإيطاليا للعرب والتردد الذي أبدته بريطانيا في سياساتها الخارجية، خلقت لدى القيادة العربية الوطنية الاعتقاد بأن اندلاع مواجهات مسلحة، قد يخلق لدى الحكومة البريطانية، مبرّرا لتصفية الكيان القومي اليهودي.

في هذه الفترة، تم تشكيل الهيئة العربية العليا، برئاسة الحاج أمين الحسيني، لتقود زمام الثورة، وقد طرحت اللجنة أمام سلطات الانتداب والحكومة البريطانية، ثلاثة مطالب رئيسية تمثلت في وقف الهجرة اليهودية، حظر بيع أراض لليهود، وإعلان الاستقلال العربي في فلسطين، ولقد طرحت هذه المطالب في وقت امتدت معه مواجهات العنف إلى مختلف الأحياء اليهودية، وأسفرت عن مقتل ٩١ يهوديا وجرح ٣٦٩ آخرين، وكانت الخطوة العملية الأساسية التي اتخذتها الهيئة العربية العليا، إعلان الإضراب العام وفرض المقاطعة والحصار على مراكز الاستيطان اليهودي طيلة ١٧٥ يوما.

انتهت المرحلة الأولى للثورة العربية، عندما أدرك قادتها تدهور أوضاع المواطنين العرب نتيجة للإضراب، وبعد أن هددت سلطات الانتداب البريطاني، بتفعيل قواتها إذا لم تتوقف هجمات العنف.

وفي صيف ١٩٣٦، قررت الحكومة البريطانية إرسال لجنة رسمية برئاسة اللورد (وليام روبرت بيل)، للتحقيق في أسباب اندلاع الثورة، والسبل الكفيلة بتجسيد الانتداب في (أرض-إسرائيل). وفي السابع من تموز ١٩٣٧، قدمت اللجنة

تقريرها الذي جاء فيه: " إن المثاليين القوميين اليهود والعرب، لا يتيحون المجال للعمل سويا في خدمة دولة واحدة". وبناء عليه اقترح أعضاء اللجنة إلغاء الانتداب، وتقسيم الأرض بين اليهود والعرب، وإبقاء منطقة عازلة بين يافا والقدس بيد السلطات البريطانية. كان من المفترض أن تشمل الدولة اليهودية، منطقة السهل الساحلي من جنوب (بئر-طوفيا) حتى الكرمل، مرج ابن عامر، الجليل، أما الدولة العربية فقد شملت المناطق الجبلية، الضفة الغربية والنقب، وقد أبدت "لجنة بيل" تحفظاتها إزاء حلول أخرى، لأنها لا تنطوي على تسوية جذرية للصراع العربي-اليهودي وفي المرحلة الانتقالية-إلى أن تتم إقامة الدولتين، أوصت اللجنة بمنع اليهود من شراء الأراضي في المناطق المخصصة للدولة العربية، وتم، فيما بعد، تكليف لجنة خاصة برئاسة السير (جون ودهيد) بترسيم الحدود بين المناطق المخصصة لكل من الدولتين، وخلافا "للجنة شاو"، لم تر (لجنة بيل) في الهجرة اليهودية عاملا يؤدي إلى تقليص دخل السكان العرب، وافترضت أن يتم حل مشكلة الهجرة في مناطق الدولة اليهودية، وافقت الحكومة البريطانية على توصيات (لجنة بيل)، بيد أن قرار التقسيم، أثار ثائرة العرب الذين رفضوه رفضا تاما، كما أثار خلافات شديدة بين اليهود الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض.

بعد شهر من نشر توصيات (لجنة بيل)، انعقد المؤتمر الصهيوني العشرون في الثالث من آب ١٩٣٧، بمدينة (زيورخ) بسويسرا، وقد رفض المشاركون فيه معظم مزاعم ونتائج (لجنة بيل)، باستثناء التوصية الخاصة بإقامة دولة يهودية، وجاء في قراراته: "يعلن المؤتمر عدم موافقته على خطة التقسيم التي اقترحتها "لجنة بيل"...

أحداث أيلول ١٩٣٧-أيار ١٩٣٩:

بدأت المرحلة الثانية للثورة العربية في أيلول ١٩٣٧، وقد وجهت الهجمات ثانية ضد الاستيطان اليهودي والسلطات البريطانية على حد سواء، بيد أن رد اليهود وسلطات الانتداب هذه المرة، كان عنيفا جدا، وقد تم على إثره تنحية مفتي القدس الذي لاذ بالفرار، تعاظم الخلافات بين العرب وتوجيه قسم من أعمال العنف ضد قادة وعشائر عربية عارضت الثورة وأساليبها.

كانت السلطات البريطانية تحاول الامتناع عن خوض مواجهة مع العرب، ومصالحتهم قدر الإمكان بهدف كسبهم كحلفاء، إذا ما اندلعت حرب في أوروبا.

في مطلع عام ١٩٣٩، انتهت المرحلة العسكرية، وبدأت المرحلة السياسية، حيث بذلت المحاولات لعقد مؤتمر بين الطرفين. وبالفعل تم عقد المؤتمر في شباط-آذار ١٩٣٦ في لندن.

كان رئيس حكومة بريطانيا، (نويل تشمبرلين)، يثق بإمكانية إرضاء دول كبيرة على حساب دول صغيرة وضعيفة. ووفقا لذلك، قدمت حكومة بريطانيا تنازلات تجاه العرب، باعتبارهم الطرف الأقوى، وفي الخامس عشر من آذار ١٩٣٩، اقترحت على الطرفين إلغاء الانتداب، تأسيس "دولة فلسطينية" ترتبط بحلف مع بريطانيا، وضمان حقوق خاصة للأقلية اليهودية التي ستعيش فيها، بيد أن هذا الاقتراح واجه كما الاقتراحات السابقة، معارضة من جانب العرب واليهود، وعلى الرغم من ذلك، عقدت الحكومة البريطانية العزم على تنفيذ خطتها، وقد نشرتها في "الكتاب الأبيض" الذي صدر في ١٩٣٩/٥/١٧، والذي أقرت فيه الحظر شبه الكامل على بيع الأراضي لليهود، والسماح بهجرة ٧٥,٠٠٠ يهودي فقط في غضون خمس سنوات. وقد جاء في هذا الكتاب أيضا، أن الهدف النهائي لحكومة بريطانيا، هو إقامة دولة فلسطينية

مستقلة في غضون عشر سنوات، ترتبط مع بريطانيا العظمى بعقد، يضمن سد الحاجات التجارية والإستراتيجية للدولتين اللتين ستقومان مستقبلا "بصورة مرضية، كما ستبذل الحكومة البريطانية أقصى جهودها لتوفير الظروف المناسبة لإقامة الدولة اليهودية المستقلة في غضون عشر سنوات، وإذا اتضح للحكومة بعد انتهاء السنوات العشر أن الظروف تتطلب إرجاء إقامة الدولة المستقلة، فستعمد إلى استشارة ممثلي شعب فلسطين عصبة الأمم المتحدة والدول العربية المجاورة، قبل أن يتم اتخاذ قرار الإرجاء.

تشرتشل يهاجم:

في يوم صدور "الكتاب الأبيض" نشرت اللجنة الوطنية اليهودية بيانا قالت فيه: "إزاء إعلان حكومة بريطانيا سياساتها الجديدة في (أرض-إسرائيل)، التي تحصر الاستيطان اليهودي في وضع الأقلية، وتضع "الكيان القومي" في حكم (غيتو) يهودي، في دولة فلسطين عربية، سيعلن الاستيطان اليهودي اليوم محاربته لسياسات الخيانة، وللنظام الذي يقوم على هذه السياسات".

كانت أشد الهجمات عنفا ضد البيان البريطاني آنف الذكر، تلك التي شنّها، وبشكل غير متوقع، (ونستون تشرتشل)، حين قال أمام مجلس العموم في لندن في ٢٢ أيار ١٩٣٩: "عندما تكون هناك حاجة لاستخدام كلمات قاسية ومؤلمة مثل "نكث الوعد"، "النكران" و "التملص من العهود" في وصف النشاطات السياسية لشخصيات ووزراء يديرون شؤون حياتهم، وفق مبادئ لا غبار عليها، فمن الضروري توخي الدقة والعدل، لقد أقرت حكومة بريطانيا في "الكتاب الأبيض" الجديد، أمرا لا يسمح بأي نوع من الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات، إلا بموافقة عرب فلسطين على ذلك.

"إنه حقا نقض للعهود، نكث للوعود، وإخلال بالالتزامات، وتملص من وعد بلفور! ها هي نهاية النبوءة، نهاية الحلم والأمل، إنها وصمة عار عميقة الأثر، في هيبة الإدارة البريطانية، إذا لم تجد لكل ذلك تبريرا مناسبا... وإلا فإن ذلك يعني إلغاء (وعد بلفور)، وخيانة الثقة".

ورغم الخسائر الجسيمة في الممتلكات والأرواح، في مرحلة الثورة العربية (١٩٣٦-١٩٣٩)، عزز الاستيطان اليهودي، جانبه في مناح عديدة، حيث تم ورغم كل الصعوبات، إنشاء ٦٠ مستوطنة، (محاطة بأسوار للدفاع عنها وبأبراج لمراقبة المهاجمين)، تعزيز وتوسيع نطاق الاقتصاد اليهودي وفتح ميناء تل أبيب، ورغم المواجهات، استمرت الهجرة اليهودية، وكان في المستوطنات اليهودية حتى نهاية عام ١٩٣٩، ٤٦٠ ألف مستوطن، مقابل ٣٨٥ ألفا عام ١٩٣٦.

موقف الصهيونية أثناء الحرب العالمية الثانية:

في آب ١٩٣٩، التأم بمدينة (جنيف) بسويسرا، المؤتمر الصهيوني الواحد والعشرون، وسط أجواء كدرة وصفها وايزمان بقوله: "لقد اجتمعنا في ظل صدور "الكتاب الأبيض" الذي يشكل خطرا على "الكيان القومي"، وفي ظل حرب ربما تهدد البشرية كلها بالفناء. بيد أن الفرق بين التهديدين، أن أولهما خرج إلى حيز الوجود، في حين بقي التهديد الثاني معلقا.

وعليه، فقد كرّسنا جل اهتمامنا على الخطر الأول، وحول هذا الخطر، قال رئيس الإدارة الصهيونية آنذاك (دافيد بن غوريون): "لقد وجدنا أنفسنا على مفترق طرق، ليس لأننا أردنا ذلك، بل لأن حكومة الانتداب هي التي دفعتنا إلى مثل هذا الوضع، بخرقها للثقة، وبالتالي قطع التعاون المشترك الذي دام أكثر من عشرين عاما، بيننا وبين إنجلترا... إنني أثق بأن هذه القطيعة لن تكون قطيعة كاملة أو دائمة...لكن

في هذه الساعة، نجد أنفسنا، وللأسف الشديد، على شفا مواجهة عنيفة في هذا المكان، الذي يعتبر قلب الشعب والتاريخ اليهوديين..

"من ناحية جغرافية، يمكن القول أن لهذه الأرض بعدين فقط، بيد أن هناك بعدا ثالثا أهم، وأقصد به البعد التاريخي، لقد لعبت (أرض-إسرائيل) دورا فاعلا وعميقا في تاريخ البشرية، وهذا الدور مرتبط بأكمله بشعب إسرائيل.

"والشعب الإسرائيلي ليس كبيرا من حيث الكم، لكنه غني بالطاقات البشرية الفاعلة، وقد وجهته محنته المريعة، واعتقاده التاريخي القوي، إلى (أرض-إسرائيل). وانطلاقا من اعتبارات لاغية، تريد الأمم المتحدة إغلاق أبواب هذا الوطن، لكن تلك الاعتبارات، لن ترجح كفة الميزان... والقوة الوحيدة التي ستحسم المصير الحقيقي لهذه الأرض، هي قوة اليهود هنا وفي المهجر، الذين سيكون هدفهم إنقاذ هذه الأرض وإعمارها".

في التاسع والعشرين من آب ١٩٣٩، أي بعد أربعة أيام من اختتام المؤتمر الصهيوني في جنيف، وقبل ثلاثة أيام من اندلاع الحرب العالمية الثانية كتب رئيس الهستدروت الصهيوني العالمي، (حاييم وايزمان)، رسالة إلى رئيس حكومة بريطانيا، (نويل تشمبرلين)، اقترح فيها العمل فورا على تجنيد كافة موارد الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)- وموارد الحركة الصهيونية عموما- لمساعدة البريطانيين وحلفائهم في الحرب القادمة.

وفي أيلول ١٩٤٠، (أعرب ونستون تشرتشل)، الذي تسلم زمام رئاسة الحكومة البريطانية خلفا (لتشمبرلين)، عن موافقته المبدئية على خطة تجنيد أقصى حد ممكن من اليهود في (أرض-إسرائيل)، في القوات البريطانية المحاربة، ورغم

موافقة تشرتشل، مضت أربع سنوات كاملة، إلى أن وافقت سلطات الجيش البريطاني فعليا على تشكيل اللواء اليهودي.

شمل اللواء اليهودي ثلاث كتائب، ألحقت بها وحدات اتصال، نقل، مدفعية وهندسة ووحدات طبية، أما علم اللواء، فقد جمع بين اللونين الأزرق والأبيض ونجمة داود الذهبية، كما كتبت عليه عبارة "اللواء اليهودي المقاتل"، باللغتين العبرية والإنجليزية، وفي مراسيم رفع العلم في إيطاليا، عام ١٩٤٥، قال (موشيه شرتوك) "شيرت"، مدير لشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، وزير الخارجية، ورئيس حكومة إسرائيل فيما بعد: "إنها لحظة مهمة في تاريخ حركة التطوع في (أرض-إسرائيل)، في حياة الشعب العبري، وفي حياة كل واحد منكم، إنها أسعد اللحظات تلك التي تمكنا فيها من رفع علم الشعب اليهودي، علم حركة التحرير الصهيونية في حربنا من أجل (أرض-إسرائيل)..

"وهذا العلم بالنسبة لنا، علم اللواء اليهودي المقاتل، المضرج بدماء ستة ملايين يهودي ذبحوا في أوروبا كالشياه، والمضرج بدماء مقاتلينا الذين سقطوا على تراب (أرض-إسرائيل) إنه رمز لوجودنا، ولوجود المشروع الذي تطوعنا وخرجنا إلى الحرب باسمه ومن أجله، مشروع بعث شعبنا في أرضه وإحياء المملكة الإسرائيلية".

في أعقاب ذلك، تم نقل جنود اللواء اليهودي إلى إيطاليا بعد تدريبهم في مصر، وشاركوا في معارك بالقرب من نهر "سينو"، وبعد الحرب خدموا كوحدات طوارئ على حدود إيطاليا، يوغسلافيا والنمسا ومن هناك تم نقلهم إلى بلغاريا وهولندا، ولقد كان لقاؤهم بالناجين من الكارثة النازية مؤثرا جدا.

وفي حزيران ١٩٤٦، شاءت الظروف أن يتم حل اللواء اليهودي بشكل نهائي، وانضم عدد كبير من جنوده إلى "المحاربين من أجل استقلال (أرض-إسرائيل)، وقد أفادت خبرتهم العسكرية الجيش الإسرائيلي لسنوات طويلة.



الفصل الخامس

-سياسة بريطانية جديدة-

قانون الأراضي:

رغم اشتداد أوار الحرب في أوروبا، واصلت الحكومة البريطانية عملها ضد الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، وقد كانت مصلحة الاستيطان العبري، تحتم عليه التعاون مع بريطانيا، وهذه المرة من خلال تجنيد عدد كبير من اليهود في وحدات الجيش البريطاني، بهدف تحويل الصهيونية إلى عنصر دولي وطرح القضية اليهودية-الصهيونية على جدول الأعمال الدولي خلال سنوات الحرب وبعد انتهائها، بيد أن البريطانيين، رفضوا ثانية فكرة التطوع اليهودي، الأمر الذي أثار في نفوس زعماء الاستيطان الرغبة القوية في إثبات القوة الحربية العبرية، فبادروا إلى إجراء تعداد سكاني، تم خلاله إحصاء ١٣٦.٠٠٠ رجل وامرأة.

غير أن الحكومة البريطانية، التي كانت تسعى جاهدة لكبح جماح مسيرة التجنيد اليهودية في (أرض-إسرائيل)، من خلال التمسك بمبدأ "الموازنة بين عدد اليهود والعرب المجندين في فلسطين (أرض-إسرائيل) والوحدات العربية واليهودية الخاصة قررت سن قانون يفرض قيودا صارمة على بيع وتأجير الأراضي، وقد صدر هذا القانون الذي سمي "بقانون الأراضي"، في الثامن والعشرين من شباط ١٩٤٠، وتضمن البنود التالية:

-يمكن تطبيق هذه الأنظمة فقط على نقل الأراضي من العرب إلى اليهود...

-"الأرض" تشمل المياه، المباني، الأشجار وكل حق بها أو عليها.

-من أجل تطبيق هذه الأنظمة ستكون في فلسطين ("أرض-إسرائيل") منطقتان (أ) و (ب).

-حظر نقل أراض في المنطقة "أ" إلى غير عرب فلسطين (أرض-إسرائيل).

-حظر نقل أراض في المنطقة "ب" من عربي فلسطيني إلى غير عربي فلسطيني إلا إذا حصل الشخص المنوي نقل ملكية الأرض إليه، على تصريح خطي من المندوب السامي...

وإضافة إلى منطقة "أ" التي كانت منطقة "محظورة"، ومنطقة "ب" التي فرضت عليها القيود، تم تحديد منطقة سميت "بالمنطقة الحرة"، والتي سمح لليهود فيها بشراء الأراضي دون أي قيود، وقد شملت هذه المنطقة التي لم تكن مساحتها تزيد على ٥% من المساحة الكلية (لأرض-إسرائيل) غربي نهر الأردن، أكبر ثلاث مدن، خليج حيفا ومنطقة السهل الساحلي بين الطنطورة والرملة.

مناطق يوجد فيها استيطان يهودي مكثف، بطبيعة الحال، وبعد نشر هذه الأنظمة ببضعة أيام، رفعت الوكالة اليهودية مذكرة إلى المندوب السامي في القدس جاء فيها:-

"إن السياسات الجديدة، التي تم تحديدها في قانون الأراضي، تستهدف قلب الكيان القومي اليهودي، لأنها تسلب اليهود حق الاستيطان في الأرض، خارج (موشاف) ضيق، وتجبرهم بذلك على البقاء كسكان مدن، كما كانت الحال عليه في الشتات وهذه المحاولة، التي تهدف إلى وضع حد يتعال وأماني الشعب اليهودي، في استيطان موطنهم القديم، تمت في وقت يعاني فيه ملايين اليهود من خطر مطاردة عدو لا يرحم، والشعب اليهودي لن يستسلم إزاء تحويل "الكيان القومي" اليهودي إلى

"غيتو"، فهو لا يستطيع أن يصدق بأن بريطانيا العظمى ستأخذ على عاتقها مسؤولية مثل هذا التشويه للالتزامات الدولية".

وعلى الرغم من سن "قانون الأراضي"، استمرت عملية شراء الأراضي حتى خلال فترة الحرب، وقد تم في فترة ما بين عامي ١٩٤٠-١٩٤٥ إنشاء (٤٩) مستوطنة جديدة من النقب جنوبا وحتى الحدود الشمالية، كما تم توسيع الاستيطان البلدي من ٣٣٧ ألف نسمة عام ١٩٣٩ إلى ٤٢٧ ألفا عام ١٩٤٤.

بيد أن سلطات الانتداب لم تكتف بقانون الأراضي، وتشبثت بتطبيق ما جاء في "الكتاب الأبيض" لعام ١٩٣٩. ولقد برزت قسوتها بأجلى صورها، تجاه اليهود، الذين نجوا من بين براثن النازيين وأرادوا الهجرة إلى (أرض-إسرائيل) لإعمارها والإقامة فيها، ولم يكن بحوزتهم تصاريح للهجرة، وخير مثال نستشهد به على محاولات البريطانيين قمع الهجرة السرية إلى (أرض-إسرائيل)، قصة السفينة الفرنسية "بطريا" (الوطن).

ففي تشرين الثاني عام ١٩٤٠، وصلت إلى (أرض-إسرائيل) ثلاث سفن هي "الباسيفيك"، "ميلوس" و "اتلانتيك"، وكانت تقل ٣٥٠٠ مهاجر يهودي، لا يحملون تصاريح للهجرة، ولما علم البريطانيون بالأمر، استأجروا سفينة فرنسية لإجلاء هؤلاء المهاجرين إلى جزيرة "موراشيوس" في المحيط الهندي، بيد أن المهاجرين عارضوا ذلك، وعمت المظاهرات والاحتجاجات أنحاء المستوطنات اليهودية، ولما لم يكن ذلك مجديا، صدرت الأوامر إلى مؤسسات الاستيطان، بالعمل على إحباط المخطط، من خلال عطب السفينة، وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٠، وبينما كانت السفينة تقل على متنها حوالي ١٧٠٠ مهاجر، سمع دوي انفجار قوي، وغرقت السفينة في غضون دقائق معدودة ومعها ما يزيد على مائتي مهاجر، أما البقية، فقد تم نقلهم إلى

معسكر الاعتقال في عتليت، وبعد استئناف المظاهرات والاحتجاجات فقد، تم العدول عن إبعادهم إلى جزيرة "موراشيوس".

كارثة أخرى مروعة حدثت بعد حوالي عام وربع العام، في سفينة تدعى"ستروما"، كانت تقل ٧٦٩ مهاجرا يهوديا من رومانيا، وأرادت الرسو-لخلل طارئ، في ميناء استانبول، بيد أن السلطات التركية اشترطت موافقتها على ذلك، بإعلان إحدى الدول عن استعدادها لاستيعاب المهاجرين.

وقد فشلت جهود الوكالة اليهودية في الحصول على موافقة سلطات الانتداب أو أي دولة أخرى، وبعد بضعة أسابيع طولب طاقم السفينة بالمغادرة، وعلى مسافة غير بعيدة من الشاطئ، تعرضت السفينة لقذيفة ناسفة أطلقت من غواصة روسية لم تحدد هوية السفينة "ستروما" وأسفر ذلك عن غرق جميع المسافرين باستثناء واحد.

ورغم جهود السلطات البريطانية، نجح ١٥.٠٠٠ مهاجر يهودي بالدخول سرا إلى (أرض-إسرائيل)، إبان الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٤٢ تم تنظيم الهجرة غير المشروعة، برا عبر الحدود الشمالية، وقد وصل في إطارها حوالي ١٢ ألف مهاجر من دول الشرق.

مؤتمر بلاتمور:

إزاء تمسك السلطات البريطانية ببنود "الكتاب الأبيض" ومعاناة اليهود من قمع النازيين، توصلت القيادة الصهيونية إلى نتيجة حول ضرورة إعادة بلورة أهداف الحركة الصهيونية، ولقد أرادت التعبير، وعلى الملأ، عن رغبتها في تحويل "الكيان القومي" إلى دولة يهودية مستقلة في أقرب فرصة ممكنة، عقب انتهاء الحرب وتحقيقا لهذا الهدف عقد زعماء الصهيونية في الولايات المتحدة مؤتمرا في الحادي عشر من أيار ١٩٤٢ في فندق بلاتيمور بنيويورك، حضره ممثلون من (أرض-إسرائيل) وأوروبا، وقد

جاء في نص البيان الختامي للمؤتمر: "إن المؤتمر، يدعو إلى تحقيق الهدف الأساسي لوعد بلفور وصك الانتداب، اللذين منحا الشعب اليهودي، من خلال الاعتراف بالعلاقة التاريخية التي تربطه (بأرض-إسرائيل)، إمكانية إقامة دولة يهودية، وإن المؤتمر يؤكد على موقفه المعارض لما جاء في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، والذي كانت الغاية منه تقييد-وفي واقع الأمر إلغاء-حق اليهود في الهجرة والاستيطان في (أرض-إسرائيل)، وكما أعلن تشرتشل في أيار ١٩٣٩ "يعتبر هذا الكتاب خرقا وإنكارا لوعد بلفور".

"إننا نرى في سياسات الكتاب الأبيض قسوة تجاهنا، وسلبه حق اللجوء من اليهود الفارين من اضطهاد النازيين، أمر لا يغتفر".

"والمؤتمر يعلم بأن النظام العالمي الجديد، الذي سيقوم عقب انتهاء الحرب، لا يمكن أن يرتكز إلى مبادئ السلام، العدل والمساواة، إلا إذا تم التوصل إلى حل نهائي للمسألة اليهودية، لذا يطالب المؤتمر بفتح أبواب (أرض-إسرائيل) أمام الهجرة اليهودية، تخويل الوكالة اليهودية صلاحية الرقابة على هذه الهجرة، والصلاحيات اللازمة لبناء الأرض، بما في ذلك، تطوير الأراضي البور، وتحويل (أرض-إسرائيل) إلى دولة يهودية، تكون جزءا من العالم الديمقراطي الجديد.

تجدر الإشارة، إلى أن هذا الإعلان عرف فيما بعد "بخطة بلاتمور"، وأصبح البرنامج السياسي للحركة الصهيونية والركيزة التي استندت إليها في مطالبها فيما بعد.

مرحلة المقاومة العبرية:

مع انتهاء الحرب العالمية الثانية في الثامن من أيار ١٩٤٥، تطلع زعماء الحركة الصهيونية والاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل) إلى فتح صفحة جديدة في العلاقات مع سلطات الانتداب، وقد علق المعسكر الصهيوني آمالا كبيرة على إمكانية التوصل إلى حل أفضل للمسألة اليهودية، لذلك، فضلت الحركة الصهيونية إدراج مطالبها على جدول الأعمال بالصيغة التي وردت في "خطة بلاتمور"، بيد أن خيبة الأمل لم تتأخر، فعلى الرغم من تسلم حزب العمال، الذي كان مؤيدا حتى ذلك الحين، للخط الصهيوني، زمام السلطة في بريطانيا، قررت الحكومة البريطانية مواصلة تنفيذ سياسات الكتاب الأبيض، الأمر الذي أشعر زعماء الاستيطان بأن حربهم لم تنته بعد.

في مطلع تشرين الأول ١٩٤٥، أصدر دافيد بن غوريون أوامره إلى منظمة "الهاغاناه" بواسطة رئيس القيادة القطرية (موشيه سنيه)، من أجل العمل ضد النظام البريطاني في (أرض-إسرائيل)، معلنا بذلك بدء المقاومة العبرية للسياسات البريطانية، ولقد توجهت الأنظار بداية نحو إطلاق سراح المهاجرين سرا من معسكر الاعتقال في "عتليت"، ومن ثم تواصلت الهجمات على المطارات، سفن الحراسة البريطانية ومحطات الرادار، ويمكن القول، بأن هذه الفترة، كانت العصر الذهبي في تاريخ الكفاح العبري، حيث شهدت تعاونا واضحا بين منظمات "الهاغاناه"، "ليحي" و "اتسل"، منذ تشرين الثاني ١٩٤٥.

ومقابل الصراع الذي دارت رحاه على (أرض-إسرائيل)، ومع استسلام ألمانيا بدأت تتضح الأبعاد الخطرة للكارثة التي حلت بيهود أوروبا، ولقد طالبت الوكالة اليهودية، السلطات البريطانية، بإصدار تصاريح هجرة لمائة ألف نازح يهودي، وقد

أيدها في ذلك الرئيس الأميركي، (هاري ترومان)، الذي كان قد تسلم تقريرا مفصلا من مبعوثه الخاص، (أريل هاريسون) حول ما يدور في مخيمات اللاجئين في أوروبا.

وظاهريا، كان حزب العمال البريطاني يبدو مؤيدا لإلغاء ما جاء في "الكتاب الأبيض"، وتحويل (أرض-إسرائيل) إلى دولة يهودية، وقد أدرج في برنامجه السياسي الذي خاض به انتخابات عام ١٩٤٥، بنودا تتساوق مع هذه السياسات، بيد أن الصورة انقلبت رأسا على عقب، بعد وصوله إلى السلطة، وسرعان ما أبدى وزير الخارجية، (أرنست بيفن)، الذي كلف بمعالجة القضية الفلسطينية، معارضته الشديدة لإقامة كيان قومي يهودي.

وفي تشرين الثاني من نفس العام، أي بعد نصف عام من انتهاء الحرب، أعلن (بيفن) في البرلمان البريطاني، أن الحكومتين الأميركية والبريطانية اتفقتا على تشكيل لجنة تحقيق انجلو-أميركية، لدراسة المشاكل التي يواجهها اليهود في أوروبا، و "قضية أرض- إسرائيل" بوجه خاص، وقد أجرت اللجنة مناقشات في لندن وواشنطن، وزارت (أرض-إسرائيل) والدول العربية المجاورة، وقدمت نتائجها وتوصياتها في تقرير مفصل في الثلاثين من نيسان ١٩٤٦، حيث دعت جميع الحكومات إلى "العمل فورا على إيجاد "وطن" لكل أولئك النازحين الذين اضطروا، أو يريدون مغادرة أوروبا، دون التفريق بين دين أو جنس".

ولقد كانت نتائج تحقيقات اللجنة حول قضايا (أرض-إسرائيل) كما يلي:

*المصادقة فورا على إصدار مائة ألف تصريح هجرة، لتمكين اليهود الذين يعانون من اضطهاد النازيين والفاشيين، من دخول (أرض-إسرائيل).

*العمل قدر المستطاع على إصدار هذه التصاريح في غضون عام ١٩٤٦، وتسريع الهجرة، وفقا لما تسمح به الظروف..

"ومن أجل التخلص نهائيا من مطالب اليهود والعرب بشأن السيطرة على (أرض-إسرائيل)، نعتقد أن من الضروري نشر بيان واضح يتضمن المبادئ التالية:

أ- لا يخضع يهودي لسيطرة عربي ولا عربي لسيطرة يهودي في (أرض-إسرائيل).

ب- لن تكون (أرض-إسرائيل) دولة يهودية ولا دولة عربية.

ج- يتعهد النظام الذي سيتم تشكيله في نهاية الأمر بالاهتمام-بضمانات دولية- بكامل المسائل والشؤون التي تتعلق بالديانات الإسلامية، المسيحية واليهودية...

بعد وقت قصير من نشر نتائج التحقيق، تبين أن قصة تشكيل اللجنة منذ البداية، لا تعدو كونها مناورة بريطانية، إذ لم يتم إلغاء "الكتاب الأبيض"، وبقيت القيود مفروضة على الهجرة رغم معاناة اليهود المشردين وتوصيات لجنة التحقيق، ولم يسمح بهجرة أكثر من ألف وخمسمائة يهودي شهريا.

ونتيجة لهذا الوضع، اشتدت موجة أعمال العنف اليهودية ضد سلطات الانتداب في (أرض-إسرائيل)، وكانت أعنف الهجمات، تلك التي استهدفت الجسور الموجودة على الحدود، والتي نفذتها وحدات "البلماح" في حزيران ١٩٤٦، وسميت بعملية "ليلة الجسور". بيد أن السلطات البريطانية، لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ذلك وشنت حملة اعتقالات واسعة ضد المستوطنين، بلغت ذروتها في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٤٦، يوم "السبت الأسود"، حيث تم اعتقال ٢٧٠٠ يهودي بينهم الكثير من زعماء المستوطنين.

وفي تموز ١٩٤٦، اشتد الجدل حول الطريقة التي ستتم بها محاربة البريطانيين، بعد أن قام رجال حركة "اتسل" بتفجير فندق "الملك داود" الذي كان

مقرا لمكاتب الحكومة البريطانية، إذ قررت "الهاغاناة" عقب ذلك، وقف النشاطات التخريبية، وتركيز الجهود على الهجرة والاستيطان، وقد كرست ذلك بدفع المهاجرين نحو "بيريا" بالقرب من صفد، وإقامة (١١) نقطة استيطانية عشية يوم "الغفران" ١٩٤٦.

في تلك الفترة، بدأت تنتظم في أوروبا حركة تهجير اليهود ونقلهم إلى (أرض-إسرائيل)، وقد تمكنت (٥٧) باخرة وعلى متنها ٦٧.٠٠٠مهاجر من الإبحار إلى (إسرائيل) في الفترة ما بين أيار ١٩٤٥ ونهاية تشرين الأول ١٩٤٧. بيد أن البريطانيين، تمكنوا من اعتراض سبيل أربعين باخرة، فيما نجحت (١٧) باخرة في إنزال المهاجرين على شواطي (أرض-إسرائيل) سرا، ولا بد لنا هنا أن نتذكر قصة الباخرة "اكسودوس" التي كانت تقل ٤٥٠٠ يهودي، أعادتهم السلطات البريطانية بالقوة إلى شواطئ جنوب فرنسا، ومن هناك، تم نقلهم إلى معسكرات الاعتقال في شمال ألمانيا.

وفي كانون الأول ١٩٤٦، انعقد في مدينة بازل، المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون،وكان الأول بعد كارثة اليهود في أوروبا،وقد تمخض عن قرارات تم التأكيد من خلالها مجددا على خطة بلاتمور.

وفي المقابل، لم يدخل اليأس إلى قلوب المستوطنين اليهود في (أرض-إسرائيل) وقد نجح رجال، "الهاغانا " في التسلل إلى معسكرات النازحين في أوروبا، وعملوا على تدريبهم على حمل السلاح، كذلك، بدأت الاستعدادات في حركة "الهاغاناه" توطئة لخوض حرب محتملة، وبذلت الجهود لتكثيف التدريبات، شراء وإنتاج السلاح بشكل ذاتي، ولا شك في أن عام ١٩٤٧، كان عاما حاسما بالنسبة لنا.

قرار التقسيم:

في الثامن والعشرين من نيسان ١٩٤٧، عقدت جلسة خاصة لعصبة الأمم المتحدة، في مدينة نيويورك، بناء على مبادرة من الحكومة البريطانية، التي طلبت "تشكيل لجنة خاصة لدراسة القضية الفلسطينية قبل طرحها خلال الجلسة العادية لعصبة الأمم المتحدة"، وبالفعل تقرر تشكيل اللجنة التي ضمت أحد عشر ممثلا عن دول غير دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، تم اختيارهم حسب التنوع الجغرافي، وقد كلفت بتقديم توصياتها في موعد أقصاه الأول من أيلول ١٩٤٧.

وفي السادس عشر من أيلول ١٩٤٧، وبعد مناقشات ساخنة، طرحت اللجنة أمام عصبة الأمم المتحدة، قرار الأغلبية، الذي حظي بتأييد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، والذي ينص على إقامة دولتين مستقلتين-عربية ويهودية-ووضع القدس تحت الوصاية الدولية، وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، أقرت هيئة الأمم المتحدة هذا المشروع وحددت ما يلي:-

١-ينتهي الانتداب على فلسطين في وقت لا يتأخر عن اليوم الأول من شهر آب عام ١٩٤٨.

٢-إخلاء القوات البريطانية المسلحة من فلسطين بالتدريج، واستكمال ذلك بالسرعة الممكنة، وفي وقت لا يتأخر عن اليوم الأول من آب ١٩٤٨.

٣-تقوم في فلسطين دولتان مستقلتان، عربية ويهودية، وتوضع القدس تحت وصاية دولية، بعد شهرين من إخلاء القوات البريطانية المسلحة، وفي وقت لا يتأخر عن الأول من آب ١٩٤٨.

٤-تكون الفترة الواقعة بين إقرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بالتوصية الخاصة بالقضية الفلسطينية، ومنح الاستقلال للدولتين العربية واليهودية، فترة

انتقالية، وقد أقرت الأمم المتحدة مشروع التقسيم بأغلبية ثلاثة وثلاثين صوتا، فيما عارضته ثلاث عشرة دولة، وامتنعت عشر دول عن التصويت، وتغيب ممثل سيام (تايلاند).

في صبيحة اليوم التالي، هاجم العرب في (أرض-إسرائيل) حافلة يهودية كانت في طريقها من نتانيا إلى القدس فقتلوا خمسة وأصابوا سبعة بجروح وكانت هذه بداية حرب "الاستقلال".

بعد أن خرج اليهود خارج أسوار القدس، بدأت مشاكل الأمن والحراسة بالظهور، وقد أدرك اليهود أن الحاجة ملحة لتطوير أسلوب دفاعي مستقل لم يألفوه من قبل، فقام مؤسسو مستوطنة "ميئا شعاريم" بإحاطة مستوطنتهم بسور كبير، له أربع بوابات، كانت تغلق كل ليلة، ورأى مستوطنو "بيتح تكفا" الذين خرجوا من القدس عام ١٨٧٨، أن الضرورة تقتضي بالدفاع عن ممتلكاتهم، وعليه، كانت بداية تشكيل منظمات الحراسة والدفاع.

يقول البروفيسور (يهودا سلوتسكي): "ينبغي التمييز بين مرحلتين في كل ما يتعلق بالمستوطنات: مرحلة الكفاح ومرحلة الحراسة، مرحلة الكفاح استمرت ما بين عام إلى عامين، وقد شهدتها كل مستوطنة جديدة، وفي هذه المرحلة درس جيراننا العرب طباع وسجايا المستوطنين، وكان لزاما على المستوطنين، أن يجتازوا هذا الاختبار، بإبداء القوة والشجاعة والبأس، عدم الاكتراث بالتهديدات وأعمال العنف وإثبات القدرة على الرد، ولو لم يقوموا بكل ذلك، لأحرقت حقولهم ولكانت محاصيلهم طعاما لبهائم جيرانهم".

حراسة المستوطنات:

في الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر، تم وضع المستوطنات تحت إشراف البارون (روتشيلد)، وسلّمت مهام الحراسة إلى قطّاع طرق ولصوص مشهورين بينهم مغاربة، بدو وشركس، كان من الواضح أن إدارة البارون، تحاول تجنب وضع تكون فيه الحراسة بأيد يهودية، بيد أن الحارس "الأجنبي" لم يكن يقوم بأعمال الحراسة الليلية، بل يخلد إلى النوم، معتمدا على هيبته ووقاره.

وعندما زار (مناحيم أوشيكين) (أرض-إسرائيل) عام ١٩٠٣، طلب من رؤساء المستوطنات "التسلح بالشجاعة وفرض سطوتهم على اللصوص، ليجبروهم على تكليف عناصر من داخلهم بمهام الحراسة، بيد أن ممثلي المستوطنات، قالوا: إن الحارس العربي الذي سيتم اختياره، يكون هو نفسه رئيسا لشبكة لصوص تفرض سطوتها على كل المنطقة، وهو بذلك، لا يأخذ أجر حراسة، بل مكافأة حراسة، ولولا هذه المكافأة، لكانت المستوطنات في خطر شديد.

الحراسة المنظمة:

بدأت "الهجرة الثانية" في نهاية عام ١٩٠٣، وكان في طليعة المهاجرين، عدد من أعضاء حركة الثورة والدفاع المستقل في روسيا، أعضاء "حركة هومليت" الذين فروا من روسيا، ونشطاء من الحركات الدفاعية التي كانت تعمل في شتى مدن روسيا، وقد كان أبرز هؤلاء المهاجرين، (يسرائيل شوحط) الذي تحدث عن ضرورة تشكيل حركة يهودية قوية ومحاربة، والذي يمكن اعتباره الأب الحقيقي للحراسة المنظمة في (أرض-إسرائيل).

في عام ١٩٠٧ بادر (شوحط) إلى الاجتماع بعدد من زملائه في يافا، حيث قرروا تشكيل رابطة "بار جيورا" للسيطرة على العمل وأعمال الحراسة في المستوطنات،

وكان شعار هذه الرابطة السرية "بالدم والنار سقطت دولة يهودا، وبالدم والنار يهودا ستقوم"، وكان مؤسسوها (اسحق بن تسفي)، الذي أصبح فيما بعد الرئيس الثاني لدولة إسرائيل، (تسفي بيكر)، (يسرائيل جلعادي)، (الكسندر زايد)، (يحزقيل حنكين)، (يحزقيل نيسنوف) و (يسرائيل شوحط)، ثم انضم إليهم فيما بعد عدد آخر من أعضاء رابطة "سجره"، حيث وقعوا عقد حراسة، مع مستوطنة "سجره"، وفي صيف ١٩٠٨، وقعوا اتفاقا لحراسه مستوطنة "كفار تبور" في قرية مسحه.

غير أن الصورة، اختلفت عقب ثورة "الشبان الأتراك" في تركيا حيث عمّ القلق مستوطنات الجليل ويهودا إزاء الوضع الأمني، وتوجهت العديد من المستوطنات لطلب المساعدة من الحراس في مستوطنة "سجره"، وفي ظل هذا الواقع الجديد، أدرك أعضاء "بار جيورا"، أن الوقت قد حان للإعلان عن تشكيل منظمة للحراسة.

حركة هشومير:

في آخر يوم من أيام عيد الفصح عام ١٩٠٩، اجتمع أعضاء "بار جيورا" في قرية مسحه، وقرّروا تشكيل منظمة حراسة قانونية باسم "هشومير"-الحارس- تتولى كافة مهام الحراسة، بيد أن الأمر لم يكن سهلا، واحتاجت المنظمة وقتا طويلا، حتى تمكنت من إثبات وجودها في قسم كبير من المستوطنات اليهودية.

كان مقر المنظمة في مستوطنات الجليل الأسفل، وقد أخذت على عاتقها في فترات محددة، مهام الحراسة في منطقة الخضيرة ومناطق أخرى، وكان أعضاؤها يرون أنفسهم جزءا من حركة "هبوعليم"-العمال- في (أرض-إسرائيل)، فقرروا تشكيل "قرى حراس" لا سيما في (كفار جلعادي)، (تل عدسيم)-تل العدس، (محنايم)، (أم جوني)-دجانيا، كركور ومستوطنات أخرى، وقد نجح أعضاء "هشومير" في دفع

عناصر يهودية إلى قطاع الرعي، الذي كان العرب والبدو يسيطرون عليه، سيطرة شبه كاملة.

كانت نشاطات المنظمة سرية إلى حد بعيد، وكان استقبال المرشحين يتم بصورة سرية، أما عدد الأعضاء فلم يكن يتجاوز المئة، وقد ذاع صيت جرأتهم وشجاعتهم وسط اليهود في شتى أنحاء العالم، وأصبحوا رمزا لليهودي الجديد في (أرض-إسرائيل). وقد أثارت نشاطاتهم، غير مرة، ردود فعل قاسية لدى المواطنين العرب، وسقط عدد منهم، فيما أصيب آخرون بجروح أثناء تأديتهم لمهامهم، وإبّان الحرب العالمية الأولى، طاردهم الأتراك بعد أن شكوا في مدى ولائهم للنظام.

لم تكن "هشومير" منظمة الحراسة الوحيدة العاملة آنذاك، بل كانت هناك منظمات عديدة عملت في الفترة ما بين عامي ١٩١٠-١٩٢٠، أبرزها منظمة (هجدعونيم)، التي أسّسها أبناء الهجرة الأولى عام ١٩١٣، لتكون ثقلا موازنا لمنظمة "هشومير" التي كانت تنتمي إلى حركة "هبوعليم" -العمال، وكان شعارها "بناء المهدّم وتوفير كل ما تحتاجه المستوطنات، لتكون مستوطنات عبرية بكل معنى الكلمة".

كانت الحراسة جزءا بسيطا من مهام منظمة "هجدعونيم"، وكان دور أعضائها لا يتعدى الرقابة اليهودية على الحراسة العربية-اليهودية المشتركة، وقد انبثقت عن هذه المنظمة، حركة "نيلي" السرية التي قام أعضاؤها إبان الحرب العالمية الأولى بالتجسّس لصالح بريطانيا وحلفائها، أملا في مساعدتها على التحرر من الحكم العثماني.

حركة "همغين"-المدافع:

شكلت حركة "همغين"-المدافع، إبان الحرب العالمية الأولى في جنوب (أرض-إسرائيل)، على يد (يوسف ليشنسكي)، وقد تألفت من عشرين عضوا، كان

معظمهم ممن لم يتم استيعابهم في حركة "هشومير"، أخذ أعضاء الحركة على عاتقهم، مهام الحراسة في مناطق (روحما)، (الجديرة)،(بئر طوفيا) و (عقرون). وعندما انصب اهتمام (ليشنسكي)على حركة "نيلي" السرية التجسسّية، انهارت حركة "همغين" في غضون مدة قصيرة.

أما أصغر الحركات التي تشكلت في تلك الفترة، والتي لم تكن معروفة فهي حركة "هنوطير" الناطور، التي أسسها أفراد لم يتم استيعابهم في حركة هشومير، والتي لم تعمل لأكثر من عام.

حركة نيلي:

على امتداد عامين ونصف العام (١٩١٥-١٩١٧)، عملت في (أرض-إسرائيل)،حركة سرية عبرية قدمت لأجهزة الاستخبارات البريطانية خدمات تجسسية أملا في مساعدتها لتحرير (أرض-إسرائيل) من الحكم العثماني، إبان الحرب العالمية الأولى، وقد عرفت هذه الحركة باسم "نيلي"، أسّسها (أبشلوم بينبيرغ) وترأسها (أهارون أهارونسون).

كانت أبرز نشاطات هذه الحركة، تزويد القيادة البريطانية في مصر بقيادة الجنرال اللنبي، بمعلومات عسكرية مهمة سهلت الهجمة البريطانية لاحتلال جنوب (أرض-إسرائيل) وقد تم جمع هذه المعلومات،بواسطة باخرة تجسس أمّت شاطئ عتليت.

وفي ذروة نشاطاتها، لم يزد أعضاء الحركة عن بضع عشرات، كان أغلبهم من عائلات (أهارونسون) و (بينبرغ) وأصدقائهم، وفي الوقت الذي أعرب فيه حاييم وايزمان عن تأييده للحركة، عارض زعماء المستوطنين نشاطاتها.

في كانون الثاني ١٩١٧، قتل مؤسس الحركة (بينبيرغ) بأيدي جماعة من البدو على مداخل رفح، وفي أيلول من نفس العام، كشف النقاب عن الحركة، وتم إلقاء القبض على معظم أعضائها.

الفصل السادس

-الكتائب العبرية-

لمعت فكرة تشكيل الكتائب العبرية في رأس ثلاثة من اليهود المقيمين في روسيا: (زئيف جيبوتينسكي)، (يوسيف ترومبلدور) و (بنحاس روتنبيرغ). وقد كتب (روتنبيرغ) في أيلول ١٩١٤، رسالة إلى (حاييم وايزمان) قال فيها: "انطلاقا من اعتقادي بأن الحل الوحيد للمسألة اليهودية يكمن في استقلالية "أرض –إسرائيل" من الناحية السياسية، أرى أن بمقدورنا الآن فقط الحصول عليها، وإلا فإننا لن نتمكن من ذلك أبدا، بمقدورنا الآن الحصول عليها بأسلوب يليق بنا كأمة، أعني فقط إذا تخضبت بالدماء اليهودية، علينا الوصول إلى وضع تدعو فيه الحكومة البريطانية المتطوعين اليهود لمحاربة الأتراك في (أرض-إسرائيل)، وتحريرها من أجل الشعب اليهودي".

لم تكن الفكرة فكرة (روتنبيرغ) وحده، بل لمعت أيضا في رأس (زئيف جيبوتنسكي)، الذي كان يقيم آنذاك في فرنسا، كمراسل صحفي، ولما لم يتمكن من إقناع (ماكس نوردو)، المنفي في إسبانيا بالفكرة، واصل طريقه كصحفي،إلى إيطاليا وشمال إفريقيا، ووصل إلى الإسكندرية في مصر، حيث بدأ نشاطاته وسط آلاف النازحين، الذين غادروا (أرض-إسرائيل) في أواخر عام ١٩١٤ ومطلع ١٩١٥، بعد أن رفضوا البقاء تحت الحكم العثماني، وهناك تعرف إلى (يوسيف ترومبلدور)، الذي عرف كشخصية عسكرية، متميزة في الحرب الروسية-اليابانية وحصل على أربعة أوسمة، إشادة بشجاعته وبسالته في الحرب، وكان (ترومبلدور) قد هاجر إلى (أرض-

إسرائيل) عام ١٩١٢، وغادرها مع الكثيرين الذين غادروها عام ١٩١٥، وقد ولدت بينه وبين زئيف جيبوتنسكي علاقات وطيدة.

شكلت أولى الكتائب العبرية بالإسكندرية في ربيع عام ١٩٠٥، وقد عرفت باسم "كتيبة سائقي البغال الصهيونية"، وضمت عددا من المتطوعين والنازحين اليهود. وقد تم حلها بعد عام من تشكيلها.

وفي شتاء عام ١٩١٧، فكّر نشطاء هذه الحركة بتشكيل كتيبة أخرى عرفت باسم "كتيبة القناصة الرسمية ٣٨"، وقد انضم إليهم عدد من النازحين اليهود ذوي الجنسية الروسية الذين أقاموا في لندن، ولقد تزامن تشكيل هذه الكتيبة مع صدور "وعد بلفور" وقيام إحدى القوات البريطانية باحتلال الجزء الجنوبي من (أرض- إسرائيل)، بما في ذلك القدس، الأمر الذي أثار ردة فعل يهودية واسعة، وأحدث حركة تطوع وسط الطلائعيين سواء في الولايات المتحدة أو وسط المستوطنين في الجزء "المحرر" من (أرض-إسرائيل)، إذ قرّر الطلائعيون في الولايات المتحدة بحضور (دافيد بن غوريون) و (اسحق بن تسفي)، اللذين طردا قبل ذلك من (أرض-إسرائيل)، تشكيل "كتيبة القناصة الرسمية ٣٩"، وبدأت في (أرض-إسرائيل) حركة التطوع للكتائب العبرية والتي شملت فلاحين ومزارعين وطلبة من المدارس الثانوية، الأمر الذي أثار جدلا عميقا داخل المستوطنات نفسها، فقد تذرع معارضو تجنيد المتطوعين بحب السلام وضرورة الحفاظ على ما تم إنجازه بجهد عميق، فيما اعتبر المؤيدون تشكيل كتيبة عبرية واجبا قوميا من أجل تحرير (أرض-إسرائيل) بأيدي اليهود.

وكان بينهم من زعم بأن هذا الأمر سيساعد في تثبيت المطالب السياسية للشعب اليهودي في أوقات السلم، وقد سميت الكتيبة العبرية في (أرض-إسرائيل) بـ "كتيبة القناصة الرسمية.ع"

وصلت "الكتيبة ٣٨" إلى جبهة (أرض-إسرائيل) في صيف عام ١٩١٨، وقد حاربت في منطقة شمال القدس وبعد ذلك في غور الأردن وفي احتلال الضفة الشرقية لنهر الأردن. وفي معركتها على الجبهة الأخيرة، انضم إليها سريتان من "الكتيبة رقم ٣٩" في الولايات المتحدة بقيادة الكولونيل (اليعازر مرغولين)، بيد أنه لم يتسن للكتيبة الإسرائيلية المشاركة في معركة احتلال (أرض-إسرائيل)، وتم نقلها إلى هناك، فقط، في كانون الثاني عام ١٩١٨، للقيام بأعمال الحماية والحراسة.

وعقب انتهاء الحرب، بدأ الصراع حول وجود الكتائب، فقد أرادت الحركة الصهيونية أن ترى فيها نواة للقوة العبرية، فيما طالبت القيادة البريطانية بحلّها، ولما اتضح للمتطوعين بأن السلطات البريطانية لن تسمح لهم بالمشاركة في النشاطات الأمنية في (أرض-إسرائيل)، وحظر عليهم الدفاع كذلك عن المستوطنات اليهودية التي تضررت في أحداث الجليل التي وقعت في ١١ آذار ١٩٢٠ وأحداث القدس في العام نفسه، لم يجدوا سببا يدفعهم لخدمة المملكة البريطانية، وعليه تم حل الكتائب بشكل نهائي في صيف ١٩٢١.

منظمة الهاغاناه:

في الفترة ما بين عامي ١٩٢٠-١٩٣٠، اتّسع حجم المستوطنات اليهودية بحوالي ضعفين ونصف الضعف وربما أكثر، وارتفع عدد المستوطنين من ٦٠ ألف نسمة إلى ١٦٠ ألفا، وقد كان لهذه الزيادة أهمية كبيرة من حيث التوازن العددي بين اليهود والعرب، لكن كان من الواضح أن مشاكل الأمن، كانت تزداد تعقيدا كلما اتسع حجم المستوطنات.

اتخذ قرار تشكيل منظمة "الهاغاناه" عام ١٩٢٠ في مؤتمر حزب "اتحاد العمل" والمؤتمر التأسيسي للهستدروت العام، وقد بادرت إلى تأسيسها شخصيات

ومنظمات داخل وخارج (أرض-إسرائيل) بينها المنظمة اليهودية للدفاع المستقل، والتي تشكلت في روسيا، رابطة "بار جيورا" ومنظمة "هشومير"، كتيبة العمل والدفاع تحت اسم (يوسف ترومبلدور)، الكتائب العبرية، ومجموعة ضمت كل أولئك الذين لم يغادروا تل أبيب عندما قامت السلطات التركية بطرد معظم المستوطنين.

وكان هدف مؤسسي منظمة "الهاغاناة" سدّ حاجات المستوطنات اليهودية التي عاشت أحداثا دامية-في مستوطنات (تل حي) في القدس، (كفر جلعادي) في يافا و (أيليت هشاحر) في دجانيا.

وفي الثالث عشر من آذار ١٩٢١ تم تشكيل اللجنة الأولى لمنظمة (الهاغاناة) وكان أعضاؤها (الياهو غولومب)، (ليفي شكولنيك-اشكول)، (يسرائيل شوحط)، (يوسف براتس)، (حاييم شتورمان) (تسفي نداف) و (اسحق ساديه)، أما قائد "الهاغاناة" فقد كان (يوسف هخت)، وفي المؤتمر التأسيسي للمنظمة الذي عقد في طبريا، تقرّر فتح أبوابها أمام جميع الراغبين، والمؤهلين للالتحاق بها، وقد أكد أعضاؤها على أن المنظمة مفتوحة أمام كل يهودي، وإن هدفها خدمة الاستيطان والحركة الصهيونية عموما.

في أعقاب أحداث عام ١٩٢٩، تقرر وضع منظمة "الهاغاناه" تحت تصرف المؤسسات الوطنية، لتقوم بأعمال الحماية اللازمة، بيد أن الأمر كان مختلفا في أحداث الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٦-١٩٣٩ والتي عرفت بالثورة العربية، فقد وجهت الحركة القومية العربية نشاطاتها ليس ضد الاستيطان اليهودي فحسب، بل ضد السلطات البريطانية، وكانت الهجمات موجهة ومستمرة، استهدفت محاور الحركة والمستوطنين اليهود.

ضيق الخناق على المستوطنات اليهودية، وقد نجحت منظمة "الهاغاناه" في الدفاع عن المستوطنات المأهولة، وكان لزاما عليها إيجاد رد مناسب على التهديدات والأخطار الجديدة، كانت السياسات الرسمية تسير باتجاه ضبط النفس، بيد أن الجمهور عامة ورجال "الهاغاناه" أرادوا وضع حد لهذا الوضع.

كان هناك من يقول أن تلك الفترة أثبتت صحة الحكمة التي تقول "رب ضارة نافعة"، فقد أراد العرب تصفية الاستيطان اليهودي، بيد أن النتيجة كانت عكسية، إذ تضررت مكانة العرب وقويت شوكة اليهود.

في تلك السنوات تبنت منظمة "الهاغاناه" ثلاثة اتجاهات جديدة:-

*الاتجاه الأول: الانتقال من الدفاع المستقل إلى التحركات العسكرية، وقد تجسر هذا الانتقال بتشكيل سرية جوالة بقيادة (اسحق لندوبيرغ-سادية) في جبال القدس عام ١٩٣٦، تلاها تشكيل وحدات جوّالة في مناطق عديدة مثل مرج بن عامر وغور الأردن، وفي نهاية عام ١٩٣٧ تم البدء بتشكيل السرايا الميدانية التي خرجت لنصب الكمائن وتنفيذ عمليات خاصة في القرى العربية.

*الاتجاه الثاني: تشكيل وحدات قانونية بهدف تعزيز قدرة المستوطنات على حماية نفسها، وقد أبدت السلطات البريطانية، التي اعترفت بأن الثورة العربية كانت موجهة ضدها أيضا، استعدادها لتجنيد الآلاف من أعضاء "الهاغاناه" كحراس، وتزويدهم بالسلاح اللازم، وفي نهاية عام ١٩٣٩، بلغ قوام شرطة المستوطنات العبرية ٢٢.٠٠٠ ألف شخص.

ويمكن القول، أن الأحداث الدامية التي شهدتها تلك السنوات، والرغبة في تحديد حقائق سياسية، قبل ترسيم حدود التقسيم المحتملة على يد "لجنة بيل"، حدت بقيادات الاستيطان، إلى العمل على توسيع مجال الاستيطان اليهودي، وفي

كانون الأول ١٩٣٦، بدأ بناء المستوطنات بأسلوب "سور وبرج"، وقد كان أسلوبا جديدا في نشاطات "الهاغاناه"، ويصح القول، بأن هذا الأسلوب حقق هدفين رئيسين: إقامة سريعة للمستوطنة -حيث كان بناء المستوطنة لا يستغرق أكثر من يوم واحد-،

وخلق ظروف تسمح بصمود مجموعة صغيرة من المدافعين إلى حين وصول الإمدادات العسكرية.

ومع انتهاء الثورة العربية عام ١٩٣٩، تقرّر حل الكتائب الميدانية، وتم تشكيل سلاح الميدان الذي واصل تبني نظرية الحرب المتحركة، وعندما تم تشكيل كتائب الكوماندو (البلماح) في أيار ١٩٤١، واصلت هي الأخرى السير على نظرية الحرب المتحركة والهجومية.

وقد لعبت كتائب (البلماح) التي كانت تعمل في إطار منظمة (الهاغاناه) دورا في معظم النشاطات الموجهة ضد البريطانيين والعرب، والحيلولة، في أحيان أخرى، دون قيام نشاطات منظمات يهودية أخرى.

*الاتجاه الثالث: الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، فلقد لعبت منظمة (الهاغاناه) دورا بارزا على صعيد الهجرة السرية، وأول نشاطاتها تجسد في ضمان نزول المهاجرين سرا على متن أول سفن الهجرة "فيلوس" إلى الشاطئ عام ١٩٣٤، أضف إلى ذلك، تشكيل "مؤسسة الهجرة الثانية" عام ١٩٣٩، والتي كانت تابعة لإدارة الوكالة اليهودية، ومرتبطة بعلاقة وثيقة الصلة بمنظمة "الهاغاناه".

وفي سنوات الحرب العالمية الثانية عملت "الهاغاناه" على دفع الهجرة السرية اليهودية برا من الدول العربية عبر حدود سوريا ولبنان.

وعقب انتهاء الحرب، لعب أعضاء "الهاغاناه" دورا رئيسيا في مشروع الإنقاذ، أعني "تهريب" اليهود الناجين من (الكارثة النازية) من شتى أنحاء أوروبا ونقلهم إلى (أرض-إسرائيل).

في نهاية الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات، تمت بلورة الإطار العام لمنظمة "الهاغاناه"، حيث تم تأسيس أذرع وقيادات ووضع أسلوب عمل موحّد، وقد كان تعاون "الهاغاناه" مع البريطانيين في سنوات الحرب أكبر بكثير من مستوى العمل ضدهم، بيد أن بريطانيا، قررت، صيف عام ١٩٤٥، ومع انتهاء الحرب في أوروبا، التمسك بسياسات "الكتاب الأبيض"، الأمر الذي حدا بالقيادة الصهيونية، لإصدار الأوامر، إلى "الهاغاناه" لتصعيد حدة الصراع، تعزيز الهجرة السرية ونشاطات الاستيطان وتبني عمليات عسكرية، ضد أهداف بريطانية، وقد اعتبرت النشاطات اليهودية المسلحة، جزءا من حركة التمرد العبرية التي شهدت بدايات التعاون المشترك بين منظمات "الهاغاناه"، "اتسل" و "ليحي"، والذي استمر منذ تشرين أول ١٩٤٥، وحتى تموز ١٩٤٦، ويمكن القول، أن أبرز العمليات التي نفذتها "الهاغاناه" بشكل عام و "البلماح" بشكل خاص، عملية تفجير السكك الحديدية، مداهمة محطات الرادار، وعملية "ليلة الجسور" التي تم خلالها تفجير عشرة جسور حدودية، وقد تمخضت تلك العمليات عن ردة فعل بريطانية تجسدت فيما عرف "بالسبت الأسود" في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٤٦.

كان آخر العمليات التي نفذت في إطار حركة التمرد العبرية، تفجير فندق الملك داود على أيدي أعضاء حركة "الاتسل" في تموز ١٩٤٦، وفي الفترة ما بين عامي ١٩٤٦-١٩٤٧ عملت القيادة السياسية والهيئة العسكرية على تهيئة "الهاغاناه" وتسليحها، استعدادا للمواجهة الحاسمة مع العرب، ويمكن القول، إن الصراع الذي

أدارت الحركة الصهيونية دفته، الهجرة السرية، النشاطات الاستيطانية والظروف التي سادت الساحة الدولية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حدت بالسلطات البريطانية لاتخاذ قرار إخلاء (أرض-إسرائيل).

كان زعماء المستوطنين يدركون تماما، بأن العرب سيبذلون قصارى جهدهم لإحباط خطة إقامة الدولة اليهودية وبمبادرة من (دافيد بن غوريون)، بدأت منظمة "الهاغاناه" بالانتظام، استعدادا لمواجهة خطر القوات العربية، التي ستحاول اجتياح المنطقة من كافة الجهات، وعليه، انتظمت "الهاغاناه"، إضافة إلى (البلماح)، في أواخر عام ١٩٤٧ وأوائل عام ١٩٤٨، في خمسة ألوية ووحدات مساعدة، وأصبحت قوة عسكرية، يعتمد عليها في حماية وضمان الاستيطان اليهودي، في (أرض-إسرائيل)، وفي الحادي والثلاثين من أيار ١٩٤٨، خرجت "الهاغاناه" من وصفها حركة سرية، وتم تشكيل جيش "الدفاع" الإسرائيلي.

حركة النواطير:

كانت حركة النواطير، عبارة عن مجموعة من الحراس، تم تجنيدهم للخدمة الكاملة أو الجزئية عقب اندلاع الثورة العربية عام ١٩٣٦، وكان معظم هؤلاء الحراس أعضاء في "الهاغاناه" و "اتسل"، وقد تم تجنيد ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ منهم، تجنيدا كاملا، فيما تم وضع أربعة أو ستة أضعافهم، كقوة احتياطية، تم تدريبها وتهيئتها لأي طارئ.

كانت أولى وأهم المهام الملقاة على عاتق أعضاء حركة النواطير، التصدي للهجمات العربية، وفي مطلع عام ١٩٣٩، تم تجنيد النواطير، الذين خدموا في المستوطنات، في إطار "شرطة المستوطنات اليهودية"، التي كانت تعتبر الوحدة المركزية في "سلاح النواطير"، وقد انبثقت عن سلاح النواطير، سرايا الليل الخاصة،

التي عملت على امتداد حوالي عام، بدءا من صيف عام ١٩٣٨، والتي لعبت بقيادة القبطان (تشارلز أورد وينجيت)، دورا بارزا في محاربة المجموعات العربية في شمال (أرض-إسرائيل).

وبنظرة إلى الوراء، يمكن القول أن منظمة "الهاغاناه" نجحت في حماية المستوطنات اليهودية، وضمان استمرارية ازدهارها واتساعها، بفضل النواطير الذين وصل عددهم آنذاك إلى حوالي عشرين ألفا، وكانوا إحدى الركائز الأساسية لقوة الدفاع العبرية.

منظمة الإتسل:

"الإتسل" هو اختصار الأحرف العبرية الأولى للمنظمة العسكرية القومية، التي ولدت مع بداية عام ١٩٣١، وتأسّست في الفترة ما بين عامي ١٩٣٧-١٩٤٨، ففي عام ١٩٣١، حدث انقسام في فرع منظمة "الهاغاناه" في القدس، وانسحبت مجموعة من أعضائها يترأسها (ابراهام تهومي)، وشكلت منظمة أخرى.

وعندما عاد (تهومي) إلى منظمة "الهاغاناه" عام ١٩٣٧، عاد معه نصف أعضاء المنظمة الجديدة، في حين بدأ الباقون العمل كمنظمة مستقلة.

جاء أعضاء "الإتسل" من صفوف "منظمة بيتار"-اختصار الأحرف الأولى لميثاق (يوسيف ترومبلدور)-والحركة الإصلاحية في (أرض-إسرائيل) والشتات، وقد أصبح (زئيف جيبوتنسكي)، مؤسس وقائد الحركة الإصلاحية، القائد الأول لمنظمة "الإتسل"، وقد سارت المنظمة على نهجه حتى بعد وفاته عام ١٩٤٠.

وخلافا لقيادة الاستيطان اليهودي التي تبنّت سياسة ضبط النفس، بدأ رجال "الإتسل" نشاطاتهم ضد العرب في شتى مناطق (أرض-إسرائيل).

ففي نيسان ١٩٣٨ هاجموا حافلة عربية كانت في طريقها من صفد إلى مستوطنة (روش بينا). وكان ردّ البريطانيين على ذلك عنيفا، حتى أنهم حكموا على أحد أعضاء المنظمة، ويدعى (شلومو بن يوسيف)، بالموت شنقا، وقد نفذ الحكم فيه بتاريخ ١٩٣٨/٦/١٨، وكان أول يهودي يشنق على (أرض-إسرائيل) بأمر من السلطات البريطانية.

كان شعار "الإتسل" تحقيق الاستقلال العبري على (أرض-إسرائيل) كلها، وكان أعضاء المنظمة يثقون بإمكانية إنجاز هذا الهدف بقوة السلاح العبري فقط، وعليه، بدأوا في أيار ١٩٣٩، وعقب نشر "الكتاب الأبيض"، بالعمل ضد السلطات البريطانية، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، قرروا وقف العمليات وقامت السلطات البريطانية بإطلاق سراح القائد الثاني للمنظمة، (دافيد رزيئيل)، الذي تم إرساله، بعد مدة قصيرة، إلى العراق، بتكليف من الاستخبارات البريطانية، وتوفي هناك، وقد حلّ محله كقائد للإتسل، نائبه (يعكوف مريدور).

تمخض التعاون مع السلطات البريطانية عن حدوث انقسام داخل "الإتسل"، واحتجاجا على وقف العمليات ضد السلطات البريطانية، انسحبت مجموعة يترأسها (ابرهام شترن-"يائير") وشُكلت منظمة "ليحي-المناضلون في سبيل حرية إسرائيل.

وفي مطلع عام ١٩٤٤، استأنفت "الإتسل" صراعها ضد البريطانيين، فهاجمت مؤسسات حكومية، معسكرات، مراكز شرطة، سيارات وقطارات، وفي الأول من شهر شباط ١٩٤٤، أعلن (مناحيم بيغن)، القائد الجديد للمنظمة "التمرد على نظام القمع البريطاني"، فشنّت الشرطة البريطانية والشرطة السرية،حرب إبادة، ضد "الإتسل"، تمخضت عن تنفيذ حكم الإعدام شنقا ضد سبعة من أعضائها، في حين تم طرد حوالي ثلاثمائة إلى معسكرات الاعتقال في أفريقيا.

كانت النشاطات العسكرية لمنظمة "الإتسل" تتعارض وبشكل تام مع موقف مؤسسات الاستيطان العليا والإدارة الصهيونية، وقد حاول زعماء "الهاغاناه"، (موشيه سنيه)، و (الياهو جولومب) إقناع قائد "الإتسل" (مناحيم بيغن)، بوقف نشاطاته التخريبية، والتفرغ لمحاربة الخطر النازي والتعاون مع مؤسسات الاستيطان، بيد أن بيغن أعلن باسم قيادة "الإتسل"، رفضه التعاون معهم، إلى أن تقوم تلك المؤسسات بتغيير سياساتها.

كان رد "الهاغاناه" قاسيا، فقد قررت التعاون مع الشرطة البريطانية في كشف مخازن أسلحة منظمة "الإتسل"، ومطاردة أعضائها وتسليمهم إلى السلطات، بيد أن هذه الفترة، التي عرفت "بموسم الخصومات بين المنظمات السرية اليهودية" انتهت في آذار ١٩٤٥.

وفي نهاية العام، تمت بلورة تعاون مشترك، لكنه كان مؤقتا بين منظمات "الهاغاناه"، "الإتسل" و "ليحي" في إطار ما عرف "بحركة التمرد العبرية"، وقد نفذوا عددا كبيرا من العمليات، أسفرت عن ردود فعل بريطانية عنيفة، غير أن هذا التعاون انتهى في صيف عام ١٩٤٦، عقب تفجير فندق "الملك داود" ، حيث انهارت "حركة التمرد" وقررت "الإتسل" استئناف نشاطاتها، التي تواصلت حتى قيام الدولة.

وفي الأشهر الأولى لحرب الاستقلال، واصلت "الإتسل" وبشكل مستقل، نشاطاتها انطلاقا من الرغبة في إلغاء خطة التقسيم.

وبعد قيام الدولة أعلنت قيادة "الإتسل" حل المنظمة، ووقعت بتاريخ ١٩٤٨/٦/١، اتفاقا لضم مقاتليها إلى صفوف الجيش الإسرائيلي.

وفي إطار الانتخابات الأولى للكنيست شكل أعضاء "الإتسل" سابقا، حركة "حيروت"-الحرية- ، التي كانت حزبا سياسيا ترأسه (مناحيم بيغن).

منظمة ليحي:

في السنوات الثماني الأخيرة، التي سبقت قيام الدولة اليهودية، عملت في (أرض-إسرائيل) منظمة سرية أخرى، سميت بداية "بالمنظمة العسكرية القومية في إسرائيل" (لتمييزها عن "المنظمة العسكرية الوطنية في "أرض-إسرائيل" –"الاتسل" التي انبثقت عنها أصلا). وقد سميت هذه المنظمة، فيما بعد، بمنظمة "ليحي"-اختصار الأحرف العبرية الأولى لحركة "المناضلون في سبيل حرية إسرائيل".

كان الهدف المعلن لهذه المنظمة، طرد النظام الأجنبي بالقوة وتجسيد (الملكية اليهودية على (أرض-إسرائيل). وقد كان محور الخلاف بين "الإتسل" وحركة "ليحي" التي انبثقت عنها، يتمحور حول مسألتين:

*ماهي الجبهة الرئيسية-العربية أم البريطانية؟

*ومن هو العدو رقم واحد-ألمانيا النازية أم بريطانيا؟

وفي كلتا الحالتين، كان من الواضح أن بريطانيا هي العدو وهي جبهة القتال الرئيسة.

يعتبر (ابراهام شتيرن "يائير")، أحد كبار قادة "الإتسل"، مؤسس منظمة "ليحي"، وقد استبعد تماما، إمكانية بلورة تعاون مشترك مع البريطانيين، حتى عندما كان من الواضح أن ألمانيا النازية، هي العدو رقم واحد.

كان هدف "ليحي" طرد البريطانيين من (أرض-إسرائيل)، وقد أخذ أعضاء المنظمة على عاتقهم مهام جسيمة، تتعدى الكفاح ضد سلطات الانتداب، إلى محاربة بريطانيا عموما، كانت القوة ضئيلة ومقلصة والهدف كبيرا، وعليه، كانت "ليحي" تتطلع إلى لعب دور، تذكي فيه نيران الصراع بين الاستيطان اليهودي والنظام

البريطاني، وتتبنى من خلاله خطوات تقحم جميع يهود (أرض-إسرائيل) في حرب شاملة ضد البريطانيين.

بدأت منظمة "ليحي" بالعمل في عام ١٩٤٠. وقد اضطرت في سنواتها الأولى لمواجهة الشرطة البريطانية السرية من جهة، ومنظمتي "الإتسل" و "الهاغاناه" من جهة أخرى، ونتيجة لنشاطاتها، وجدت المنظمة نفسها في عزلة وسط الاستيطان اليهودي. وقد تم اعتقال عدد كبير من قادتها وأعضائها، فيما اضطر العشرات لتسليم أنفسهم.

وفي شباط ١٩٤٢، ألقي القبض على (ابرهام شتيرن) في إحدى ضواحي مدينة تل أبيب، وقتل على يد البوليس السري البريطاني.

وفي شتاء عام ١٩٤٣، تمكن العشرات من أعضاء المنظمة من الهرب خارج أسوار معسكر الاعتقال في اللطرون،وكان من بين الفارين، (اسحق شامير)، (نتان يلين-مور)، والدكتور (يسرائيل الداد)، الذين شكلوا منظمة صغيرة، واصلت النشاطات الإرهابية ضد البريطانيين.

وفي تشرين الثاني، بلغت نشاطات هذه المنظمة ذروتها، عندما قام اثنان من أعضاء "ليحي" في القاهرة، باغتيال اللورد (موين)، الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط، الذي عرف بتصريحاته "اللاسامية" ومعارضته لهجرة اليهود إلى (أرض-إسرائيل). وقد تم اعتقال المتهمين (الياهو تسوري) و (الياهو حخيم) وقدما للمحاكمة، حيث نفذ فيهما حكم الإعدام شنقا بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٤٥.

شجبت الإدارة الصهيونية، الحزب الإصلاحي ومنظمة "الإتسل" إعدام (تسوري) و (حخيم)، وأوقفت منظمة "ليحي" نشاطاتها مدة تسعة أشهر، قامت خلالها بتشكيل قوة محاربة وتحسين قدرتها العسكرية.

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، تمخضت مسيرة التقارب التي جمعت بين "ليحي"، "اتسل" و "الهاغاناه" على خلفية تنكر بريطانيا لإلتزاماتها، عن تشكيل حركة التمرد العبرية، التي لعبت "ليحي" دورا فيها. وقد كانت أكبر العمليات التي نفذتها "ليحي" مهاجمة محطة السكك الحديدية في حيفا، في شهر حزيران ١٩٤٦، حيث أسفرت عن مقتل أحد عشر مقاتلا وإصابة اثنين وعشرين آخرين بجروح.

وفي أعقاب "السبت الأسود" تم حل حركة التمرد العبرية، ونفذ رجال ليحي منذ أيلول ١٩٤٦ وحتى تشرين الثاني ١٩٤٧ مئات العمليات ضد النظام وقوات الأمن البريطانية.

وبعد أن أعلنت الأمم المتحدة، في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، قرار إقامة الدولة اليهودية، كان من الواضح لرجال "ليحي"، أنه لا خيار أمامهم، وأن المواجهة التالية ستكون مع العرب، على (أرض-إسرائيل)، فنفذوا سلسلة من العمليات، استهدفت مراكز التجمع العربية، لا سيما في منطقة القدس.

وبعد فترة قصيرة من قيام الدولة اليهودية، قررت "ليحي" تجنيد رجالها في صفوف الجيش الإسرائيلي، وفي نهاية شهر أيار ١٩٤٨ أدى مئات المقاتلين القسم كجنود في اللواء الثامن، بقيادة (اسحق ساديه) الذي كان قبل ذلك قائد "البلماح-كتائب الكوماندو".

<u>الفصل السابع</u>

العلم –الهجرة والاستيطان

علم أزرق-أبيض:

في رسالة بعث بها إلى البارون (هيرش) بتاريخ ١٨٩٥/٣/٦، كتب (بنيامين زئيف هرتسل) يقول:-

"العلم ليس سارية وقطعة قماش، لا يا سيدي، فالعلم أكبر وأرفع قيمة من ذلك. بالعلم نستطيع الوصول إلى أي مكان نريد، حتى إلى (أرض-الميعاد) من أجل العلم يحيى الناس ويموتون. إنه الشيء الوحيد الذي يضحون من أجله بأنفسهم، إذا كرسنا ذلك في نفوسهم".

لم يعترف هرتسل بضرورة وأهمية العلم فقط، بل فكر في صورته أيضا. وفي كتابه "دولة اليهود" يصف العلم العبري فيقول: "علم أبيض مع سبع نجوم ذهبية. اللون الأبيض يرمز إلى الحياة الجديدة النقية الصافية، والنجوم السبع ترمز إلى سبع ساعات من العمل، التي سيسير بها اليهود إلى الأرض الجديدة".

لم يحظ اقتراح هرتسل بالقبول وقد طرح اقتراحا آخر، بيد أنه لم يلق الترحيب أيضا. وفي اقتراحه الثاني، فكر هرتسل في صورة مختلفة للعلم واقترح أن تتألف من نجمة داود، تتوسط كل واحد من مثلثاتها الستة الصغيرة، نجمة صغيرة وأن تكون هناك نجمة سابعة تعلو المثلث العلوي.

من هنا يتضح إذن أن هرتسل ليس هو من حدد صورة العلم الوطني الإسرائيلي، والسؤال الذي يطرح نفسه: من أين جاءت صورة العلم الأزرق-الأبيض، الذي تتوسطه نجمة داود.

لون العلم:

في مذكراته التي تمحورت حول الاستعدادات التي سبقت عقد المؤتمر الصهيوني الأول، كتب (دافيد ولفسون)، مساعد هرتسل وأقرب المقربين إليه يقول:" هناك مشكلة تتسم بالبساطة والصعوبة في آن واحد. إنها مشكلة العلم ليس لدينا علم لنرفعه على مقر المؤتمر الصهيوني لمعت الفكرة في رأسي، وجال في خاطري ثوب الصلاة الأبيض الذي نرتديه كل يوم، يوم السبت وفي الأيام العادية. لونه أبيض ومذيل بالخطوط الزرقاء فلم لا يكون علمنا على هذه الصورة".

ويضيف (ولفسون)، الذي اصبح بعد ذلك رئيسا للهستدروت الصهيوني:" تحت أنظار إسرائيل والعالم أجمع، أمرت بصنع علم أزرق-أبيض ومزين بنجمة داود. وهكذا ولد علمنا الوطني".

غير أنه لا يمكن القول بأن (دافيد ولفسون)، كان أول من اقترح العلم الأبيض-الأزرق، فقد سبقه إلى ذلك المغني اليهودي-النمساوي الأصل-(لودفيج اوغست فرنكل).

اشتهر (لودفيج)-الذي شغل منصب سكرتير اللوبي اليهودي في فينا،بعد أن زار (أرض-إسرائيل) في تموز ١٨٥٦. وقد نشر عام ١٨٦٤، ديوانا لقصائده، كان من بينها قصيدة تتحدث عن ألوان (أرض –يهودا) يقول فيها:-

في لحظات السمو يمتلئ قلبه

بألوان أرضه٠٠٠٠٠٠٠

يصلي بثوب أبيض ناصع.....

على أطرافه خطان أزرقان

تماما مثل معطف حاخام كبير

زين بخطوط زرقاء

لونا البلاد المحبوبة.....

الأزرق والأبيض هما حدود يهودا

الأبيض سمة الكهانوتية

والأزرق نور السماء

لقد أطلق (ولفسون) مقولته "هكذا ولد علمنا الوطني" ولا شك في أنها تتعلق بأيام عقد المؤتمر الصهيوني عام ١٨٩٧، بيد أن هناك أدلة مختلفة تتعارض مع صحة هذه المقولة. ففي مذكراته لعام ١٨٨٤، كتب الحاخام (مردخاي بن هلال) يقول: لقد كشفنا أمام الجماهير اليهودية وللمرة الأولى، ألواننا الوطنية فهناك الكثير ممن لا يعلمون بأن الأزرق والأبيض هما لونا شعبنا".

لقد بات من الواضح أنه قبل عقد المؤتمر الصهيوني الأول، باثنتي عشرة سنة، كان هناك إجماع بين أعضاء حركة "محبة صهيون" في المنفى على شكل العلم العبري. كذلك الحال في مستوطنات (يهودا)، حيث بادر أحد المستوطنين ويدعى (يسرائيل بلكيند) -كان في طليعة اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل عام ١٨٨٢-إلى رفع علم ملون بالأزرق والأبيض على مستوطنة (ريشون لتسيون)، في صيف عام ١٨٨٥.

وبعد ست سنوات، وتحديدا في شتاء عام ١٨٩١، جرت مراسيم وضع حجر الأساس للموشاف العمالي في وادي حنين، وقد ظهر أحد المستوطنين ويدعى (ميخائيل هلبرين)، على رأس سرية خيّالة يرتدون بزات ملونة بالأزرق والأبيض ومسلحين

بحراب وبنادق. ولقد ألقى كلمة قال فيها:" لا المال ولا الذهب سينقذ بلادنا ويخلصها بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار يهودا ستقوم". ثم أمسك بغصن طويل ملفوف بقطعة قماش وقال:" علمنا العبري، سيكون العلم الأزرق والأبيض. الأزرق لون سماء بلادنا، والأبيض يرمز إلى نقاء وصفاء معتقداتنا هنا ستقوم دولة عبرية، وهذا سيكون علمها".

رفع العلم الأزرق والأبيض على مدى سنوات عديدة، بيد أنه لم يمنح مكانة رسمية إلا مع صدور قرار مجلس الدولة المؤقت بتاريخ ٢٨-١٠-١٩٤٨. كما أن الحركة الصهيونية، لم تفرد نقاشا خاصا لهذه المسألة، إلا في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر الذي عقد عام ١٩٣٣.

يمكن القول بأن منشأ الهجرات، هو العامل الذي يحدد طبيعة التقسيم المألوف لتاريخ الاستيطان اليهودي الجديد في (أرض-إسرائيل)، منذ بداية الهجرة الأولى عام ١٨٨٢، وحتى نهاية فترة الانتداب البريطاني. وتأتي الهجرة اليهودية في حد ذاتها، كتعبير أساسي عن تحقيق الحلم الصهيوني، وتحويل (أرض-إسرائيل) إلى أرض استيطانية يهودية –وإلى "كيان قومي" يهودي منذ عام ١٩١٧، ولا شك في أن هذا التقسيم يستند، كذلك، إلى الاتفاق على أن لكل واحدة من الهجرات اليهودية طابعها الخاص، الذي تركت من خلاله بصماتها على المشروع الصهيوني. فعلى سبيل المثال، تعتبر الهجرتان الثانية والثالثة من الهجرات الطلائعية فيما تعتبر الهجرة الرابعة هجرة استثمارية.

غير أن هذا التقسيم يفتقر إلى الدقة من ناحيتين:-

أولا:-

إن جميع موجات الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، شملت في واقع الأمر، خليطا مختلفا من المهاجرين.

ثانيا:-

إن تقسيم تاريخ الاستيطان اليهودي حسب حجم الهجرات، لا يأخذ بعين الاعتبار التطورات المهمة الأخرى، حتى في تاريخ الاستيطان نفسه.

ومن هنا، يمكن تقسيم تاريخ الاستيطان الصهيوني في (أرض-إسرائيل) إلى ثلاث مراحل رئيسة:-

١-الاستيطان تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى.

٢-الاستيطان منذ الاحتلال البريطاني وحتى عام .١٩٣٦

٣-الاستيطان في الفترة ما بين عامي ١٩٣٦-١٩٤٧.

ويبدو من الواضح، أن هذه المراحل تختلف من حيث الظروف السياسية التي سادت (أرض-إسرائيل)، وأتاحت المجال للاستيطان اليهودي، ومن حيث طابع الاستيطان اليهودي نتيجة لذلك، فالفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٦-١٩٤٧، اتسمت بطابع الاستيطان الزراعي، الذي تم وفقا لخطة واعتبارات سياسية واستراتيجية، فرضتها الظروف التي سادت إبان تلك الفترة، والتطلعات المستقبلية.

كما يمكن تقسيم تاريخ الاستيطان في فترة الانتداب البريطاني(كما يقسمها ش.ريخمان في كتابه" من ثكنة إلى أرض مأهولة" ١٩٧٩) إلى أربع مراحل:-

- عهد الأحلام الوردية، ١٩١٨-١٩٢١-الفترة التي أعدت فيها خطط استيطانية واسعة النطاق، انطلاقا من الافتراض بأن حكومة الانتداب، ستسهم وبشكل فاعل، في دفع الاستيطان اليهودي الجماعي.

- مرحلة البناء ١٩٢١-١٩٣٦-المرحلة التي تم فيها وضع أسس الاستيطان اليهودي.
- المرحلة العاصفة ١٩٣٦-١٩٤٥-المرحلة التي تم فيها بناء المستوطنات على شكل سور مغلق وفي داخله برج للمراقبة، والتي اختلفت فيها أساليب شراء الأراضي، واتسمت بمشاكل جديدة حول السيطرة على الأرض، وتحديد وجود استيطاني يهودي.
- مرحلة ما قبل التحول، ١٩٤٥-١٩٤٨ وهي المرحلة التي سبقت حرب الاستقلال، والتي شهدت الصراع السياسي والعسكري مع بريطانيا.

ونستطيع القول، إن هذا التقسيم يتطرق إلى حجم الأراضي الاستيطانية، الظروف السياسية، المتغيرة، حجم وأساليب شراء الأراضي التي وضعت تحت الملكية اليهودية ومسيرة نشوء المنظومة الاستيطانية اليهودية في شتى أنحاء (أرض-إسرائيل) الغربية، بيد أنه لا يتطرق إلى المشاكل المختلفة، التي اعترضت طريق مسيرة الاستيطان. هذا، في حين نرى أن التقسيم وفق منشأ الهجرات، يركّز على حقيقة أن لكل هجرة، طابعها الخاص الذي يميزها عن سابقتها، وأن كل هجرة جسّدت صورة استيطانية خاصة. ومن هنا، يتضح لنا، أن هناك علاقة وثيقة بين طابع الهجرة، تركيبتها الاجتماعية والأفكار التي طرحتها، وبين أشكالها الاستيطانية في (أرض –إسرائيل).

الاستيطان القديم:

أطلق هذا المصطلح على المستوطنين الذين هاجروا إلى (أرض-إسرائيل) منذ مطلع القرن الثامن عشر، مع بدء الهجرات المنظمة من أوروبا. وأول من استخدم هذا المصطلح، يهود الهجرة الأولى، الذين أرادوا تمييز أنفسهم عن المستوطنين القدماء.

وكلمة "قديم" تحمل مغزى مهما يقصد به الإشارة إلى التمسك بالقيم القديمة إزاء الأفكار الجديدة.

اتسم "الاستيطان القديم "حتى الثمانينات، بالأساس الأيدولوجي الديني الذي وضعه مؤسسو الاستيطان القديم-المتدينون الورعون(الحراديم) والأتقياء المتفرغون للتوراة-والذي استخدم كأساس أخلاقي في الفترة التي أعقبت ذلك، تركوه في المدن المقدسة-القدس، الخليل، صفد وطبريا، وزي المتدينين الورعين الذي اشتهر به المهاجرون في تلك الفترة. وإضافة إلى كل ذلك، اتسم بظهور تيار جديد عارض، من ناحية فكرية، أو انطلاقا من مصالح اقتصادية، أي مبادرة نحو التجديد وتغيير الوضع الراهن آنذاك، غير أن الظروف والمستجدات الخارجية، عملت ضد هذا التيار.

ففي الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر، ظهرت جماعات تنادي بالتثقيف المعتدل لليهود، الخروج من الأطر الاستيطانية القديمة وبناء الأحياء، فلاحة
الأرض وتوطين اليهود فيها. ولقد خرجت بعض هذه الأفكار إلى حيز التنفيذ. ومهدت بذلك الطريق أمام الاستيطان الجديد. ومع ذلك، وجد في الاستيطان الجديد من أبدوا تعاطفا محدودا مع أسلوب ونهج الاستيطان القديم.

ولا بد لنا هنا، من أن نشير إلى طبيعة المواجهة بين أبناء الهجرة الأولى وأبناء الهجرة الثانية الذين اعتادوا تسمية أبناء الهجرة الأولى بأبناء الاستيطان القديم، ولقد لعبت مسيرة (العلمنة) في الاستيطان الجديد وتحديه الواضح للاستيطان القديم، دورا في حدوث تلك المواجهة، التي انتهت في آخر المطاف لصالح الاستيطان الجديد، في ضوء قوته المتزايدة وتداعي الأطر التنظيمية والاجتماعية الداخلية في

الاستيطان القديم. وبذلك، يكون الاستيطان القديم قد خسر الأفضلية والأسبقية بين يهود (أرض-إسرائيل).

الاستيطان بين المدينة والقرية:

كان الاستيطان اليهودي نتاج فكرة قومية-اجتماعية، إذ لم يكن استيطان أفراد أو جماعات أو حتى جماهير تبحث لنفسها عن بقعة غير مأهولة لتبني فيها مستقبلا جديدا، ولتخلق عليها في نهاية الأمر مجتمعا جديدا، بل كان استيطانا يستقي جذوره من الفكرة القومية التي تتحدث عن عودة شعب إسرائيل إلى "أرضه"، ليقيم فيها حياة قومية وثقافية جديدة. أقصد، أن الاستيطان مشروع قومي-تاريخي.

كانت الفكرة القومية مقترنة بأفكار اجتماعية لزيادة إنتاجية الشعب اليهودي، ولقد فسرت هذه الأفكار، بشكل عام، " بالعودة إلى الأرض"، أقصد خلق طبقة من المزارعين العبريين في (أرض-إسرائيل). ولقد أخذت الزراعة والعمل في الأرض جانبا مهما في الفكرة الصهيونية، على صعيد مختلف تياراتها. وعليه، رسم أوائل المبشرين بالصهيونية صورة أرض زراعية خضراء (لإسرائيل)، لا صورة مبان حديثة أو قرى أو مدن جديدة.

غير أن هذه الفكرة لم تصمد أمام الواقع، فلقد تم استيعاب الكم الأكبر من المهاجرين إلى (أرض-إسرائيل) في المدن القديمة،لا سيما القدس ويافا، ثم في المدن الصغيرة مثل حيفا، وأول المدن العبرية-تل أبيب. ولقد برزت هذه الظاهرة، بشكل واضح، خلال مرحلة الهجرة الأولى عندما أقام قسم كبير من المهاجرين في المدينة، حيث انخرط قسم منهم في إطار "الاستيطان القديم"، في حين بدأ القسم الآخر بوضع أسس الاستيطان البلدي الجديد، ولقد ظلت هذه الحقيقة قائمة حتى في الهجرات اللاحقة، وكنتيجة لذلك، طرأ ارتفاع كبير على عدد سكان المناطق البلدية، وتحددت

نسبة تعداد السكان بين سكان المناطق البلدية وسكان المناطق القروية، وكانت على النحو التالي:

العام	سكان المناطق البلدية	سكان المناطق القروية
١٨٨٢	٢٣.٥٠٠	٥٠٠
١٩٠٠	٤٤.٧٩٠	٥٢٠٠
١٩٩٢	٦٨.٨٧٠	١٤.٩٢٠
١٩٣١	١٣٦.٠٠٠	٣٨.٤٥٠
١٩٤٥	٤٣٩.٢٠٠	١٥٢.٨٠٠

ويمكن القول، أن المدن بدأت بالازدهار في مرحلتي الهجرتين الرابعة والخامسة، ففي عام ١٩٢٣، بلغ عدد سكان تل أبيب حوالي ٢٠.٠٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٢٥ حوالي ٩٠.٠٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٤٥ حوالي ٢٠٠.٠٠٠نسمة، أما عدد السكان اليهود في حيفا، فقد بلغ عام ١٩٢٢ حوالي ٦٢٣٠ نسمة، وفي عام ١٩٤٥ حوالي ٦٦.٠٠٠ نسمة في حين زاد عدد السكان اليهود في القدس من ٣٣.٩٢٠ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٠٠.٠٠٠نسمة عام ١٩٤٥.

لعبت مسيرة النزوح من الريف إلى المدن، وازدهار الاقتصاد في مختلف المناطق البلدية، دورا رئيسيا في تاريخ الاستيطان العبري، فقد استوعبت المدينة معظم المهاجرين، ووفّرت فرص العمل في مجالات البناء، الصناعة، التجارة ومختلف المهن والخدمات،وكانت على الدوام السوق الداخلي للناتج الزراعي، بيد أن هناك حقيقة أخرى بالغة الأهمية، وهي أن الفضل في ازدهار وتطور المدينة، يعود في حقيقة الأمر إلى القطاع الخاص، واستثمار رؤوس الأموال الخاصة، أي رؤوس الأموال التي

استثمرت دون مساعدة مالية من جانب مصادر رؤوس الأموال القومية، دون تخطيط شامل أو توجيه مقصود، وللحقيقة، فإن أولئك الذين تابعوا، وبقلق مسيرة اتساع المدينة وزيادة عدد سكان المناطق البلدية، وظنوا أنها مسيرة خطرة من وجهة نظر قومية اقتصادية واجتماعية، ليسوا قلة، ولقد بدا الاستيطان البلدي مناقضا للفكرة الصهيونية وللقيم الصهيونية، التي تقول بأنه لا يمكن أن تكون المدينة مكانا لولادة مجتمع جديد، وقد اعتبرت المدينة وليدة الرغبة اليهودية في نقل أنماط الفهم الاقتصادي-الاجتماعي البلدي البرجوازي من الشتات إلى إسرائيل، من خلال التركيز على الأعمال الصغيرة والخدمات، كما اعتبرت بمثابة تراجع خطير عن تحقيق الحلم الصهيوني، إذ لا يمكن تحويل (أرض-إسرائيل) إلى أرض يهودية عمليا، دون الاستيطان والسيطرة والتواجد اليهودي في شتى أنحائها، ولقد تأكدت هذه النظرية، من خلال أزمة الهجرة الرابعة في الفترة ما بين عامي ١٩٢٦-١٩٢٨، وتركز الهجرة في مدينة تل أبيب، دون أساس اقتصادي حقيقي، ودون وجود منظومة قروية زراعية مكثفة.

من جانب آخر، كان هناك من ينادي بخلق توازن بين القرية والمدينة، بحيث تستوعب المدينة القسم الأكبر من الهجرة، تكون مقرا للصناعات ومختلف أنواع المهن، وتشكل سوقا لمنتجات القرية.

الاستيطان البلدي:

لم يحظ الاستيطان البلدي، بشكل عام، بمكانة مرموقة في تاريخ الاستيطان، إذ لم يحمل بعدا بطوليا وطلائعيا ولا محاولة بشرية فريدة لخلق أنماط مجتمع زراعي جديد، لكنه لعب دورا بارزا وحيويا للغاية في تاريخ الاستيطان اليهودي ومسيرة إقامة الكيان القومي وليس من الناحية الاقتصادية فحسب، فلقد أصبحت المدينة مركز

الاستيطان اليهودي، وتركزت فيها مؤسساته السياسية وإبداعاته الثقافية والفنية، كما كانت مركزا لعدد من المبادرات والمشاريع الطلائعية الخاصة، لا سيما وأن الصناعات اليهودية، قامت أول ما قامت، على أكتاف أفراد عاديين، صمدوا أمام الكثير من المصاعب والعقبات.

الاستيطان الزراعي:

كان الاستيطان الزراعي نتاج جملة من العوامل، وتنقسم هذه العوامل إلى قسمين: عوامل موضوعية حدّدت شكل وطابع الاستيطان الزراعي و (موقعه الإقليمي)، مثل شراء الأراضي المعروضة للبيع-إذ أن جميع أراضي الاستيطان اشتريت وبمبالغ نقدية من أصحابها العرب-موقع الأرض، الموارد المالية التي كانت بحوزة المهاجرين والمؤسسات الاستيطانية والظروف السياسية، وعوامل غير موضوعية تتعلق بالأيديولوجيا التي وجهت المستوطنين لتطوير وتفضيل شكل استيطان زراعي على آخر.

كان اختيار شكل استيطاني زراعي محدد، يتم في بادئ الأمر، انطلاقا من دوافع اجتماعية، أقصد الرغبة في خلق صورة اجتماعية محددة تعتمد على الزراعة، بيد أن الأمور، اختلفت فيما بعد، وبدأ اختيار شكل الاستيطان أو طريقة تطوير شكل استيطاني محدد، يتم استنادا إلى عوامل اقتصادية.

ومنذ عام ١٨٨٢ (وربما قبل ذلك، منذ المحاولة الأولى لتأسيس مستوطنة بيتح تكفا عام ١٨٧٨)، ظهرت في (أرض-إسرائيل) أربعة أشكال رئيسية للاستيطان الزراعي هي: (الموشاف)، (الكيبوتس)، القرية العمالية (موشاف هعوفديم)، القرية التعاونية (موشاف هشتيوف)، وكانت هناك أشكال أخرى مثل الإقطاعيات، القرية الزراعية، والقرية الأهلية.

الهجرة الأولى والموشافات:

كان (الموشاف) أول صور الاستيطان الزراعي خلال الهجرة الأولى إلى (أرض-إسرائيل)، فقد تمت خلال هذه الفترة إقامة تسعة عشر (موشافا)، وحتى انتهاء فترة الانتداب، بلغ عددها حوالي خمسين (موشافا).

كان الموشاف نتاج رغبة أعضاء حركة "محبة صهيون" وطلائعيي الهجرة الأولى في التوجه نحو الزراعة، أعني رغبة هؤلاء في التحول لحراثة الأرض وزراعتها، بحيث يعمل كل واحد في أرضه، أما (الموشافات) الجماعية، فقد ظهرت بعد مسيرة تنظيم سبقت الهجرة، كانت تهدف إلى تمهيد الأوضاع لشراء الأرض، وفتح المجال أمام الهجرة والاستيطان في وقت واحد.

وفي ظل الظروف الأمنية، ووجود النظام العثماني في (أرض-إسرائيل)، وحسب قوانين أنظمة الأراضي آنذاك، كان بالإمكان شراء أراض بمساحات واسعة، لا سيما في المناطق التي لم يكن بمقدور شخص منفردا شراؤها، على الصعيد المالي (باستثناء عائلة ليرر في نستسيونا). ورغم أن (الموشاف)، كان قائما على عمليات الشراء الخاصة، أقصد، على تقسيم الأرض التي تم شراؤها بين المستوطنين، وعلى العمل الذاتي لكل عائلة، فقد اقتضت الضرورة خلق مؤسسات جماعية مشتركة للمساعدة، ولا سيما في مجال التسويق.

وقد بني (الموشاف) على غرار البلدية في شرق أوروبا، بصورة شارعين متقاطعين، وأحيانا شارع رئيسي واحد فقط، تقام المنازل على جانبيه.

لم يكن للرعيل الأول من المهاجرين أي تجربة زراعية تذكر، وكانت بداياتهم لا تتعدى محاولات تنطلق من الرغبة في التعلم، خلق أنماط زراعية مماثلة لأنماط الزراعة في أراضي مواطنهم الأصلية، وتطوير أنماط زراعية خفيفة. وإضافة إلى

انعدام التجربة، كانت هناك صعوبات نجمت عن الوضع الذي كانت عليه الأرض تحت الحكم التركي-مثل غياب منظومة الخدمات في معظم المناحي، بالإضافة إلى عدم توفر الآلات الزراعية اللازمة، وكانت نتيجة ذلك كله، أزمة اقتصادية قاسية، استشرت في (الموشافات) الأولى، التي تم تأسيسها في الفترة ما بين عامي ١٨٨٢-١٨٨٤، مثل (ريشون لتسيون)، (رأس بينا)، (زخرون يعقوب)، (يسود همعليه)، (بيتح تكفا الجديدة)، (عكرون)، (الجديرة) و (بئير طوفيا).

لم يكن بمقدور أعضاء حركة "محبة صهيون"، سوى تأسيس (موشاف) واحد صغير أطلقوا عليه اسم "الجديرة" في الثمانينيات، وموشاف آخر في التسعينيات، أطلقوا عليه اسم (رحوفوت). وكنتيجة للأزمة الاقتصادية، باتت تلك (الموشافات) بحاجة ماسة إلى مساعدة البارون (ادوموند روتشيلد)، السخي المعروف الذي سارع إلى تقديم العون والمساعدة، والمساهمة بمبالغ طائلة، استثمرت في إقامة المزيد من الموشافات الجديدة، ودعم (الموشافات) القائمة وشراء الأراضي، ولقد أنقذ (روتشيلد) الاستيطان الزراعي خلال الهجرة الأولى من خطر الموت.

لكن، في عهد (روتشيلد)، ظهر ما عرف بـ "نظام البارون"، والذي كان عبارة عن أسلوب اقتصادي واجتماعي جديد، فقد رأى اتباع البارون أن المستوطنين الزراعيين عديمي التجربة والخبرة، بحاجة إلى توجيه وإرشاد، بل ورعاية تامة، ليتسنى تحويلهم إلى فلاحين متميزين، ولقد داعبت صورة الفلاح الفرنسي البسيط والمتمسك بدينه، مخيلة البارون وأتباعه.

أحدث "أسلوب الرعاية" الجديد، تغيرات في الطابع الزراعي (للموشافات)، فقد تركزت الزراعة في (الموشافات)، بادئ الأمر، على زراعة الكروم، بيد أنها تطورت عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، لتشمل زراعة البساتين والبيارات

بمختلف الأشجار لا سيما الحمضيات، التي تطورت زراعتها منذ عام ١٩٢٥ بشكل كبير وأصبحت الفرع الأول في الاقتصاد العبري، وفي غضون وقت قصير، بدأ الموشاف بتصدير منتوجاته الزراعية إلى القرى العربية القريبة.

ومع بداية الهجرة الثانية، أصبح (الموشاف) مركزا لاستيعاب وتشغيل المهاجرين الجدد بالمياومة، ونتيجة لذلك، كان بؤرة مواجهات اجتماعية وأيديولوجية، دارت رحاها انطلاقا من الرغبة في "السيطرة على العمل" وبلورة صور للعمل المنظم، وفي واقع الأمر، بدأ الصراع على شكل العمل في (الموشافات)، في سنوات الهجرة الأولى وفي الفترة التي أعقبتها.

ومن الجدير بالذكر، إن أول بيارة في (موشافات) الهجرة الأولى، زرعت عام ١٨٨٩ في (موشاف ريشون لتسيون)، وقد بدأ التهافت على زراعة البساتين والبيارات في التسعينيات من القرن التاسع عشر، حيث زادت مساحة زراعة البيارات من ١٩٠٠ دونم عام ١٩٠٠ إلى ١٥٠ ألف دونم عام ١٩٣٥، كما شهدت حركة تصدير البرتقال، بوجه خاص، والذي كان ينقل على ظهور الجمال إلى ميناء يافا، ارتفاعا ملموسا، حيث زادت الكميات المصدرة من ٢٥٠ ألف صندوق عام ١٩٠٠ إلى حوالي ستة ملايين صندوق عام ١٩٣٥.

الفصل الثامن

-الهجرات والمستوطنات-

الهجرة الثانية ١٩٠٣-١٩١٤

تعتبر الهجرة الطلائعية الثانية من أهم الهجرات في تاريخ الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، وقد كان قوامها آلاف الشبان المثاليين، الذين استمدوا مواقفهم من أفكار قومية واجتماعية، وكسلفهم، أبناء الهجرة الأولى، رأوا في الاستيطان الزراعي، السبيل إلى بعث الأمة من جديد، وخلق مجتمع جديد يتسم بطابع أفضل.

لم تكن بداية أبناء الهجرة الثانية سهلة في (أرض-إسرائيل)، لقد خاضوا التجربة التي خاضها المزارعون المأجورون في (الموشافات)، والذين واجهوا صعوبات كثيرة على صعيد استيعابهم في الأرض الجديدة، بسبب شروط العمل وتدني الأجور، وما لا يقل عن ذلك أيضا-محدودية قدرة الاستيعاب في (الموشافات)، وواقع الحياة فيها، والذي كان يتناقض تماما مع الأفكار القومية والاجتماعية التي يحملونها.

هذا الواقع المعقد، شجع مبادرات كثيرة، وعلى أكثر من صعيد، فمن جانب، بدأ الصراع من أجل احتلال العمل في (الموشافات) اليهودية وانتزاعه من أيدي العمال العرب، وقد كان هذا الصراع مرتبطا أيضا، بالرغبة في تحسين شروط العمل ومستوى الأجور، ومن جانب آخر، كانت هناك محاولات "لاحتلال الأرض"-أقصد مبادرة

لخلق استيطان عمال مستقل من خلال إيجاد صور جديدة وتعاونية للاستيطان الزراعي.

ومن الناحية الأيديولوجية، كان هناك خياران حادان وواضحان: فمن جانب، كان هناك من عارض الاستيطان المستقل، بسبب المخاوف من أن يكون الاستيطان المستقل، نزوعا نحو البرجوازية، وتحويل الطلائعي النموذجي إلى فلاح صاحب أرض ومحافظ. ومن جانب آخر، كان هناك من وجّه انتقادات شديدة لصورة (الموشاف) من النواحي القومية، الاجتماعية والاقتصادية، ورأوا فيه اقتصادا يعتمد على عمل الأيدي العربية غير المكلفة، والسوق العربية لتسويق منتجاته، وهو بذلك لا يؤدي الهدف القومي-الاستيطاني، الذي وجد من أجله.

في واقع الأمر، لم يكن الاختيار سهلا، فمن ناحية، وجدت (الموشافات)، وكما هو مفترض، صعوبة في استيعاب جميع المهاجرين الباحثين عن عمل، ومن ناحية ثانية، لم يكن لدى الطلائعيين، الأموال اللازمة لشراء الأرض وإقامة استيطان زراعي.

وعليه، تم استيعاب بعضهم، في الأطر الزراعية الصهيونية غير الخاصة، أقصد الضيع أو الإقطاعيات، والتي أوجدتها شركات يهودية، في أواخر القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٩١١، تمت في مرج بن عامر، إقامة بؤرة استيطانية-وفقا لأسلوب عالم الاجتماع الصهيوني، الدكتور (فرنتس أوفنهايمر)، اتسمت بطابع زراعي تعاوني، ودمجت بين ثلاثة أسس: الاستيطان على أرض ذات ملكية قومية يعني أرضا تابعة لملكية الهستدروت الصهيوني)، مساعدة تبادلية وزراعة خفيفة-عكس الزراعة المكثفة.

وقد كانت هذه أول محاولة من نوعها لإيجاد استيطان عمالي تعاوني مشترك، بيد أن نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، عرقل تطوره.

ويمكن القول أن (الكيبوتس) -قرية تعاونية صغيرة-كانت أبرز وأكبر إفرازات الهجرة الثانية، وقد كانت نتاجا بارزا لفكرة الاستيطان الجماعي التي تبلورت وسط طلائعي الهجرة الثانية، والتي وصف أحد عرابيها، (يوسف بوسل) هدفها فقال: "إن الأسلوب يمنح، وبصورة حقيقية، حرية العمل للفرد، بحيث لا يضطر فيه إلى استخدام عمل الآخرين". وقد كان الكيبوتس يستند إلى الاشتراك التام في العمل والإنتاج وملكية الأرض، وفي حقيقة الأمر، كان لدى "المكتب الإسرائيلي القطري"، الذي افتتحه منذ وقت قريب، في يافا، رئيس إدارة الهستدروت الصهيوني الدكتور (آرثر روبين)-مساحات واسعة من الأرض، كان ينبغي فلاحتها لئلا تتم مصادرة حق ملكيتها،بموجب القانون العثماني، وقد أسهم موقف الدكتور (روبين) المتعاطف والمؤيد لتطلعات العمال، في دعم الطموحات الطلائعية الجديدة.

وفي عام ١٩١٠، تم إنشاء الكيبوتس الأول، دجانيا "أم الكيبوتسات" على أراضي منطقة (أم جوني) في غور الأردن.

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان في (أرض-إسرائيل) (٥١) مستوطنة زراعية يهودية: ٣٠ (موشافا)، ١٠ (كيبوتسات)، (موشافان) عماليان، ٨ مزارع وإقطاعيات، ومدرسة زراعية واحدة.

<u>الهجرة الثالثة ١٩١٩-١٩٢٣:</u>

كتيبة العمل، الكيبوتس والموشاف:

وصلت الهجرة الثالثة إلى (أرض-إسرائيل) بعد سلسلة من الأحداث المؤسفة داخل وخارج (أرض-إسرائيل)، وأهم تلك الأحداث، فرض الانتداب البريطاني على

(أرض-إسرائيل) وإصدار وعد بلفور، رحلة الشتات التي أنهكت الشعب اليهودي في شرق أوروبا، إبان الحرب العالمية الأولى، الثورة الروسية والحرب الأهلية التي نشبت هناك.

تشكلت الهجرة الثالثة من آلاف الشبان النموذجيين، وكان قسم منهم قد انخرط في إطار "نقابة الطلائعيين" التي قامت في أعقاب صحوة الصهيونية الراديكالية، في أوساط الطبقة المتوسطة، التي عانت من الأحداث التي واجهها اليهود في روسيا وبولندا، والتي قتل خلالها حوالي ٧٥ ألف نسمة، وقد واجه هؤلاء المهاجرون واقعا صعبا، على خلفية الأضرار التي لحقت (بأرض-إسرائيل) من الناحية الاقتصادية إبان الحرب.

بدأ المهاجرون بتشغيل ما عرف بكتائب العمل، وكانت كتيبة العمل باسم (يوسف تروفعلدور)، أحد أبرز وأهم نتاجات الهجرة الثالثة، لأنها طرحت فكرة جريئة لإنشاء قرية تعاونية عامة تشمل جميع عمال (أرض-إسرائيل).

ومن أشكال الاستيطان الأخرى التي عرفت إبان الهجرة الثالثة (الكيبوتس) و (موشاف هعوفديم).

كان (الكيبوتس) فكرة (شلومو لبكوفيتس)، الذي اختار حلا وسطا بين فكرة كتيبة القرية التعاونية العامة، التي يختلف مكانها باختلاف مكان عملها، وبين فكرة (الكيبوتس الصغير) الذي يستوعب عددا قليلا من المهاجرين ويحافظ على إطار مغلق، وقد تكهن (لبكوفيتس) باقتصاد كيبوتسي كبير-يجمع بين الصناعة والزراعة والحرف المهنية، يستوعب عددا كبيرا من العاملين ويصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي.

وقد تمت إقامة أول (كيبوتس) من هذا النوع، كيبوتس عين-حرود، في أعقاب قيام (الهستدروت) بشراء قطع من الأراضي في مرج بن عامر ليتم بناء مصنع

استيطاني عليها، عام ١٩٢١، وفي الفترة ما بين عامي ١٩٢١-١٩٢٣ تم إنشاء ثمانية (كيبوتسات) وخمسة (موشافات)، وفي السنوات التالية، أصبح الكيبوتس من أهم وأبرز أشكال الاستيطان الزراعي، حيث بلغ عدد (الكيبوتسات) حتى نهاية فترة الانتداب البريطاني ١٤٨ (كيبوتسا)، ضمن ٤٧,٤٠٨نسمة، أي ما نسبته ٥.٧% من إجمالي عدد السكان اليهود.

أما فكرة (موشاف هعوفديم)، الموشاف العمالي، فقد طرحت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ففي عام ١٩٠٨ حاولت مجموعة من العمال من (بيتح تكفا) ام المستوطنات، إقامة (موشاف) عمالي في منطقة عين جانيم، وقد اتجهت الأنظار بداية نحو تحويل الموشاف العمالي إلى اقتصاد مساعد للعمال المأجورين، الذين يعملون في المستوطنة القريبة، بيد أن عرّابي فكرة (الموشاف)، وعلى رأسهم (اليعازر بافيه) و (اسحق فيلكنسكي)، ظنوا أن الموشاف ينبغي أن يكون استيطانيا زراعيا مستقلا.

ومن الجدير بالذكر، أن أوجه الشبه بين (الموشاف) و (الكيبوتس)، تتلخص في أن كليهما أنشئ على أرض تابعة للوكالة اليهودية، وبمساعدة المؤسسات التي دعمت الاستيطان، وقام على أساس العمل المستقل والتعاون المتبادل، بيد أن السمة التي كانت تميز (الموشاف) عن (الكيبوتس)، أن وحدات الاقتصاد فيه كانت عائلية.

وخلافا للمستوطنة، كان يدار تحت إشراف جمعية تعاونية، تشتري البذور والأشتال وتقوم بأعمال التسويق وغيرها، وقد أنشئ (الموشاف) الأول عام ١٩٢١، وسمي (موشاف نهلال).

بلغ عدد (الموشافات) التي أنشئت في (أرض-إسرائيل)، خلال فترة الانتداب ٩٤ (موشافا)، وإلى جانب (الموشافات العمالية) أنشئ عدد من (الموشافات التعاونية)، التي زاوجت بين صورة (الكيبوتس) وصورة (الموشاف)، والتي كان الناتج الاقتصادي

والخدمات الاقتصادية فيها، بيد الرابطة المسؤولة عن إدارتها، وقد كانت الإيرادات توزع بالتساوي بين العائلات الزراعية، أما التدبير المنزلي، فقد كان مستقلا بذاته.

الهجرة الرابعة ١٩٢٤-١٩٢٨:

سميت الهجرة الرابعة "هجرة غربسكي"، باسم وزير المالية البولندي آنذاك (فلديسلب غربسكي)، وفي ذلك إشارة واضحة، إلى أن العدد الأكبر من أبنائها جاؤوا من بولندا، سواء أكان ذلك بسبب السياسات الاقتصادية البولندية الجديدة، التي أدت إلى تدهور أوضاع الطبقة المتوسطة وأصحاب رؤوس الأموال الذين أرادوا مغادرة مساقط رؤوسهم باتجاه الأرض الجديدة، أو في ضوء الظروف التي حالت دون هجرة يهود روسيا في أعقاب الثورة البلشفية.

ونتيجة للصحوة اليهودية-الصهيونية في بولندا، رأى أبناء الطبقة المتوسطة في (أرض-إسرائيل) حلا عمليا لمشاكلهم، ومكانا يمكن أن يستوعبهم.وقد وصلت هذه الصحوة إلى الأوساط الدينية، ولعبت جماعات المتدينين الورعين (حسيديم) والمثقفين المتدينين دورا في إعمار (أرض-إسرائيل) وبناء (كفار حسيديم) بمساعدة الإدارة الصهيونية.

بلغ عدد المهاجرين في إطار الهجرة الرابعة حوالي ٧٠.٠٠٠ مهاجر، نصفهم من بولندا، ١٤.٠٠٠ من روسيا، ٤٢٠٠ من رومانيا، ٣٥٠٠ من لتوانيا، ٢٠٠٠ من اليمن و ٢٠٠٠ من العراق.

ويمكن القول، إن التطور السريع للمدينة العبرية، وازدهار مختلف أنواع المهن والصناعات والتجارات فيها، كانت أبرز إنجاز تميزت به الهجرة الرابعة،وقد أدّت هجرة أصحاب رؤوس الأموال، الذين بلغ عددهم خمسة آلاف تقريبا، في غضون فترة قصيرة، وهجرة عدد مماثل من الطلائعيين، واستقطاب رؤوس الأموال الخاصة،

أدى ذلك كله إلى تطور اقتصاد المدينة وتشجيع عدد كبير من العمال بالتوجه إليها، للعمل في القطاع الخاص أو في البساتين والبيارات، التي ازدهرت زراعتها في تلك الفترة، في (الموشافات) القديمة والجديدة، ولقد عمل أبناء الهجرة الرابعة على توسيع نطاق المدينة وإنشاء أحياء بلدية جديدة، كما حاولوا إقامة مدن جديدة، هذا، إضافة إلى مواصلة الاستيطان الزراعي، فقد أضافوا إلى مرج ابن عامر، ٨ مستوطنات زراعية، ٥ (كيبوتسات) و ٣ (موشافات). ولقد أدّت وتيرة الزيادة البلدية، التي لم يسبق لها مثيل حتى تلك الفترة، إلى حدوث أزمة، تركت آثارها على الاقتصاد البلدي.

وقد تبين فيما بعد، إن اتساع نطاق المدينة، خلق بنى تحتية اقتصادية ومصادر تشغيل جديدة، ساعدت على اجتياز الأزمة، وتهيئة الظروف استعدادا للسنوات التالية.

<u>الهجرة الخامسة ١٩٣٣-١٩٣٩:</u>

تعتبر الهجرة الخامسة أكبر الهجرات الاستيطانية حتى قيام الدولة اليهودية، وقد بلغ عدد المهاجرين في إطارها ٢٣٥,٠٠٠ مهاجر.

كانت الهجرة الخامسة نتاجا لعوامل وظروف مختلفة، سواء أكانت على الساحة الدولية ممثلة بالأزمة الاقتصادية العالمية التي بدأت عام ١٩٢٩، ووصول النازيين إلى السلطة، في ألمانيا عام ١٩٣٣، أو على الساحة اليهودية، وتفاقم حدة التوجهات اللاصهيونية داخل الحكومات البريطانية، وتصعيد العنف العربي ضد اليهود.

ضمت الهجرة الخامسة، بداية، أبناء حركات الشبيبة الطلائعية، بيد أنها شملت منذ عام ١٩٣٣، أبناء الطبقة المتوسطة وأصحاب الأملاك الذين جاء معظمهم من ألمانيا ودول وسط أوروبا، والذين نجحوا في نقل قسم كبير من أملاكهم إلى (أرض-

إسرائيل)، ولعبوا دورا في إقامة مستوطنات زراعية (كفار شمرياهو) وبلدية (نهاريا). ورغم أن الكثير من المهاجرين الأكاديميين وأصحاب الحرف الحرة، لم يهاجروا بدوافع صهيونية، غير أنهم تركوا بصمات واضحة في مجالي الاقتصاد، الثقافة وقدموا الكثير للمجتمع.

وفي الهجرة الخامسة، تطور مشروع "هجرة الشبيبة"، الذي كان يهدف إلى إنقاذ أطفال اليهود من الأوضاع القاسية التي عاشوها في الشتات،وقد موّلت منظمة "هداسا" التي ترأستها (هنريتا سالد)، هذا المشروع، وفي الفترة ما بين عامي ١٩٣٣-١٩٣٩، وصل إلى (أرض-إسرائيل) خمسمائة شاب من أوروبا.

وإضافة إلى ذلك، بدأ في إطار الهجرة الخامسة، مشروع الهجرة السرية، الذي نظم خلافا لما تنص عليه قوانين النظام البريطاني، وكان ردا على السياسات البريطانية، الثورة العربية و (الكارثة) النازية.

شهدت (أرض-إسرائيل) في فترة الهجرة الخامسة ازدهارا اقتصاديا ملموسا، نتيجة لحجم الهجرة وتعدد مصادر رؤوس الأموال الخاصة والوطنية، كما شهدت بداية بناء المستوطنات بأسلوب السور والبرج، التي جاءت ردا على خطة التقسيم الأول (للجنة بيل) في تموز ١٩٣٧.

لقد أعطت الهجرة الخامسة بعدا جديدا للاستيطان الصهيونية في (أرض-إسرائيل)، من خلال تحديث طابع المدينة والقرية على حد سواء، حيث أقيمت مستوطنات زراعية للمهاجرين من ألمانيا، وأنشئت صناعات حديثة، ازدهرت وتطورت في فترة الحرب العالمية الثانية.

الهجرة السرية

المرحلة الأولى:

بدأت الهجرة السرية المنظمة عام ١٩٣٤، ورغم أن سلطات الانتداب البريطاني سمحت لآلاف من اليهود بالدخول إلى (أرض-إسرائيل)، غير أن العدد الذي وصل إليها، كان أكبر بكثير، ولقد تفاقمت حدة الأزمة، مع وصول هتلر إلى سدة الحكم في ألمانيا، عام ١٩٣٣، وبدء معاناة اليهود هناك، وفي دول أخرى من أوروبا،وكانت النتيجة التي توصلوا إليها واحدة: ينبغي الالتفاف على البريطانيين ودخول (أرض-إسرائيل) دون علمهم. وهكذا ولدت الهجرة السرية.

كانت أولى السفن التي وصلت رغما عن البريطانيين، ودون إذنهم، سفينة "فيلوس" التي أبحرت من اليونان، صيف عام ١٩٣٤، وعلى متنها ٣٥٠ شابا يهوديا، من أعضاء حركة الطلائع وحركات الشبيبة الصهيونية في شرق أوروبا، وقد كان بانتظارها رجال منظمة "الهاغاناه"، الذين "ساعدوا في نقل المهاجرين بعد نزولهم من السفينة، ثم عادت السفينة إدراجها لتقل فوجا آخر، بيد أن البريطانيين، كانوا لها بالمرصاد، وحالوا دون إنزال المهاجرين، ورغم المحاولات، لم يتمكن سوى خمسين مهاجرا ممن كانوا على متنها، من النزول إلى الشاطئ، فيما اضطرت السفينة للهرب إلى قلب البحر، وفي الأشهر التالية، ظلت السفينة تبحر ذهابا وإيابا في قلب المتوسط، دون أن تتمكن من إنزال المهاجرين على أي من الشواطئ،وقد اضطرت في النهاية إلى إعادة المهاجرين إلى بولندا.

بعد شهر من رحلة "فيلوس" الأولى، وصلت إلى (أرض-إسرائيل) سفينة تدعى "أونيون" تقل ١١٧ مهاجرا سريا، وبتلك الرحلات الثلاث، يكون الفصل الأول

من الهجرة السرية قد انتهى، ولقد حالت الصعوبات التي اعترضت سبيلها، دون مواصلة الهجرة لسنوات عديدة.

استؤنفت الجهود عام ١٩٣٧، وبدأت هجرة سفن الحركة التصحيحية، التي أقلّت مئات وربما آلاف المهاجرين سرا، ولقد بذلت هذه الحركة أقصى جهودها لإنقاذ اليهود من خطر البقاء في أوروبا، التي بدأت تدق فيها طبول الحرب. وشاءت الظروف أن تستمر الهجرة السرية حتى عام ١٩٤٢-في ذروة الحرب العالمية الثانية.

وفي تلك الفترة، استؤنفت أيضا جهود الحركات الطلائعية، التي بدأت باستئجار السفن وتنظيم جماعات المهاجرين، ولا شك في أن مشاعر اليأس التي سيطرت على اليهود في أوروبا، جعلتهم مستعدين للمغادرة بأي ثمن.

ويمكن القول، أنه منذ بدء الهجرة السرية البحرية عام ١٩٣٤، وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى (أيلول ١٩٣٩)، وصل إلى (أرض-إسرائيل) أكثر من خمسين ألف مهاجر، أما عدد المهاجرين خلال سنوات الحرب، فقد بلغ ستة عشر ألفا.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

في عام ١٩٣٩، تبنّى البريطانيون سياسات "الكتاب الأبيض"، الذي فرض قيودا على الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، إلى أن توقفت بشكل كامل.وقد أعلن زعماء الاستيطان اليهودي رفضهم التام لتلك القيود.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، واتضاح أبعاد الخطر النازي، خيّل للكثيرين، بداية، أن قيود "الكتاب الأبيض" بما في ذلك قيود الهجرة ستلغى، لا سيما في ضوء وصول حزب (الأحرار) إلى السلطة في إنجلترا، وتعهده في برنامجه الحزبي، بإلغاء ما جاء في "الكتاب الأبيض"، وفي غضون بضعة أسابيع، تبين أن الحكومة

الإنجليزية الجديدة برئاسة (كلمنت أتالي)، ووزير خارجيته (آرنست بيفن) تعتزم مواصلة سياسات الحكومة السابقة ضد اليهود، وعليه، أغلقت الأبواب في وجه الناجين من (الكارثة النازية)، والذين عاشوا في معسكرات بألمانيا، النمسا، إيطاليا، وأرادوا الوصول إلى (أرض-إسرائيل)، مما اضطرهم إلى التفكير بالهجرة سرا، وقد لعب جنود اللواء اليهودي المقاتل (هبر يجادا) وحركة "هبريحا"، الفرار، التي تعتبر أحد أجنحة منظمة "الهاغاناه"، دورا فيها، وكانت المحصلة النهائية، وصول أكثر من ٨٥ ألف مهاجر على متن ٦٤ باخرة، في غضون ثلاث سنوات.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٤٥، أبحرت من إيطاليا واليونان ثماني سفن، تمكنت سبع منها، من العبور فيما تم احتجاز الثامنة،ولكن بعد أن أنزلت المهاجرين تحت جنح الظلام.

وفي كانون ثان ١٩٤٦، احتجز البريطانيون سفينة "انشوسيريني" وعلى متنها تسعمائة مهاجر، تم نقلهم إلى حيفا، ثم سجنوا في معسكر الاعتقال في "عتليت"، إلى أن استصدرت لهم تصاريح هجرة قانونية.

وبعد ذلك بوقت قصير، وصلت سفينة أخرى تدعى "ماكس نوردو" وعلى متنها ١٧٠٠ مهاجر.

قصة لاسبستيا:

شاعت أنباء الهجرة السرية في أوساط المجتمع الدولي، في ربيع عام ١٩٤٦، عندما احتجزت سفينة "فدا" في ميناء لاسبستيا شمال إيطاليا، وعلى متنها أكثر من ألف مهاجر، نتيجة ضغوطات بريطانية، ولقد أسهبت الصحف الإيطالية والصحف العالمية في الحديث عن الموضوع، لا سيما بعد أن أعلن المهاجرون إضرابهم عن الطعام، واعتزامهم عدم وقف هذا الإضراب إلا بعد السماح لهم بالإبحار.

وكنوع من التعاطف، أعلن زعماء اليهود في (أرض-إسرائيل) إضرابهم عن الطعام، ووجد الإنجليز أنفسهم في وضع حرج، ومعظم دول العالم تتهمهم بمنع الناجين من (الكارثة النازية) من إيجاد ملجأ يؤويهم.

بقي المهاجرون على متن السفينة أياما طويلة، إلى أن استسلم البريطانيون في نهاية الأمر، وسمحوا لهم بالإبحار إلى (أرض-إسرائيل)، كان فوزا حقيقيا وانتصارا معنويا مهما، بشّر باتساع نطاق الهجرة في الأشهر التالية.

بلغ عدد المهاجرين عام ١٩٤٦ (٢٢ ألفا)، وقد اعتاد البريطانيون، حتى آب ١٩٤٦، اعتقال المهاجرين وإطلاق سراحهم في غضون أسابيع، وربما أشهر، بعد أن يتم استصدار تصاريح هجرة لهم، غير أنهم عمدوا إلى تغيير هذه السياسات في صيف عام ١٩٤٦، إذ لم تعد معسكرات الاعتقال تكفي لاستيعاب الأعداد الهائلة التي كانت تتدفق باستمرار.

ولما وصلت سفينة "يجور" في الحادي عشر من آب ١٩٤٦، لم ينقل البريطانيون الـ ٧١١ مهاجرا، الذين كانوا على متنها إلى معسكر الاعتقال في عتليت، بل أرغموهم على الصعود إلى متن سفينة أخرى أقلتهم إلى معسكرات اعتقال جديدة في قبرص. ولقد كانت المواجهة السرية بين البريطانيين والمهاجرين عنيفة جدا، وبلغت حدا اضطر معه البريطانيون إلى إطلاق النار على المهاجرين، وقتل وجرح العديد منهم، هذا، إضافة إلى الصراعات الدامية التي جرت أثناء عملية نقل المهاجرين إلى (سفن الطرد) التي كانت تقلهم إلى أماكن أخرى.

ورغم كل ذلك، تواصلت الهجرة السرية، وقد وصلت في آب ١٩٤٦، إلى شواطي (أرض-إسرائيل)، خمس سفن، وفي أيلول سفينتان، في تشرين أول واحدة وفي تشرين الثاني اثنتان، كانت جميعا تقل المئات وربما الآلاف، أما أكبر السفن، فقد

وصلت في تشرين الثاني ١٩٤٦ وكانت تدعى "كنيست يسرائيل"، أقلّت على متنها ٤٠٠٠ مهاجر.

ويمكن القول، أن العديد من السفن، نجحت في خرق الحظر والوصول إلى الشواطئ، مثل سفينة "شفتاي لوزينسكي" التي تمكنت من إنزال المهاجرين على شواطئ جنوب (أرض-إسرائيل) في آذار ١٩٤٧. وما ينبغي ذكره هنا، أن عددا من القوات البريطانية، ظهرت على الشاطئ وقت الإنزال وحاولت اعتقال المهاجرين، بيد أنهم لاذوا بالفرار واختلطوا بالمستوطنين، مما حدا بالبريطانيين للقيام بحملة اعتقالات عشوائية دون التفريق بين مستوطن ومهاجر، أسفرت عن اعتقال المئات وزجّهم في معسكرات الاعتقال في قبرص.

الخروج من أوروبا:

في النصف الأول لعام ١٩٤٧، واصلت سفن الهجرة تدفقها إلى (أرض-إسرائيل)، وشهدت معسكرات الاعتقال في قبرص "انفجارا سكانيا" حقيقيا، وقد أجبر الآلاف الذين اجتازوا "المحارق" في أوروبا، على العيش ثانية بين الأسلاك الشائكة، لا سيما وأن مسيرة إطلاق سراحهم، استغرقت أشهرا طويلة، وربما عاما أو يزيد، إلى أن استصدر البريطانيون لهم تصاريح هجرة، وحتى ذلك الحين، أنشئت لهم ولعائلاتهم، بمساعدة مؤسسات الاستيطان في (أرض-إسرائيل) حدائق ومدارس ومواد ثقافية ورياضية، إضافة إلى الدور الذي لعبه الجناح الخاص في منظمة "الهاغاناه" والذي عرف بـ "صفوف المدافعين" إلى جانب دور رجال "الهاغاناه" و "البلماح" الذين تم تهريبهم سرا إلى معسكرات الاعتقال في قبرص، والذين عملوا على تهيئة المهاجرين هناك على أساليب الحياة والعمل في (أرض-إسرائيل) وساعدوهم في

حفر الأنفاق التي تمكنوا من الهروب عبرها والوصول بعد ذلك إلى (أرض-إسرائيل) سرا.

ولقد تجلت مساعدة المستوطنين للمعتقلين في قبرص في أبهى صورها، بإرسال مدرسين وموجهين ونقل كميات كبيرة من المساعدات الغذائية، لا سيما وأن البريطانيين كانوا يتعاملون معهم كأسرى حرب، ولم يقدموا لهم ما يكفي من الطعام.

وفي صيف عام ١٩٤٧، بلغت الهجرة السرية ذروتها، برحلة السفينة الأمريكية "برزيدنت ورفيلد" التي وصلت إلى أوروبا باسم جديد "اكسودوس ١٩٤٧"(وفي العبرية-سفينة الخروج من أوروبا ١٩٤٧)، ففي العاشر من تموز، أبحرت "اكسودوس"، من جنوب فرنسا وعلى متنها ٤٥٠٠ مهاجر سري، وقد تتبعت آثارها سفن حربية بريطانية، وحاولت السيطرة عليها قبل دخولها إلى المياه الإقليمية التابعة لـ "أرض-إسرائيل"، ففتحت النار عليها، وأنزلت على متنها قوات بحرية قتلت ثلاثة من ركابها، وبعد ذلك، تم سحب السفينة إلى حيفا وأرغم ركابها على الصعود إلى "سفن الطرد" التي عادت بهم هذه المرة إلى أوروبا، بناء على قرار السلطات البريطانية، بيد أن المهاجرين رفضوا ذلك وطالبوا بإعادتهم إلى (أرض-إسرائيل). كانت دول العالم تتابع ما يجري، وبدت بريطانيا مرة ثانية أمامها كدولة عنيدة قاسية القلب، تسيء معاملة اليهود الناجين من (الكارثة النازية).

استمرت حرب الأعصاب في ميناء فرنسا، أكثر من أسبوعين، تواصلت خلالهما الضغوط البريطانية على اليهود للتنازل عن مطلبهم، وأخيرا قرر البريطانيون تشديد موقفهم وإعادة المهاجرين إلى معسكرات النازحين في ألمانيا، وفي ميناء (همبورغ) الألماني تجدّدت المواجهات بين المهاجرين والبريطانيين الذين أرغموهم

بالقوة على النزول لكن، تم في نهاية المطاف، إعادة المهاجرين إلى (أرض-إسرائيل)، بمساعدة مؤسسات دعم الهجرة هناك.

ويمكن القول، أن رحلة "اكسودوس" لعبت دورا في تمهيد الطريق أمام إقامة "الدولة اليهودية"، فقد ناقشت إحدى اللجان الخاصة، في الأمم المتحدة، في تلك الفترة-(صيف ١٩٤٧)-قضية (أرض-إسرائيل) وإمكانية إيجاد حل لها من خلال إقامة دولة يهودية تستوعب مئات الآلاف الناجين من "الكارثة النازية".

ومن الجدير بالذكر، أن حوالي ٢٥ ألف مهاجر سري، وصلوا على متن عشرين سفينة إلى (أرض-إسرائيل) في نهاية عام ١٩٤٧. وفي نهاية تشرين الثاني من نفس العام، أقرت عصبة الأمم المتحدة إقامة "الدولة اليهودية" ومع ذلك، واصل البريطانيون سياساتهم السابقة ولم يسمحوا للناجين من "الكارثة النازية" بالدخول إلى (أرض-إسرائيل)،ومع نشوب حرب الاستقلال، تواصلت رحلات الهجرة السرية حتى اليوم الأخير للانتداب البريطاني.

نهاية المشروع:

في الأشهر الأولى لعام ١٩٤٨، وحتى قيام "دولة إسرائيل" في منتصف أيار، وصل إلى شواطئ (أرض-إسرائيل) أكثر من ٢٢ ألف مهاجر على متن ١٤ سفينة، ونذكر هنا رحلة سفينتي "بان يورك"و "بان كرشنت" اللتين كانتا تقلان أكثر من ١٥,٠٠٠ مهاجر، واللتان وصلتا إلى (أرض-إسرائيل) تحت اسمين مختلفين "الاستقلال" و "كيبوتس المهاجر"، وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المهاجرين قرروا عدم معاندة البريطانيين، نظرا للعدد الكبير من النساء والأطفال الذين كانوا على متن السفينتين، وتوصلوا إلى تسوية معهم تقضي بعدم التعرض إلى أي من المهاجرين، مقابل أن يتم توجيه السفن إلى قبرص، وكانت هذه نهاية مشروع الهجرة السرية، بعد

أن ألغى البريطانيون القوانين التي تحظر على اليهود الدخول إلى (أرض-إسرائيل)، وبدأ مئات آلاف المهاجرين بالتدفق من جديد.

ويصح القول، أنه إضافة إلى ٧٠ ألف مهاجر سري الذين وصلوا بحرا في الفترة ما بين عامي ١٩٤٦-١٩٤٨، وصل حوالي ٥٠٠٠ مهاجر برا من سوريا، لبنان، العراق وإيران، وحوالي ٨٥٠٠ من أوروبا وصلوا بواسطة بطاقات مزورة، و ١٥٠ من العراق وجنوب إيطاليا جوا.

أما بالنسبة للمعتقلين في قبرص، فقد رفض البريطانيون إطلاق سراحهم، بزعم أن هجرتهم إلى (أرض-إسرائيل) سترجح كفة الميزان لصالح اليهود في حربهم مع العرب، وفي كانون الثاني لعام ١٩٤٩ فقط، فتحت أبواب المعسكرات وسمح لكل من فيها بالهجرة إلى (أرض-إسرائيل).

الفصل التاسع

-نحن وجيراننا-

كان تاريخ تحقيق الحلم الصهيوني في (أرض-إسرائيل) حافلا بعمليات جسّ النبض، الاتصالات والمباحثات بين زعماء الاستيطان اليهودي والعرب المقيمين هناك والزعماء العرب في الدول المجاورة، ونظرا لأن المشروع الصهيوني واجه في بداياته مواقف العداء، حاولت الحركة الصهيونية البحث عن سبل تؤدي إلى المصالحة والتفاهم بينها وبين العرب والحركات القومية العربية، لكنها في الوقت ذاته، لم تخف نيتها وآمالها في إقامة "دولة يهودية" على (أرض-إسرائيل)، وكتسوية مرحلية سياسية، اكتفت "بالتفسير المعتدل" "لوعد بلفور"، بأنه ستتم إقامة "كيان قومي" يهودي في (أرض-إسرائيل)، لا أن تكون (أرض-إسرائيل) كلها كيانا قوميا، كانت القيادة الصهيونية مستعدة لإرجاء الحسم. في هذه القضية إلى موعد بعيد جدا، وكان كل ما أرادت تحقيقه في عهد الانتداب الحصول على موافقة عربية لتطوير مجتمع يهودي كبير ومستقل، في منطقة (أرض-إسرائيل).

بيد أن العرب عارضوا وبشدة فكرة "الدولة اليهودية" و "التفسير المعتدل" لوعد بلفور، وقد كان رفضهم للهدف التاريخي للحركة الصهيونية رفضا مطلقا، ورأوا في كل تسوية مرحلية، محاولة صهيونية جديدة لتمهيد الطريق أمام تحقيق هذا الهدف.

ورغم هذه المعارضة تطور "المجتمع الاستيطاني" في أعقاب الاحتلال البريطاني لـ (أرض-إسرائيل)، كمجتمع سياسي مستقل وديمقراطي، وسرعان ما أصبح هذا العداء للصهيونية وللاستيطان اليهودي، الحافز الذي حاول الزعماء العرب في (أرض-إسرائيل) من خلاله توحيد مختلف الطوائف والتيارات في مجتمع سياسي متماسك.

مع من؟ على ماذا؟ وكيف؟

رغم أن (أرض-إسرائيل) لم تكن أرضا عربية، ولم تكن فيها حركة قومية عربية، إلا أنه كان من الواضح أنها تشكل أساسا لتطلعات الزعماء العرب والحركات القومية العربية السياسية، الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الإمبراطورية العثمانية المتداعية، والمسؤولين عن بعث الماضي العربي المجيد.

ولقد وجهت هذه الحقيقة سياسات الحركة الصهيونية، التي حاولت السير، منذ البداية، على خطين سياسيين متوازيين: الأول-خلق أساس للتفاهم، وبناء علاقات

مع العرب المقيمين في (أرض-إسرائيل) والثاني-خلق تفاهم على أساس سياسي شامل مع العناصر السياسية صاحبة القرار في الدول المجاورة.

ومنذ بداية القرن الحالي، واجهت السياسة الصهيونية ثلاث مسائل رئيسية هي:

*مع من سيتم التفاوض؟-أي طرف عربي مستعد للدخول في مفاوضات، وأي طرف عربي يتمتع بالقدرة على حسم الأمور، وبالتالي يمكن خوض مفاوضات معه؟

*كيف سيتم التفاوض؟ ما هي السيناريوهات الممكنة والمجدية للتباحث والتفاوض، وما الإطار الذي يمكن للمحادثات أن تتمخض من خلاله عن الفوائد السياسية المرجوة؟

*محور المفاوضات؟ على ماذا سيتم التفاوض، وما الأهداف وحجم التنازلات المتبادلة، التي يمكن للجانبين أن يتفقا عليها خلال المفاوضات؟

لقد أجرت الحركة الصهيونية محادثات مع عناصر عربية مختلفة، ولم تتحفظ من الحوار مع عناصر عربية، كان عداؤها جليا واضحا، ولقد أبدت السياسات الصهيونية استعدادا لإجراء محادثات بكل صورة ممكنة، على أمل التوصل إلى مفاوضات هادفة، بيد أن الفجوة في المواقف بين الطرفين، ظهرت حول المسألة الأخيرة-على ماذا سيتم التفاوض؟ إبان الانتداب البريطاني وحول المسألتين الأولى والثانية بعد إقامة "دولة إسرائيل السيادية المستقلة".

وفي حقيقة الأمر، جرت الاتصالات بين اليهود والعرب في عهد الانتداب البريطاني بوساطة بريطانيا، ولقد حاول العرب حث بريطانيا على وضع العراقيل في طريق الصهيونية، أو البحث عن سبل أخرى لكبح جماح تطور الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، في حين أراد الصهاينة تمكين بريطانيا من إدارة سياساتها في المنطقة، حسب ما ينص عليه وعد بلفور، دون أن تضطر إلى مواجهة تحديات المواجهات العنيفة هنا وهناك، ومع ذلك يمكن القول أنه حتى لو كان الجانبان سيتوصلان إلى تفاهم مبدئي كامل فيما بينهما-وهي الإمكانية المستحيلة-فإنهما لن يكونا قادرين على استبدال الانتداب البريطاني على (أرض-إسرائيل) بتسوية أخرى من جانبهم، وخلافا لرغبة البريطانيين ومصالحهم.

لقد حاولت الحركة الصهيونية، من حين لآخر، التوصل إلى اعتراف عربي بأهدافها الصهيونية وبفكرتها التي توجه مسارها، وكان يبدو في بعض الأحيان، أنه تم التوصل إلى اتفاق من هذا النوع، بيد أن الهوّة بين الأهداف القومية اليهودية والعربية، كانت أكبر من أن يتم تجسيرها على المسارين الأيديولوجي والمبدئي، لذا تم التركيز على محاولة الوصول إلى تسوية بين الحد الأدنى لمطالب كلا الطرفين، وإرجاء الحسم إلى مرحلة متأخرة، بيد أن السياسات الصهيونية فشلت في كسب موافقة العرب على الحد الأدنى من مطالبها، كما أن اليهود رفضوا، وفي جميع المحادثات التي أجريت في عهد الانتداب البريطاني، مطلبين عربيين هما-إعداد تسوية سياسية تبقي المجتمع اليهودي في (أرض-إسرائيل) كأقلية في إطار دولة عربية، أو بلورة تسوية سياسية تجمد أو تقلص الهجرة وفقا لاعتبارات غير صهيونية.

لقد شهدت فترة الانتداب البريطاني لقاءات عديدة بين شخصيات صهيونية وعربية على مستويات مختلفة، كما شهدت محادثات سرية وعلنية، رسمية وغير رسمية، ويمكن القول، من خلال دراسة اقتراحات التسوية المختلفة التي طرحت في تلك الفترة، إنها جميعا مجرد صيغ عامة للغاية، ولا تجدي نفعا في الواقع المعقد الذي تعيشه (أرض-إسرائيل) والشرق الأوسط.

وبعد صعوبات جمّة ومعاناة كبيرة، بدت الحركة الصهيونية مستعدة للتنازل عن (أرض-إسرائيل) العربية الكاملة، ورأت في التسوية مع العرب، ضرورة صهيونية، يتم من خلالها إقامة علاقات سياسية، قومية واجتماعية وطيدة ومتشعبة بين الشعبين، غير أن العرب لم يكونوا مستعدين للتنازل عن تجميد الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، وتطلعوا في حقيقة الأمر إلى تسويات تمنحهم القوة السياسية في (أرض-إسرائيل).

القضية المجهولة:

لقد تمكنت الحركة الصهيونية، لكن بالتدريج فقط، من بلورة فهم محدد تجاه "القضية العربية"، وعلى الرغم من وجود اتصالات بين أوساط صهيونية وعناصر في الحركة القومية العربية قبل احتلال البريطانيين (لأرض-إسرائيل)، بيد أنها لم تكن مجدية، فالاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل) كان صغيرا، ولم يكن للهستدروت الصهيونية قوة سياسية، وكانت الحركة القومية العربية في مراحلها الأولى، ويمكن القول، أن الحرب العالمية الأولى، والتمخضات التاريخية الكبيرة التي اجتازتها منطقة الشرق الأوسط بعدها، قد أعطت تلك الاتصالات السياسية زخما كبيرا، فقد حصلت الحركة الصهيونية على "وعد بلفور"، الذي اعترف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في (أرض-إسرائيل)، فيما تلقت الحركة العربية القومية الدعم والتشجيع من الثورة العربية والوعود التي قطعها ممثلو بريطانيا للأسرة الهاشمية في الحجاز، وبعد عام ١٩١٧، كانت المواجهة.

لكن،قبل ذلك بوقت طويل، وتحديدا في عام ١٩٠٧، نشر (اسحق انشتاين)، مدرس زراعي من (روش بينا) محاضرة، ألقاها قبل ذلك بعامين، في المؤتمر الصهيوني السابع، تحت عنوان "قضية مجهولة"، تحدث فيها عن غياب النهضة القومية العربية في (أرض-إسرائيل) وأن علاقات جوار طيبة بين المستوطنين الصهاينة، والقرويين العرب، ضرورية لعدم حدوث صحوة قومية من هذا النوع، ضد الاستيطان اليهودي، بيد أن الحقيقة، هي أن المعارضة العربية لتجسيد الصهيونية، بدأت قبل عام ١٩٠٥، عندما كان الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، ما يزال في بداياته.

في نفس العام الذي تحدث فيه (افشتاين) عن القضية المجهولة، نشر في باريس كتاب لنجيب عازوري، عربي-مسيحي عمل قبل ذلك مساعدا للحاكم التركي

في القدس، قال فيه أن الحركات القومية العربية واليهودية، ستتصارع مستقبلا إلى أن تسيطر إحداهما على (أرض-إسرائيل)، بيد أن سيناريو المزاعم العربية ضد الصهيونية كان قد ظهر مطلع القرن الحالي- قبل صدور "وعد بلفور"، ولقد أخذت تلك المزاعم طابعا مزدوجا، حيث كانت تحاول التأكيد على أن (أرض-إسرائيل) عربية منذ الأزل، من ناحية، والتأكيد على عدم وجود أي حق تاريخي للشعب اليهودي على هذه الأرض، من ناحية ثانية.

لقاء وايزامن-فيصل

والاتفاق الذي وقع في أعقابه:

على الرغم من أن صدور "وعد بلفور"، أسهم في تشكيل تنظيمات لا صهيونية فاعلة، تلقت التشجيع من قادة الحكومة البريطانية في (أرض- إسرائيل)، إلا أنه عزّز أيضا الفرصة الأولى للحوار بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية، من خلال إتاحة الفرصة للقاء حاييم وايزمان الذي وصل في نيسان ١٩١٨، بالأمير فيصل، نجل الشريف حسين في هضبة موآب، وكان وايزمان قبل هذا اللقاء، قد التقى شخصيات عربية مهمة في القدس، أكد لهم أن الصهيونية لا ترنو إلى سيطرة سياسية في (أرض-إسرائيل) ولقد ترك اللقاء الذي جرى في أجواء ودية في جبال موآب، انطباعا عميقا لدى وايزمان، الذي أيقن في نهايته، أنه توصل إلى تفاهم عام مع الزعيم العربي، وأن اللقاء معه يبرز التماثل القائم بين التطلعات العربية واليهودية في (أرض-إسرائيل).

وفي الثالث من كانون الثاني ١٩١٩، وقع وايزمان وفيصل الاتفاق، الذي اعتبر بعد وقت قصير معلما تاريخيا بارزا في الطريق المشتركة بين الصهيونية والحركة القومية العربية.

المفتي يعتلي المنصة:

تجسدت محاولة البريطانيين لرفع أسهم بريطانيا وسط العرب المقيمين في (أرض-إسرائيل)، وتبديد مخاوفهم من الصهيونية وأهدافها، في تعيين الحاج أمين الحسيني مفتيا للقدس.

كان الحاج أمين قد حكم بالسجن مدة عشر سنوات، بتهمة التحريض على أعمال العنف في القدس في نيسان ١٩٢٠، لكن، بعد مرور وقت قصير، قرر المندوب السامي وكبار مستشاريه، إشغال هذا المحرض في مهمة ما، ورغم فشله في الانتخابات، عين مفتيا للقدس في أيار ١٩٢١، وبعد أقل من عام عين رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى.

لم يكن المفتي صانع القرار الوحيد في (أرض-إسرائيل)، فقد عارضه الكثيرون في الأوساط السياسية الإسلامية والنصرانية، وكان النظام الهاشمي في عمّان عدوه اللدود، لكن، مع ذلك يمكن القول بأنه كان لتعيينه أثر حاسم على تطور العلاقات بين العرب واليهود في (أرض-إسرائيل) وعلى تدخل الدول العربية المجاورة في قضية (أرض-إسرائيل)، هذا إضافة إلى أنه أسهم، من جانب آخر، في بلورة معارضة العرب المقيمين في (أرض-إسرائيل)، ونقلها إلى مستويات منظمة وأكثر عنفا، ودمج المواقف والآراء اللاصهيونية في كتلة واحدة.

ولقد كانت أحداث عام ١٩٢٩، على سبيل المثال، تعبيرا واضحا عن نجاح المفتي في إثارة ليس فقط طبقة المثقفين في المدن، بل طبقة المتعصبين من عامة الشعب الفلسطيني، ضد الصهيونية، ومن المعروف أن تلك الأحداث، لم تكن مواجهة بين فلاحين عرب ومن جاءوا ليسلبوهم الأرض، بل كانت مواجهة على خلفية دينية.

الضغوط العربية على بريطانيا:

لقد كانت أحداث عام ١٩٢٩ كفيلة بأن توضح للحركة الصهيونية أبعاد الصورة الجديدة للمعارضة العربية.

في مطلع الثلاثينيات بدأ الاستيطان اليهودي بإرساء قواعده من الناحية الاقتصادية، وربما كانت هذه المرة الأولى، منذ عام ١٩١٧، التي تسمح فيها الظروف بالتقاء عاملين رئيسيين من عوامل تجسيد الحلم الصهيوني، وهما: اتساع إمكانيات الاستيعاب في (أرض-إسرائيل) مقارنة بما كانت الحال عليه قبل ذلك، وضغوطات الهجرة الكبيرة، التي خلقتها الظروف القاسية التي عاشها اليهود في بولندا وألمانيا، بمعنى آخر، إن الأرض كانت مستعدة لاستيعاب عدد كبير من المهاجرين، من الناحية الاقتصادية، وهذا هو السبب في تحول مسألة الهجرة إلى قضية حساسة في الثلاثينيات، ليس كمسألة نظرية وفكرية فحسب، بل كمشكلة حقيقية وخطيرة، كما أنه السبب في تصعيد حدة المعارضة العربية، لا سيما في ظل توقع اتساعه إلى حد كبير مستقبلا.

كان أهم أهداف العرب السياسية في الثلاثينيات، كبح جماح مسيرة اتساع حجم الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل).

من وجهة نظر العرب، كان بالإمكان إنجاز هذا الهدف لو قررت بريطانيا تجميد أو تقليص حجم الهجرة، وبهدف إقناعها بذلك، مارسوا عليها ضغوطاتهم التي تمثلت بالإضراب العام والأحداث الدامية عام ١٩٣٦، وما تجدر الإشارة إليه هنا، إن أوساطا عربية مختلفة، حاولت قبل هذا العام وبعده، إنجاز هذا الهدف بطرق دبلوماسية من خلال إجراء محادثات واتصالات مع عدد من الزعماء الصهيونيين، بهدف استيضاح أهداف الحركة الصهيونية، كذلك الحال بالنسبة

لزعماء الصهيونية، الذين أدركوا إلى جانب رغبتهم في منع حدوث مواجهات عنيفة، إن الضغط العربي على بريطانيا قد يحدو بها إلى التراجع عن وعد بلفور.

لذا، رأوا أن التفاهم مع العرب، سيلعب دورا فاعلا في تبديد مخاوف البريطانيين، فأي شيء أفضل من تفاهم متبادل بين الطرفين المتخاصمين، يكفي بريطانيا شر تصديع رأسها في أمور يبدو أنه لا ضرورة لها في الوقت الذي تواجه فيه مشاكل دولية ساخنة؟

كانت الأهداف القومية لكلا الجانبين متناقضة، فقد أراد العرب أن تكون (أرض-إسرائيل) دولة لهم، في حين كان أقصى ما سيسمح به اليهود، وجود أقلية عربية ذات حكم ذاتي، وأرادت الحركة الصهيونية أن تكون (أرض-إسرائيل) دولة يهودية وأبدت مع ذلك استعدادها لدمجها في إطار فدرالية عربية كبيرة، في حين طالب العرب بتجميد اتساع نطاق الاستيطان اليهودي، كذلك، كانت فكرة وجود أقلية يهودية في إطار دولة عربية، بمثابة كابوس مزعج بالنسبة للحركة الصهيونية، واعتبرت وقف الهجرة أو تجميدها لاعتبارات سياسية أمر يتعلق بغياب التعمق في دراسة مضمون الصهيونية وطابعها التاريخي.

وسرعان ما تبين أن إجراء مفاوضات سياسية سيكون أمرا ممكنا، فقط في حال تقديم تنازلات متبادلة عن الأهداف القومية، فالعرب لن يوافقوا على إقامة دولة يهودية في (أرض-إسرائيل) الغربية ولن توافق على إقامة دولة عربية عليها، واتضح أن بالإمكان التوصل إلى تسوية سياسية بناء على مخططين:-

*الأول: تسوية سياسية على أساس دولة "ثنائية القومية"، أقصد تقسيم السيادة السياسية والإدارية على (أرض-إسرائيل) بين اليهود والعرب في إطار تشريعي دائم ومفصل.

*الثاني: تسوية سياسية إقليمية، تقسّم (أرض-إسرائيل) إلى وحدتين إداريتين وحكومتين مختلفتين.

الصهيونية تقبل بمبدأ التقسيم:

في التاسع من تشرين أول ١٩٣٦، تعهد الحكام العرب للعرب المقيمين على (أرض-إسرائيل)-من خلال اللجنة العربية العليا-بالدفاع عن شؤونهم وقضاياهم أمام بريطانيا، ولم تعارض الحكومة البريطانية، من جانبها، هذا التدخل، فقد كان يبدو لها أن هؤلاء الحكام سينظرون إلى (القضية الإسرائيلية) من منظور شرق أوسطي شامل وواقعي، وفي عام ١٩٣٧، كانت الرغبة في ضمان السيطرة الاستراتيجية والعسكرية على هذا الجزء من العالم، دون المخاطرة بأن يقوم العرب بزعزعة الجبهة الخلفية للإمبراطورية البريطانية في حال نشوب حرب محتملة، القوة التي تحرك السياسات البريطانية، وقد تصاعدت حدة الجدل في بريطانيا بين المعارضين للتنصل من وعد بلفور والعناصر الداعية إلى التنصل من هذا الوعد وتبني أساس جديد للحكم في (أرض-إسرائيل)، وقد تمخض الخلاف عن قرار يقضي بإرسال لجنة رسمية "لجنة بيل"-لدراسة الوضع هناك، واقتراح حل جذري.

وعندما طرح اقتراح التقسيم وجدت القيادة الصهيونية نفسها أمام مفترق طرق تاريخي. وقد كان للسياسات الصهيونية عام ١٩٣٧ جانبان، ينبغي الإشارة إليهما هنا:

١-الجانب المبدئي

٢-الجانب السياسي-التكتيكي.

الجانب المبدئي:

جرى الجدل الداخلي حول أهداف الصهيونية والإمكانيات السياسية المتاحة أمامها بناء على تصورين مختلفين لخطة التقسيم، وقد انتهى هذا الجدل بقرار حاسم لصالح التقسيم، وكانت هذه المرة الأولى، التي تجد فيها الحركة الصهيونية نفسها ملزمة، باتخاذ قرار حازم في مسألة حاسمة: الموافقة على التقسيم أو رفضه؟ وعليه، يمكن القول أن الحركة الصهيونية وافقت على مبدأ التقسيم عندما تبين لها أن البديل أقصد، إلغاء الانتداب سيكون أسوأ بكثير.

الجانب السياسي-التكتيكي:

وايزمان وبن غوريون، اللذان تصدرا حلبة الصراع السياسي في تلك الفترة، لم يؤمنا بتقسيم (أرض-إسرائيل) كإمكانية لحل الصراع بين اليهود والعرب، وكان الافتراض الأكثر معقولية أن يتمخض التقسيم عن حل الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا، لا سيما وأن حل هذا الخلاف كان عام ١٩٣٧، الأكثر حيوية وإلحاحا بالنسبة للصهيونية، وعليه، قررت "الصهيونية الرسمية"، الموافقة على التقسيم، بيد أن المشكلة كانت تتمثل في كيفية الإعراب عن هذه الموافقة، بالنسبة لوايزمان، فقد وافق على الفور ولم يخف موافقته، أما بن غوريون فقد كان أكثر حذرا منه.

لقد كان الحسم السياسي في تلك الساعة ضرورة ملحة، وقررت الحركة الصهيونية، بعد إجراء محاسبة ذاتية داخلية وعميقة، تبني خطة التقسيم كمبدأ سياسي، بيد أن بن غوريون، أعلن أنه يحظر على الحركة الصهيونية الموافقة علنا على هذا المبدأ، وحسب اعتقاده، إذا ما كانت سياسات الحركة الصهيونية ستوضح لبريطانيا، وبشكل لا يقبل التأويل، أنها توافق على مبدأ التقسيم فلن يبقى أمامها إلا المساومة على حدود التقسيم، فبعد أن توافق السياسات على "مبدأ"، عليها المساومة

على "الخارطة" التي تقوم على أساس هذا المبدأ، ومن المتوقع أن يزعم البريطانيون، بأن الجدل على الخارطة قد يقوض الأساس الذي تم الاتفاق عليه وهو مبدأ التقسيم، لذلك اقترح بن غوريون، رفض مبدأ التقسيم علنا، لتضطر بريطانيا إلى السعي من أجل إقناع الحركة الصهيونية للقبول به- من خلال رسم خارطة تقسيم جيدة تتناسب قدر الإمكان مع المصلحة الصهيونية.

في عام ١٩٣٧ وافق زعماء المستوطنين على مبدأ التقسيم بعد مكابدة قاسية، بيد أن التطورات في عامي ١٩٣٧-١٩٣٨، كشفت أن من الصعب في بعض الأحيان، على حركة سياسية ديمقراطية، تبني تكتيك دبلوماسي معقد، أضف إلى ذلك، أن قدرة الحركة الصهيونية على المساومة عام ١٩٣٧، لم تكن كبيرة. وكان ينبغي عليها، قبل خوض المفاوضات حول التقسيم، أن تتخذ قرارا يحظى بأغلبية الأصوات في المؤسسات المعتمدة، ولقد الحق هذا الأمر الأذى بوزن المعارضة الصهيونية، وتراجعت قدرتها على رفض خرائط تقسيم ضيقة ومحدودة، كتلك التي اقترحت عام ١٩٣٨.

محادثات أولى مع دول عربية:

أرجئت خطة التقسيم التي اقترحتها لجنة بيل، دون أن يكون لذلك أي علاقة بالجدل الذي جرى داخل الحركة الصهيونية، من ناحية سياسية، كان للمفاوضات التي جرت مع بريطانيا نتيجتان: الأولى إيجابية-فهذه هي المرة الأولى التي تدرس فيها حكومة بريطانيا اقتراحا لتأسيس دولة يهودية سيادية في (أرض-إسرائيل)، والأخرى سلبية- إذ اعترفت بريطانيا والصهيونية أيضا، بأن الانتداب البريطاني وصل إلى طريق مغلق، وينبغي التخلص منه.

وحسب اعتقاد وايزمان وبن غوريون، كان ينبغي توجيه الجهود الصهيونية في تلك السنوات لإقناع بريطانيا بعدم تسليم الضعيف (الاستيطان اليهودي) للقوي (العرب). بيد أن ميل البريطانيين نحو العرب، برز بشكل أكبر عام ١٩٣٩، عشية الحرب العالمية الثانية، عندما وجهت الحكومة البريطانية دعوة إلى وفد يهودي ووفود عربية لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في لندن.

ضمت الوفود العربية المتوجهة إلى لندن ممثلين عن العراق، العربية السعودية، مصر، إمارة شرق الأردن واليمن، ووفدين من العرب في (أرض-إسرائيل)، وقد رفض هذا الوفد الذي مثل المفتي وترأسه ابن عمه، جمال الحسيني، التفاوض مع الوفد اليهودي، ونتيجة لذلك، امتنع الوفد الذي مثل المعارضة للمفتي، عن المشاركة في المفاوضات بشكل فاعل، ومع ذلك، ينبغي أن نشير إلى أن مشاركة الوفود العربية منحت اعترافا بريطانيا-وصهيونيا أيضا-لتدخل الدول العربية في قضية (أرض-إسرائيل) حيث أصبحت بذلك مشكلة شرق أوسطية كبيرة.

أما الجانب الصهيونية، فلم يعارض هذا التدخل، انطلاقا من الاعتقاد بأن الدول العربية ستبدي قدرا أكبر من الاعتدال والواقعية السياسية، غير أن آمالهم

تحطّمت على صخرة الواقع، حيث تبنّى ممثلو الدول العربية موقفا متشددا، وفي ظل التنافس العربي، لم يكن أي من الوفود يسمح لنفسه، بأن يكون الأقل تطرفا، حتى عندما كان يبدو لعدد من الممثلين العرب، أن نظراءهم يقدمون مطالب مبالغا فيها، وأن عليهم القبول، وبشكل أكثر إيجابية، باقتراحات حكومة بريطانيا-لم تتنصّل الوفود الرسمية من المواقف المتصلبة.

طرحت بريطانيا أمام الوفد اليهودي خيارين سيئين: الأول:دولة عربية في (أرض-إسرائيل) مع حقوق أقلية لليهود، والثاني: التراجع عن التعهدات البريطانية تجاه الصهيونية وفرض قيود متشددة على الهجرة والاستيطان وقد اكتشف ممثلو الصهيونية في بداية المؤتمر، أن بريطانيا قررت التضحية بوعد بلفور والصهيونية كي لا تتعرض لخطر الاصطدام بموجة "تمرد عربي" خلال الحرب القادمة.

من وجهة نظر الصهيونية، كانت السنوات ١٩٣٧-١٩٣٩ بمثابة عبرة تاريخية من الطراز الأول، فالصهيونية كانت تدرك طبيعة الزخم الكبير الكامن في الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل) والذي يتضمن قدرة عسكرية، لكن الاستيطان، لم يكشف النقاب عن هذه الإمكانية، من الناحية العسكرية على الأقل، وبالنسبة لبريطانيا، لم تتوقع أن يؤيد الاستيطان، بشكل إيجابي، حربها ضد النازيين، بيد أنها طلبت من الصهيونية ومن العرب سوية، عدم إضعاف الجبهة الخلفية البريطانية، بالتوترات السياسية والعسكرية في وقت الحرب، ولأنها ظنت بأن التأييد اليهودي مضمون في كل الأحوال، توصلت بريطانيا إلى نتيجة، بأن عليها ضمان التأييد العربي وبأي ثمن-تقريبا، وعليه، توجهت بريطانيا لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، مع الموافقة مسبقا على الطلب العربي الخاص بفرض (فيتو) عربي على الهجرة اليهودية، في حين توجه الوفد اليهودي ينتابه الشعور بالكآبة

والضعف، لدرجة أنه كان يتصور للحظات أنه يسير في موكب جنازة الصهيونية والشعب اليهودي.

كان الإنجاز الكبير الوحيد الذي استطاعت الصهيونية تحقيقه في تلك السنوات، مرتبطا بقوة واستقرار المجتمع الاستيطاني، إذ لم تستطع بريطانيا أن تفرض حلا سياسيا دون موافقة الحركة الصهيونية أولا، أضف إلى ذلك، أنه لم يكن بالإمكان تأسيس دولة عربية في (أرض- إسرائيل)، بسبب المعارضة اليهودية وهذا ما سرّى عن الوفد اليهودي بعض همومه، ولقد وصف موشيه شريت الوضع قائلا: "نحن كالعظمة في الحلق، لا يستطيعون بلعها ولا بصقها". ورغم موقفه الضعيف، كان الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل)، أقوى من أن تتم تصفيته في إطار "عملية تصفية" سياسية.



مؤتمر المائدة المستديرة... وحرب "الاستقلال"

في خضم هذا السياق، يمكننا النظر إلى الاجتماعات الثلاثة العقيمة والمحبطة التي عقدت بين الوفد اليهودي والوفود العربية في الثالث والعشرين والرابع والعشرين من شباط وفي السابع من آذار، كانت هذه المرة الأولى منذ اجتماع وايزمان-فيصل، قبل ذلك بعشرين عاما- التي يجتمع فيها كبار الزعماء اليهود علنا، لإجراء ما نسميه في الوقت الحالي محاولة "لتسوية شاملة" بين الصهيونية والعرب، بيد أن الوفد اليهودي لم يعلل نفسه بالأمل، لأنه كان على علم مسبق بمواقف العرب، وأن العرب قرروا رفض الاقتراح البريطاني، الذي يقول بأنه سيتم السماح بهجرة ٧٥.٠٠٠يهودي إلى (أرض-إسرائيل) على مدى السنوات الخمس القادمة، وأن (أرض-إسرائيل) ستتحول تدريجيا إلى دولة مستقلة.

جرى اللقاء الأول في الثالث والعشرين من شباط ١٩٣٩، وحضره أربع شخصيات من الإنجليز، أربع شخصيات من العرب وثماني شخصيات من اليهود، وقد طرح وزير المستعمرات البريطاني، مالكولم ماكدونالد، موقف حكومته واقترح أن تتم، وبصورة هادفة، مناقشة الأسس العملية لمنح (أرض-إسرائيل) الاستقلال والضمانات التي ستمنح للأقلية، وطرح علي ماهر، رئيس حكومة مصر، الموقف العربي، والذي يقول أن العرب يطالبون بدولة عربية في (أرض-إسرائيل) كلها، وأنهم سيكونون على استعداد فقط لمناقشة منح ضمانات مناسبة للأقلية اليهودية، شريطة ألا تلحق. تلك

الضمانات الأذى بالمصالح العربية وسيادة الدولة المستقلة، ولبدء المفاوضات بروحية إيجابية، زعم وايزمان بأن الصهيونية لا تعارض استقلالية (أرض-إسرائيل)، شريطة أن تتم "مواءمة المصالح" اليهودية والعربية، على أساس عدم سيادة مصلحة على الأخرى، وزعم وايزمان أيضا أنه لا يمكن في عام ١٩٣٩ تحديد صيغة تشريعية متصلبة تناسب السنوات القادمة، لأن مثل هذه الصيغة ستتعارض، وبشكل تام، مع الطابع الديناميكي للتطورات في (أرض-إسرائيل).

ولو افترضنا أن وايزمان كان يأمل في أن تجري المفاوضات بنفس الأجواء، التي جرت فيها محادثاته مع فيصل، فلا شك في أن رد علي ماهر، قد حطم تلك الآمال. لقد أراد ماهر، الفصل التام بين مسألة (أرض-إسرائيل)، والضائقة التي يعيشها اليهود في أوروبا، وزعم بأن (أرض-إسرائيل) أرض عربية، وأن العرب سيكونون مستعدين، في أحسن الأحوال، للموافقة على بقاء المستوطنات اليهودية القائمة في المكان، كأقلية، وهذا بالطبع كصدقة، وليس كحق، وقال إن العرب لن يوافقوا على أي تسوية تتصل بوعد بلفور، الذي يعتبر (أرض-إسرائيل) كيانا قوميا للشعب اليهودي، ولن يوافقوا بأي شكل من الأشكال، على هجرة يهودية أخرى، تزعزع مكانة الأغلبية العربية.

ولم يكن بإمكان الوفد اليهودي بالطبع، الموافقة على الفصل المصطنع الزائف بين مسألة (أرض-إسرائيل) والمسألة اليهودية، ولقد اختتم الجلسة وزير الخارجية السعودي، بقوله: "إنه إذا قامت دولة مستقلة، فإنها ستقرر استئناف الهجرة"، فيما قال وايزمان (الذي لم يجد طلبه أذنا عربية صاغية):- "عليكم أن تأخذوا الواقع بعين الاعتبار-فالهجرة بالنسبة لنا، المبدأ والأساس، ودون ذلك لن يكون هناك أي اتفاق".

وعلى الرغم من غياب أي بادرة للاتفاق، إلا أن الأجواء كانت مريحة وودية، وما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام، أن الاجتماعات الرسمية التي عقدت بين الوفود العربية واليهودية بعد عام ١٩٣٩، لم تعرف مثل هذه الأجواء، فقد عقد الاجتماع الثاني غداة اليوم التالي، وكان قصيرا جدا وضبابيا، وبدا أن الكرة انتقلت إلى ملعب الحكومة البريطانية، ووجد الوفد اليهودي نفسه في موقف الدفاع، ولقد كتب شيريت في يومياته يقول: "لقد انهارت التروس التي كنا نحتمي بها وكأنها لم تكن، لقد وجدنا أنفسنا، وجها لوجه، أمام خطر دولة عربية، وتخفيف للهجرة، وصولا إلى وقفها بشكل كامل".

في السابع من آذار عقد الاجتماع الأخير بين الوفود، ولقد حاول وايزمان وبن غوريون الحيلولة دون وقوع كارثة من خلال اقتراحات صهيونية معتدلة.

وأوضح بن غوريون للعرب، أنهم لا يملكون القدرة على إقامة دولة عربية رغم إرادة اليهود، وأن الصهيونية لا تستطيع، من جانب آخر، جلب المهاجرين إلى (أرض-إسرائيل) دون موافقة البريطانيين، لذلك، فإن مصير اليهود الذين ينبغي أن يهاجروا إلى (أرض-إسرائيل) يعتبر المسألة الحقيقية المدرجة على جدول الأعمال، ولن يكون هناك أي اتفاق دون اعتراف عربي بالحق في الهجرة، بيد أن علي ماهر، وجد التشجيع في موقف بريطانيا، وأعرب عن موقفه، بأنه ينبغي على اليهود القبول بحكم الواقع، "وعدم الإصرار على تحقيق حلم داعب مخيلة أحدهم".

وأكد ماهر ثانية على الموقف العربي القائل أن (أرض-إسرائيل)، ستكون دولة عربية، وسيسمح للأربعمائة ألف يهودي، الذين دخلوا إليها، بالبقاء فيها صدفة، كأقلية ذات حكم ذاتي، ولقد حاول بن غوريون طرح اقتراح صهيوني كان طرح سابقا، وينص على تحويل (أرض-إسرائيل) إلى دولة يهودية كجزء من فدرالية

عربية، بحيث يشعر العرب المقيمون فيها أنفسهم ليس كأقلية، بل كجزء من الشعب العربي الكبير. وقد كان الرد العربي : "أنه سيكون بالإمكان استئناف المفاوضات، "فقط إذا كانت الصهيونية مستعدة لوقف الهجرة أو تقييدها حسب اعتبارات سياسية".

اكتشف الوفد اليهودي بأنه في ظل موقف الضعف والظروف السياسية الصعبة، لا يمكن أن تتمخض الاقتراحات المعتدلة عن تنازلات من جانب العرب، فبريطانيا أعلنت من جانبها، في الثالث عشر من آذار، خطتها التي تنص على إقامة دولة عربية، في غضون عشر سنوات، وفرض قيود متشددة على الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني ولم يجد نفعا استعداد الصهيونية للقبول بالحد الأدنى من الاقتراحات كاستمرار الانتداب وتحجيم الهجرة-إلى حد يمكن القبول به-خلال السنوات القادمة، أضف إلى ذلك أن العرب تشددوا في مواقفهم، فيما كانت بريطانيا تسعى بحثا عن حل يتلاءم مع ما تقتضيه مصالحها، لذلك، لم يجد الاستعداد الصهيوني للمصالحة والاقتراحات التي طرحت بهذه الروحية، مكانا لها.

مئات الآلاف المشردين و (١٨) ألف تصريح هجرة:

أحدثت الحرب العالمية الثانية تغييرا مأساويا للواقع الذي عملت الحركة الصهيونية فيه، ولقد كان الهدف القومي الصهيوني آنذاك، متمثلا في خطة (بلتمور) التي صيغت في أيار ١٩٤٢، وتحدثت عن فتح أبواب (أرض-إسرائيل) أمام الهجرة اليهودية، تكليف الوكالة اليهودية بالسيطرة على الهجرة إلى (أرض-إسرائيل)، تأسيس (كومنولث) يهودي في "(أرض-إسرائيل) الغربية"، ينخرط في إطار البنية الديمقراطية الجديدة للعالم، لكن قبل انتهاء الحرب، كشف النقاب عن الحقيقة المرة

لمقتل ملايين اليهود في أوروبا، على أيدي النازيين، وتشرد مئات الألوف في شتى أنحاء أوروبا.

وهنا، أصبحت الهجرة، بعد عام ١٩٤٥، قضية إنسانية مريرة ومؤلمة، بعد أن كانت القضية الأهم قبل نشوب الحرب.

بعد جدل داخلي عميق، قررت إدارة الوكالة اليهودية في آب ١٩٤٦، في مقرها بباريس، الموافقة على (تصفية) الانتداب، وتجديد فكرة التقسيم التي طرحت عام ١٩٣٧، وقالت في بيان أصدرته آنذاك: "إن الوكالة اليهودية مستعدة لمناقشة الاقتراح الخاص بإقامة دولة يهودية دائمة في منطقة كافية من (أرض-إسرائيل)، بيد أن هذا الاقتراح، أثار خلافات مبدئية وتكتيكية.

فقد اعتقد رافضو الفكرة، على الصعيد التكتيكي، إن طرح الحركة الصهيونية لفكرة التقسيم، يعني التنازل عن خطة (بلتمور) وإضعاف الموقف الصهيوني، أما مؤيدوها، فقد ظنوا أن طرح الحركة الصهيونية لاقتراح التقسيم، سيزيل الجمود السياسي، وسيسمح بتركيز العمل السياسي والدبلوماسي على خطة سيكون بالإمكان إنجازها (في الوقت الذي اعتبرت فيه خطة بلتمور (طوبائية) وغير واقعية).

وجدت الحركة الصهيونية نفسها في أعقاب الكارثة النازية، شبه عاجزة، إذ لم يكن البريطانيون مستعدين للسماح بهجرة تزيد على ١٨,٠٠٠ يهودي سنويا، وفي ظل صعوبة الحصول على تصاريح هجرة، لم يكن بمقدور الحركة قطعا، المبادرة لطرح ودفع حلول شاملة (للمسألة اليهودية) وللقضية العربية بوجه عام، أضف إلى ذلك، تشديد المواقف العربية بعد عام ١٩٤٥، في ظل تأسيس الجامعة العربية التي أيدت منح الاستقلال السياسي التام لدولة عربية داخل (أرض-إسرائيل)، ومثل هذا

القرار استدعى تجنيدا عربيا شاملا، لأن العرب المقيمين في (أرض-إسرائيل)، كانوا على الدوام، خصما غير كفء للمجتمع اليهودي، لذلك، عادت أزمة ١٩٣٦ للظهور ثانية عام ١٩٤٧، واضطر العرب في (أرض-إسرائيل) لطلب مساعدة الدول العربية، مما جعلهم جانبا غير نشط في الصراع.

موقف الجامعة العربية:

في تشرين الثاني ١٩٤٥، صاغ مجلس الجامعة العربية في مقره بالقاهرة المطالب العربية الثلاثة:

*منح الاستقلال لفلسطين وتحويلها إلى دولة عربية-فلسطينية.

*وقف الهجرة اليهودية.

*مصادرة حق لجنة التحقيق الإنجلو-أمريكية في التحقيق بإمكانيات هجرة-يهودية.

وفي حزيران ١٩٤٦، عقد مجلس الجامعة العربية جلسة خاصة في بلودان، حدد خلالها نموذجا لدولة "فلسطينية-ديمقراطية"، طرحه العرب في مؤتمر لندن الثاني-المؤتمر الذي عقدته حكومة بريطانيا في أيلول وكانون الأول ١٩٤٦، ومرة ثانية في كانون الثاني وشباط ١٩٤٧، وكان دستور الدولة المستقلة التي ستقوم مستقبلا، حسب الخطة العربية، يستند إلى المبادئ التالية:

١-ستكون فلسطين دولة موحدة.

٢-سيكون لها دستور ديمقراطي وسلطة تشريعية منتخبة.

٣-المشاركة في الدفاع عن الأماكن المقدسة.

٤-حرية أداء الشعائر الدينية، حسب الوضع القائم في عهد الانتداب.

٥-لن يتم منح حق المواطنة لمن تقل سنوات إقامتهم في فلسطين عن عشر سنوات، في حين ستمنح المواطنة الكاملة، فقط لهؤلاء الذين خضعوا لحكم الانتداب حتى أيار ١٩٣٩، أما الذين تجنسوا بعد ذلك، فسيشترط منحهم حق المواطنة بالإقامة في فلسطين مدة عشر سنوات.

٦-لن يزيد عدد النواب اليهود في مجلس النواب، بأي شكل من الأشكال، عن ثلث مجموع النواب، وستعكس تركيبة مجلس النواب نفسها نسبيا على تركيبة الحكومة والإدارة الحكومية.

٧-سيحظر دخول اليهود إلى فلسطين بشكل تام، وستبقى القيود التي فرضتها حكومة الانتداب على بيع الأراضي سارية المفعول، إلا إذا صدر قانون يحتم تغيير ذلك، علما بأن إنجاح قانون من هذا النوع، يستلزم موافقة العرب في فلسطين.

أرسلت الحركة الصهيونية ممثليها إلى لندن في عام ١٩٤٦-١٩٤٧، ليعربوا عن استعدادها لتقسيم (أرض-إسرائيل)، أما العرب فقد طرحوا في لندن خطتهم القديمة، التي كانت، هذه المرة، أكثر تفصيلا، والتي تنص على تحويل (أرض-إسرائيل) إلى دولة فلسطينية، تمنح الأكثرية العربية السيطرة الكاملة والتامة على كل

ما يجري في (أرض-إسرائيل)، وتمنحها خيارات بعيدة المدة لتصفية الاستيطان اليهودي.

وخلال النقاشات التي جرت في عصبة الأمم المتحدة من أيلول وحتى تشرين الثاني ١٩٤٧، طرح ممثلو الدول العربية واللجنة العربية العليا نفس الخطة، التي تقول "إن العرب سيعارضون وبشدة أي هجرة جديدة...". بيد أن الصهيونية والاستيطان اليهودي، لم يكونا مستعدين للموافقة على هذه الخطة، حتى قبل الحرب العالمية الثانية، عندما كان الاستيطان اليهودي في موقف أكثر ضعفا، وهي قطعا لم

تكن لتعتمد كأساس للمفاوضات بعد الحرب، عندما قويت شوكة الاستيطان اليهودي، ورأى زعماؤه أن من الضروري إقامة دولة يهودية سيادية وليس على جزء من (أرض-إسرائيل) فقط.

حرب "الاستقلال" والخطة التي أعقبتها:

في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨، خرجت الدول العربية لخرق خطة التقسيم وتجسيد الخطة العربية من خلال اجتياح عسكري منسق. ولقد كان الاجتياح بمثابة اعتراف بضعف العرب في (أرض-إسرائيل) على الصعيدين السياسي والعسكري.

وفي حقيقة الأمر، كان العنصر العربي أضعف من أن يكون جانبا في أي مفاوضات هادفة، وأضعف من أن يلعب دورا فاعلا في الحرب.

كان هدف إسرائيل في حرب "الاستقلال"، صد الهجوم العربي، والسعي لتسوية مع عناصر عربية للتخفيف من حدة نشاطاتها الحربية. ولقد لعبت المملكة الهاشمية في إطار هذه الاستراتيجية دورا مركزيا، لأن الملك عبد اللـه كان الزعيم العربي الأكثر واقعية، ولأنه كان قائدا على أفضل الجيوش العربية، ومواقفه لاقت استحسانا كبيرا داخل (أرض-إسرائيل).

لكن، رغم واقعيته وأهدافه المحددة، لم يكن يستطيع عزل نفسه عن الحرب التي تخوضها الدول العربية الأخرى.

أعادت حرب الاستقلال مجددا تحديد الأهداف القومية لليهود والعرب بشروط مختلفة تماما، كان الهدف القومي لدولة إسرائيل، ضمان وجودها السيادي على الحدود التي وضعتها الحرب، أما هدف العرب، فقد ظل منحصرا في إطار الرغبة في تدمير السيادة الإسرائيلية، التي تجسدت في أعقاب الحرب، والتي سعوا قبل ذلك للحيلولة دون تحقيقها، لكن الوضع الجديد كان مختلفا تماما عما كان عليه قبل الرابع

عشر من أيار ١٩٤٨، فهم لا يواجهون مجتمعا استيطانيا وحركة صهيونية، بل دولة يهودية سيادية، أقيمت كرد قاطع على المحاولات التي برزت في الجمعية العمومية للأمم المتحدة التراجع عن خطة التقسيم ومواصلة مناقشة مستقبل الحكم في (أرض-إسرائيل).

ونظرا لأن المراحل الأولى للحرب أثبتت عدم قدرة الجيوش العربية على تصفية دولة إسرائيل السيادية، ركزت الدول العربية جهودها السياسية في محاولة لإلغاء الإنجازات العسكرية للدولة اليهودية بهدف إعادتها إلى حدود التقسيم الضيقة.

كان الأساس السياسي لهذه المحاولة مرتبطا بحقيقة تحديد خارطة التقسيم، وفق قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، وعليه أصبحت الجمعية العمومية جانبا معنيا، وطرفا في الصراع، فكلفت الكونت السويدي (فولكا برنادوت) بالوساطة بين طرفي الصراع، ولقد كان (برنادوت) الوسيط الأول، الذي ظهر على ساحة الشرق الأوسط، والذي يمثل مصالح المجتمع الدولي، مثلما عبرت عنها الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وكنتيجة لكل ذلك، لم يكن بمقدور (برنادوت) إعادة العجلة إلى ما قبل أيار ١٩٤٨. وكان من الضروري أن تكون اقتراحاته للتسوية مرتبطة، ومنذ البداية، بالاعتراف بوجود دولة يهودية سيادية في (أرض-إسرائيل)، ومن هنا أقترح إعادة رسم خارطة الحدود وفرض قيود مختلفة على السيادة الإسرائيلية.

بدأت محاولات (برنادوت) للوساطة في حزيران ١٩٤٨، عندما اتضح للدول العربية أن الحرب توشك على الانتهاء، وأنها ستكون الطرف الخاسر فيها، بيد أن

حكومة إسرائيل-الحكومة المؤقتة آنذاك-رفضت الدخول في مفاوضات، تفرض قيودا على سيادتها.

ويجدر بنا أن نشير هنا، إلى أن السيادة الإسرائيلية لم تكن آنذاك قد حظيت بعد بالقبول كحقيقة واقعة مسلم بها، وقبل أن يتم القبول بإسرائيل كعضو في الأمم المتحدة، جرت نزاعات اتخذت طابعا رسميا في مجلس الأمن الدولي، فعندما توجه رئيس المجلس، ممثل أوكرانيا، إلى ممثل إسرائيل (آبا ايبان) واصفا إياه "بممثل دولة

إسرائيل"، أثار موجة احتجاج شديدة لدى الممثلين العرب وممثلي الدول الأخرى، الأمر الذي حدا بالممثل السوفياتي (اندريه جروميكو) لطرح القضية للتصويت، واكتسب اسم "دولة إسرائيل"، في نهاية المطاف طابعا دوليا رسميا.

في الخامس عشر من أيلول ١٩٤٨، قدم الكونت (برنادوت) للأمين العام للأمم المتحدة، خطة جديدة لحل قضية (أرض-إسرائيل)، استندت إلى الأسس التالية:-

١-إقامة سلام ووقف الأعمال العدائية.

٢-اعتراف العرب باستقلال وسيادة "دولة-إسرائيل".

٣-إمكانية إحداث تغييرات في خارطة التقسيم التي وضعت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧.

٤-ضمان حق اللاجئين العرب الراغبين في العودة إلى أماكن سكناهم في "دولة إسرائيل"، ودفع تعويضات لمن لا يرغبون في العودة (قدر برنادوت عدد اللاجئين بـ ٤٦٠.٠٠٠ لاجئ).

٥-تسوية منفصلة لقضية القدس.

٦-تقديم ضمانات دولية للحدود التي سيتم تحديدها في المفاوضات.

بيد أن (برنادوت) نفسه، لم يعلق آمالا كبيرة على الخطة، لذلك طرح خطة بديلة لترسيم حدود (دولة إسرائيل)، واقترح إعادة النقب، جنوب خط المجدل-الفالوجة، الرملة واللد للعرب، على أن يتم في المقابل ضم الجليل إلى مناطق الدولة اليهودية، وحسب خطته كان يفترض أن يبقى ميناء حيفا، المصافي الموجودة في خليج حيفا ومطار اللد، كمناطق حرة مفتوحة أمام الدول العربية التي ستكون معنية بها. واقترح الوسيط في مجمل اقتراحاته، أن يتم تدويل مدينة القدس.

قررت حكومة إسرائيل رفض خطة (برنادوت)، الذي قتل في تلك الأثناء على أيدي عناصر يهودية متطرفة في القدس، بعد أن اقترح استبدال قرار التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، بقرار دولي جديد، فقد كانت إسرائيل ترى أن ذلك القرار، يعتبر، من ناحية دولية، الأساس القانوني لإقامة الدولة، بيد أن الخطوط الحدودية التي رسمت فيها، ليست بالأمر المقدس.

كانت إسرائيل تفرق بين مبدأ التقسيم وحدود التقسيم، وفي عام ١٩٤٧، قبلت الحركة الصهيونية باقتراح التقسيم كحد أخير للتنازلات، بيد أن العرب لم يحترموا هذا المبدأ، وبما أن التقسيم لم يتجسد على شكل اتفاق وتسوية سلمية، طالبت إسرائيل بتعديلات حيوية على حدود التاسع والعشرين من تشرين الثاني.

لقد رفض العرب خطة (برنادوت) جملة وتفصيلا، لأنها كانت تلزمهم بالاعتراف بإسرائيل، ولم يكن هناك شيء آخر سوى تلك الانتصارات الحاسمة للجيش الإسرائيلي على مختلف الجبهات-لا سيما الجبهة الجنوبية-التي تمخضت عن المحاولات الأولى من جانب مصر للتوصل إلى هدنة.

حدود الهدنة:

جرت محادثات الهدنة في إطار سلسلة من اللقاءات المنفصلة بين ممثلين عن دولة إسرائيل، وكل واحدة من الدول العربية، بوساطة ممثل الأمم المتحدة، الدكتور (رولف بانتش)، وكانت تلك اللقاءات، الأولى من نوعها، التي جمعت بين الممثلين العرب واليهود تحت سقف واحد (في قصر الورود في جزيرة رودوس اليونانية)، منذ محادثات لندن ١٩٣٩.

جرى اللقاء الأول في الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٤٩ وجمع بين إسرائيل ومصر، ولقد وقع الاتفاق بين الجانبين في الرابع والعشرين من شباط.

كان الاتفاق يقوم على مبدأ منح صفة رسمية سياسية للحدود التي تم ترسيمها عقب الحرب وعقب انسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء. بيد أن اتفاق الهدنة لم يكن اتفاقا ذا طابع عسكري فقط، ولقد كان البند الثاني منه ينص على اعتبار هذا الاتفاق، بمثابة خطوة أولى على طريق تسوية سلمية، ومما جاء فيه:-

"لن يعتبر الخط الحدودي للهدنة، بأي شكل من الأشكال، حدودا سياسية أو إقليمية، ولقد تم التوقيع عليه دون إلحاق الأذى بحقوق أو مطالب أو مواقف أي طرف من الأطراف في كل ما يتعلق بحل قضية (أرض-إسرائيل)". ولقد تم التأكيد على أن التسوية النهائية لقضية (أرض-إسرائيل) ستنجز، في إطار اتفاق سلام، وأن محاولة مصر منع حرية الحركة في قناة السويس، لا تنسجم مع الاتفاق.

في الثالث والعشرين من آذار، وقع اتفاق الهدنة مع لبنان، بعد أن وافقت إسرائيل على إخلاء أربع عشرة قرية في جنوب لبنان. وفي الثالث من نيسان، وقع اتفاق الهدنة مع إمارة شرق الأردن، بيد أن المحادثات الحقيقية مع إمارة شرق الأردن، لم

تجر في (جزيرة رودوس) بل في إطار مفاوضات مباشرة ومتواصلة مع الملك عبد الـلـه في الفترة الواقعة ما بين تشرين الثاني ١٩٤٨ وآذار ١٩٤٩.

وقد كان الممثلون الإسرائيليون يجتازون الحدود سرا إلى قصر الملك في الشونة، وكانت المحادثات تستغرق الليل كله وتنتهي مع الفجر.

شعر الممثلون الإسرائيليون خلال المحادثات، إن الملك عبد الـلـه يتبنّى سياسات حقيقية يمكن أن تتمخض عن تسوية سياسية شاملة بين إسرائيل وإمارة شرق الأردن، وبهدف التوصل إلى اتفاق مع الأمير عبد الـلـه، وافقت إسرائيل على تبادل مناطق تم احتلالها أثناء الحرب.

توقفت الاتصالات مع الأردن، عقب اغتيال الملك عبد الـلـه في العشرين من تموز ١٩٥١، وقد عمد الأردنيون إلى خرق أغلب بنود الاتفاق (بما في ذلك الحركة على طريق اللطرون-القدس، استئناف العمل النظامي للجامعة ومستشفى جبل المراقبين، وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة في القدس).

في العشرين من تموز ١٩٤٩، وقع اتفاق الهدنة مع سوريا بعد جدل طويل، انتهى بنزع السلاح من عدد من المناطق الحدودية، وقد تسببت اتفاقات نزع السلاح بعد ذلك في نشوب خلافات وحدوث أعمال عدائية من جانب السوريين، الذين عارضوا النشاطات المدنية في المناطق منزوعة السلاح-خلافا لما تم الاتفاق عليه.



الفصل الحادي عشر

-شخصيات صهيونية...بصمات على التاريخ-

ثيودور هرتسل:

هو بنيامين زئيف (ثيودور) هرتسل، الذي تنبأ بقيام (الدولة اليهودية) ولد في بودابست عام ١٨٦٠. أسس الحركة الصهيونية السياسية، وأنشأ الهستدروت الصهيوني العالمي، وكان رئيسه الأول في الفترة ما بين عامي ١٨٦٠-١٩٠٤.

درس هرتسل في بودابست، دون أن يتلقى شيئا حول التقاليد اليهودية، ثم انتقل عام ١٨٧٨، للعيش في فينا، وأنهى هناك دراساته في مجال الحقوق، وقد مارس مهنته فترة قصيرة، ثم اتجه للكتابة، وعمل مراسلا لصحيفة (نويع بريع برعسيع) النمساوية اليومية، وكان محرر صفحة المقالات الاجتماعية والأدبية، في الصحيفة.

بدأت الصحوة اليهودية داخل (هرتسل)، في مقتبل العمر، وقد كافح من أجل إيجاد حل للمسألة اليهودية، مستخدما في سبيل ذلك، شتى الوسائل الإعلامية وغيرها، لكن كان لمحاكمة درايفوس، أكبر الأثر في نفسه، وأحدثت داخله "أزمة يهودية" عميقة، وولدت معها بدايات كتابه (الدولة اليهودية).

عقد هرتسل المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، وكان بمثابة أول منبر علني، ليس فقط للحركة الصهيونية، بل لليهودية العالمية أيضا. وفي تشرين أول ١٨٩٨، زار أرض-إسرائيل، ضمن الوفد الذي رافق القيصر الألماني، وليم الثاني، الذي كان يتطلع إلى تعميق فعالية الدور الألماني في الشرق، وقد

ظن هرتسل أن التقاءه بالقيصر الألماني، على أرض-إسرائيل، قد يسهل عليه تحقيق حلمه بإقامة مجتمع يهودي يحظى بـ "أرض-إسرائيل"، تحت وصاية ألمانية. غير أن الرياح جرت بما لا يشتهي، وسرعان ما انتهت الزيارة، بجولة في الموشافات وأنحاء القدس.

وعقد المؤتمر الصهيوني الثاني عام ١٨٩٨، وتم خلاله وضع أسس إنشاء البنك الصهيوني، تلاه المؤتمر الثالث عام ١٨٩٩، الذي أعلن (هرتسل) خلاله طبيعة الجهود الدبلوماسية التي يقوم بها على هذا المسار.

ثم عقد المؤتمر الرابع في لندن، عام ١٩٠٠، على خلفية مطاردة يهود رومانيا.

وفي عام ١٩٠١ عقد المؤتمر الخامس في بازل، حيث تم خلاله إنشاء (الصندوق القومي الإسرائيلي)، بمبادرة (تسفي هرمان شبيرا)، وبتشجيع من هرتسل نفسه، وعقد المؤتمر السادس في بازل أيضا عام ١٩٠٣،وقد طرحت في إطاره خطة الاستيطان في أوغندا (أفريقيا الشرقية)، حيث حظيت بتأييد هرتسل، كخطة إنقاذ مؤقتة، إلى أن يتسنى تحقيق الاستيطان الكبير على "أرض-إسرائيل"، لكنها لقيت في الوقت نفسه، معارضة شديدة من جهات أخرى. ومع ذلك، تقرر في نهاية المطاف، إرسال طاقم تحقيق إلى أوغندا.

في تلك الأثناء، فارق هرتسل الحياة، وأسدل الستار على هذا الاقتراح.

ومع تأسيس دولة إسرائيل، تم نقل رفاته عام (١٩٤٩)، إلى (جبل هرتسل) في القدس.

تنوعت كتابات هرتسل بين المقالات الأدبية والاجتماعية، المسرحيات، الأدب السياسي الاجتماعي اليهودي الصهيوني (الذي برز بشكل خاص في صحيفة

(فعلط) عام ١٨٩٦، التي ظلت حتى عام ١٩١٤ الصحيفة الرسمية الرئيسة، الناطقة بلسان الهستدروت الصهيوني)، الرسائل التي نشرت في مجموعة من المؤلفات، باللغتين الألمانية والعبرية، غير أن رواية (التنويلند)، التي تحدث فيها عن دولة نموذجية فاضلة، وأراد من خلالها تجسيد خطته السياسية في "أرض-إسرائيل"، بطابع قصصي، انفردت بمركز أدبي مرموق بين مؤلفاته،وقد قام ناحوم سوكولوب، بترجمتها من الألمانية إلى العبرية، وأطلق عليها اسم رواية (تل أبيب)، قبل قيام مدينة تل أبيب الحالية، وقد كتب في مقدمتها يقول: "من فضلكم، إنها ليست أسطورة".

يهودا ليف ليئون بينسكر:

الأيديولوجي الأول لحركة (محبة صهيون) في روسيا، وأول من ترأسها في الفترة ما بين عامي ١٨٨٤-١٨٨٩ ولد في مقاطعة (تومشوف) في بولندا عام ١٨٢١، وتعلم في مدينة (أوديسا) الروسية، حيث أنهى فيها دراساته في مجال الحقوق، ثم عمل في مجال التدريس في (كيشينيف).

بعد ذلك، تخصص في علم الطب، وأنهى دراساته في جامعة (موسكو) عام ١٨٤٨، ثم عمل في المستشفى المدني في (أوديسا) حتى وفاته.

كان بينسكر مطلعا على هموم وحاجات اليهود في (أوديسا)، و (روسيا)، وقد تناولها في كتاباته السياسية، الاجتماعية، التي نشرها في الصحف اليهودية الصادرة في روسيا، ومن أهم القضايا التي ناقشها، مطالبة السلطات الروسية بمنح اليهود، حقوقا مساوية للشعب الروسي، ومطالبة اليهود بتطوير ثقافاتهم، ليسهل تقاربهم مع الشعب الروسي.

وعندما حدثت المجازر في روسيا، مطلع الثمانينات من القرن الماضي، أدرك أن الثقافة لن تكفي لتحسين وضع اليهود، وأن الشعور بالغربة وسط المحيط غير اليهودي، سيبقى ملازما لهم، فرأى أن الحل الوحيد، يكمن في اقتلاعهم من أرض المهجر، وزرعهم في أرض تكون ملكا لهم.

ولقد ضمن بينسكر أفكاره تلك في كتابه (الأوتومنسيفتسيا)، الذي حرص على أن لا يقرنه باسمه، بادئ الأمر، والذي تمخض فيما بعد، عن نشوء حركة "محبة صهيون" في روسيا، وقد تركت آراؤه انطباعا قويا في روسيا، ووسط جميع اليهود في شتى أنحاء العالم.

توفي بينسكر عام ١٨٩١، وتم نقل رفاته إلى إسرائيل عام ١٩٣٤، ودفنت في مغارة "فيكنور" على (هار هتسوفيم-جبل المراقبين) في القدس.

يهودا القلعي:

حاخام إسباني، من أوائل المبشرين بحركة "محبة صهيون"، ولد عام ١٧٩٨ في سراييفو، وهاجر في طفولته إلى القدس وتعلم فيها، ثم غادر إسرائيل، وعمل منذ عام ١٨٢٥، وحتى هجرته الثانية عام ١٨٧٤، كحاخام للجالية الإسبانية في زملين (في يوغسلافيا السابقة) وكمدرس، للغة العبرية، وقد ألف أول كتبه (الأساليب السهلة) عام ١٨٣٩، حيث وضع فيه أسس تعليم اللغة العبرية، وتحدث من خلاله عن الفكرة التي كرسها في جميع كتبه ومقالاته، بأن مصطلح "العودة" لا يعني إلا العودة إلى "أرض-إسرائيل". نشر في حياته كتيبات لحاخامات سابقين، وأضفى عليها تحليلات صوفية.

كان القلعي متمسكا بموقفه القائل، "إن خلاص إسرائيل، بيد الإنسان، لذلك، فهو يسبق الخلاص الإلهي"، وقد رفض النظرية الأرثوذكسية الشائعة آنذاك،

والتي "تقول إن على شعب إسرائيل انتظار الخلاص الإلهي" ونصح بتبني موقف عملي، وقد انضم إليه فيما بعد الحاخامات كليشر، فريدلند وغيرهما، الذين عملوا بأسلوب يختلف تماما عن معظم الحاخامات آنذاك.

كان القلعي يرى في شخص المسيح بن يوسف، رمزا للخلاص الطبيعي والعملي، الذي يعتبره شرطا يجب أن يسبق الخلاص الإلهي، الذي سيكون على يد المسيح بن داود، ومع ذلك تشبث بكل خطة لتوطين اليهود في "أرض-إسرائيل" وعلق آمالا على رابطة: "كل إسرائيل أصدقاء".

يقول المؤرخ، يعكوف كاتس، "إن الحركة الصهيونية، لم تبدأ بهرتسل وبينسكر، فقد سبقهما مفكرون وصناع، طرحوا أفكارا من هذا القبيل. وقد كان من بين المبشرين بالصهيونية، الذين اعتبروا شاذين في الوسط اليهودي، الحاخام تسفي اليسار، الحاخام يهودا القلعي، وموشيه هس، الذي ولد في ألمانيا، وأمضى حياته في الترحال بين إنجلترا وفرنسا، التي توفي فيها.

وحسب اعتقاد كاتس، فإن العامل المشترك بين كل هؤلاء، أنهم غير معنيين بنقل يهود الغرب إلى "أرض-إسرائيل"، بل يطمحون إلى تشجيع هجرة اليهود من تلك الدول التي حرموا فيها من المساواة في الحقوق، إلى "أرض-إسرائيل"، التي كانوا واثقين من أنه ستقوم فيها أمة تفاخر الشعوب.

آرثر جيمس بلفور:

صهيوني مسيحي بريطاني، ولد عام ١٨٤٨ وتوفي عام١٩٣٠، شغل منصب رئيس حكومة بريطانيا في الفترة ما بين عامي ١٩٠٢-١٩٠٦ ووزير خارجية في الفترة ما بين ١٩١٦-١٩١٩. انتخب للمرة الأولى، عضوا في البرلمان البريطاني وهو في السادسة والعشرين من عمره، وكان لسنوات عديدة زعيم كتلة المحافظين في البرلمان.

بدأت علاقة بلفور بالمشروع الصهيوني في عامي ١٩٠٢-١٩٠٣، عندما أجرى هرتسل مباحثات مع جوزيف تشمبرلين، وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية واللورد لنسداون، وزير الخارجية آنذاك، بشأن إمكانية الاستيطان اليهودي في شبه جزيرة سيناء، وقد توطدت هذه العلاقة إبان الحرب العالمية الأولى، عندما عين وزير خارجية في حكومة لويد جورج، وبعد مناقشات جرت مع عدد من زعماء الصهيونية في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وعلى رأسهم، حاييم وايزمان، نشر بلفور في الثاني من تشرين ثان١٩١٧، الإعلان الذي أصدرته حكومة بريطانيا، والذي أعربت فيه عن تأييدها تأسيس كيان قومي يهودي على "أرض-إسرائيل".

ظل بلفور نشيطا على الساحة السياسية في بلاده، حتى عام ١٩٢٢، حيث عين مسؤولا رفيعا في جامعة كيمبريدج. وقد زار إسرائيل عام ١٩٢٥، واستقبله اليهود هناك بحفاوة.

آدموند هنري هيتمان-اللنبي:

مارشال بريطاني، ولد عام ١٨٦١ استولى على "أرض-إسرائيل"، من يد الأتراك، خلال الحرب العالمية الأولى، شارك في حرب الغرف المحصنة، وكان قائد الجيش الثالث في فرنسا.

في عام ١٩١٧، شغل منصب القائد الأعلى لسلاح الإنقاذ في مصر، الذي كلف بمحاربة الأتراك في فلسطين، وفي التاسع من كانون أول ١٩١٧، احتل القدس (كهدية للشعب البريطاني في عيد الميلاد)، وبعد مدة قصيرة، دمر سلاح الإنقاذ التركي في مجيدو، وفي الفترة ما بين عامي ١٩١٩-١٩٢٥ كان المندوب السامي في مصر، وقد توفي عام ١٩٣٦.

دافيد بن غوريون:

أول رئيس حكومة (ووزير دفاع) لدولة إسرائيل في الفترة ما بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٣ (باستثناء مدة قصيرة). وقد كان قبل ذلك من أبرز زعماء الحركة الصهيونية والهستدروت.

ولد في بولندا عام ١٨٨٦ وهاجر إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٩٠٦ في إطار الهجرة الثانية، وبدأ العمل في إطار حزب "بوعليه تسيون-عمال صهيون".

في السنوات الأولى لهجرته، عمل بن غوريون في مجال الزراعة في (بيتح تكفا)، (كفار سابا) وسجره، ومنطقة (ياكف) في (ريشون لتسوين). وفي عام ١٩١٠ استدعي للمشاركة في تحرير مجلة "الاتحاد" الناطقة باسم حزب "بوعليه تسيون"، والتي تصدر في القدس، بعد ذلك بعامين توجه إلى استانبول لدراسة الحقوق، انطلاقا من رغبته في الانخراط في النشاطات السياسية في تركيا، باعتباره أحد ممثلي (أرض-إسرائيل)، التي كانت آنذاك جزءا من الإمبراطورية العثمانية.

ومع عودته لقضاء الإجازة في (إسرائيل)، في صيف ١٩١٤، اندلعت الحرب العالمية الأولى،و قام الأتراك بطرده خارج (أرض-إسرائيل) مع زميله في الحزب والدراسة، اسحق بن تسفي، وقد توجها بعد ذلك إلى الولايات المتحدة، حيث عملا في مجال الإعلام، وقاما بنشر كتابين حول قضية (أرض_إسرائيل).

وفي عام ١٩١٧، ركز دافيد بن غوريون جل جهده على تشكيل كتيبة يهودية تخرج للحرب على جبهة (أرض-إسرائيل)، وقد كان أحد أعضاء هذه الحركة التي تشكلت في كندا، ونقلت بعد ذلك إلى (أرض-إسرائيل).

وفي الفترة مابين عامي ١٩١٩-١٩٢٠ عمل بن غوريون في اتحاد حركة (هبوعليم) في (أرض-إسرائيل)، وكان قبل ذلك أحد المبادرين لتشكيل حزب عمال كبير سمي "اتحاد العمل"، وبعد ذلك بعام، قدم جهدا كبيرا لتشكيل الهستدروت.

شغل بن غوريون بين عامي ١٩٢١-١٩٣٥ منصب السكرتير العام للهستدروت، وكان أحد زعماء حزب عمال إسرائيل الذي تشكل عام ١٩٣٠، في أعقاب توحيد حزبي "اتحاد العمل" و "العامل الشاب".

وفي عام ١٩٣٣، انتخب مديرا لإدارة الصهيونية، وبعد ذلك بعامين أصبح رئيسا للإدارة وشغل هذا المنصب حتى قيام الدولة، وقد اعتبر العراب الأول لدولة إسرائيل، وحظي بشرف إعلان قيامها في مراسيم جرت في تل أبيب بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤. وفي عام ١٩٥٣، انضم إلى كيبوتس (ساديه بوكر) في النقب، وعاش فيها إلى أن وافته المنية عام ١٩٧٣.

اسحق بن تسفي:

الرئيس الثاني لدولة إسرائيل في الفترة ما بين عامي (١٩٥٢-١٩٦٣)، وأحد زعماء حركة "هبوعليم-العمال" منذ بداية الهجرة الثانية.

ولد في روسيا عام ١٨٨٤، وعندما كان في الثانية والعشرين من عمره، أسس هناك حزب "بوعليه تسيون-عمال صهيون"، وبعد ذلك بعامين، أي في عام ١٩٠٧، كان أحد نشطاء هذا الحزب، إلى جانب دافيد بن غوريون، وعلى امتداد حوالي خمس سنوات، قبل توجهه لدراسة الحقوق في استانبول، ترك بصماته في شتى أنماط العمل، الدفاع، الثقافة والتعليم.

كان من مؤسسي حركتي "بار جيورا-المؤيدين للتهويد" و "هشومير-الحارس"، ومن مؤسسي صحيفة "الوحدة" وأحد محرريها ومراسليها، كما كان أحد مؤسسي المدرسة الثانوية العبرية الأولى في القدس، ومن أوائل المدرسين فيها.

وعشية الحرب العالمية الأولى، عاد في إجازة إلى (أرض-إسرائيل)، بيد أن الأتراك طردوه ورفيقه دافيد بن غوريون منها مع اندلاع الحرب، فاضطرا بعد ذلك للتوجه إلى الولايات المتحدة الأميركية، واشتركا في نشر كتابي "صلاة الغائب"- في ذكرى الحراس الذين سقطوا على (أرض-إسرائيل)- و "أرض-إسرائيل بين الماضي والحاضر".

وفي عام ١٩١٨ تجند بن تسفي في الكتيبة العبرية التي تشكلت في كندا، ووصل معها بعد ذلك إلى (أرض-إسرائيل)، وإبان الانتداب البريطاني كان أحد رؤساء اللجنة الوطنية ورئيسها التنفيذي في الفترة ما بين عامي ١٩٣١-١٩٤٤، ورئيسها الفخري حتى قيام الدولة.

إلى جانب كل ذلك، عمل بن تسفي في مجال الكتابة والأبحاث، نشر كتبا ومقالات حول ماضي (أرض-إسرائيل) والدول المجاورة لها. وقد توفي عام ١٩٦٣ خلال فترة ولايته الثالثة كرئيس للدولة.



الفصل الثاني عشر

-شخصيات صهيونية...بصمات على التاريخ-

آحاد هعام (أشير هيرش غينتسبيرغ):

كاتب مقالات وفيلسوف صهيوني. ولد عام ١٨٥٦ في مقاطعة (سكفيرا) في أوكرانيا. بدأت اهتماماته بشؤون الصهيونية، بعد أن انتقل للعيش في مقاطعة (أوديسا) عام ١٨٨٤، حيث انضم هناك إلى رابطة "محبة صهيون" بزعامة (بينسكر) و(ليلينبلوم).

عارض (أحاد هعام) منذ البداية، أسلوب الهجرة غير المنظمة، الذي تبنته حركة (محبة صهيون)، وقد وجه انتقاداته، في أول وأهم مقالاته، الذي جاء تحت عنوان "هذه ليست الطريق" عام ١٨٨٩، والذي أثار أصداءا واسعة، وجدلا ساخنا بين زعماء حركة (محبة صهيون) و (أحاد هعام). كان موقف (أحاد هعام) إنه لا ينبغي تحفيز النشاطات الاستيطانية في (أرض-إسرائيل)، إذا لم تكن نوعية الاستيطان مضمونة، وأنه من الضروري أن تسبق العملية الاستيطانية، عملية تثقيف واسعة النطاق.

وبناء على مقالته، أسس رابطة (بني موشيه-أبناء موسى)، التي عملت وبشكل سري، على امتداد ثماني سنوات (١٨٨٩-١٨٩٧)، وركزت جهودها على القضايا اليهودية والإسرائيلية.

تألفت الرابطة من حوالي مائة عضو، كان معظمهم من نشطاء (محبة صهيون) في شرق أوروبا،وقد كانت تدير نشاطاتها عبر سلسلة من المكاتب الصغيرة في أماكن مختلفة، وتمحورت اهتماماتها حول القضايا الاجتماعية، الثقافية والتربوية، مثل تحسين مستوى التعليم اليهودي في روسيا، تأسيس مدرسة عبرية في يافا، تأسيس دار لنشر الكتب وإصدار مجلة "هشيلوح" الشهرية.

وقد أسهمت زيارات (أحاد هعام) (الأرض-إسرائيل) في عامي ١٨٩١، ١٨٩٣، في تعزيز وتقوية انتقاداته لأشكال الاستيطان اليهودي، وقد عبر عن انتقاداته في مقالتين نشرهما تحت عنوان "حقيقة من (أرض-إسرائيل) و (حقيقة ثانية)".

وفي عام ١٨٩٦، تدهورت أوضاعه الاقتصادية (مع فشل مصنع الزيوت الذي يمتلكه)، وانتقل للعيش في وارسو ثم انتقل إلى برلين، حيث أسس مجلة "هشيلوح"، وعمل محررا لها حتى عام ١٩٠٢.

وحول موقفه من وعد بلفور، لم يكن (أحاد هعام)، متحمسا أكثر من اللازم، وتوقع الصعوبات التي اعترضت فعلا، طريق تحقيق الحلم الصهيوني، نظرا لعدم تهيئة وتأهيل الشعب اليهودي، وبسبب القضية العربية.

وفي عام ١٩٢٢، انتقل (أحاد هعام) للعيش في تل أبيب، وقد داهمه المرض، وتوفي عام ١٩٢٧.

ابراهام اسحق كوك:

ولد في لاتفيا عام ١٨٦٥، درس في المدرسة الدينية (ولوجين)، وهناك بدأ مسيرة التقرب من حركة (محبة صهيون)، عمل حاخاما في أماكن مختلفة في لاتفيا ولتوانيا.

عرف (كوك) بمؤلفاته العديدة، باعتباره شخصية ضليعة في تعاليم التوراة. كما عرف مفكرا فذا في القضايا القومية اليهودية، وقد أعرب من خلال المجلة الدينية المناهضة للصهيونية (بيلس)، عن تأييده لحركة (محبة صهيون)، وللاستيطان في (أرض-إسرائيل).

هاجر (كوك) إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٩٠٤، وسرعان ما اندمج مع المستوطنين الجدد، وأقام علاقات مع أوساط مختلفة، أراد (كوك) تجسير الهوة بين المستوطنين العلمانيين والتعاليم الدينية، وقد أبدى طيلة أيام حياته تعاطفا وميلا نحو طلائع المهاجرين إلى (أرض-إسرائيل)، رغم ابتعادهم عن تعاليم الدين.

عاش (كوك) خلال سنوات الحرب العالمية الأولى في الخارج، ولا سيما في إنجلترا، ومع عودته إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٩١٩، عمل حاخاما للقدس، وبعد عام ١٩٢٣ شغل منصب الحاخام الرئيسي الإشكنازي (لأرض-إسرائيل) حتى عام ١٩٣٥، وكان قبل ذلك قد شغل منصب حاخام الطائفة اليهودية في يافا والمستوطنات (١٩٠٤-١٩١٤) توفي عام ١٩٣٥.

آرثر روبين:

خبير اقتصادي واجتماعي، ولد في روسيا عام ١٨٧٦، وكان في طليعة مؤيدي الاستيطان الصهيوني في (أرض-إسرائيل).

نشر (روبين) عام ١٩٠٤، بحثا اجتماعيا تحت عنوان "اليهود في أيامنا"، وكان ركيزة أساسية لكتابه "التركيبة الاجتماعية لليهود"، الذي صدر عام ١٩٣٠.

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٠٢-١٩٠٧، عمل (روبين) مديرا للمعهد الإحصائي والديموغرافي اليهودي، وأجرى بحثا حول إمكانيات الاستيطان الصهيوني في (أرض-إسرائيل). وفي عام ١٩٠٨، تسلم منصب رئيس المكتب الإسرائيلي

للهستدروت الصهيوني في يافا. وقد تم تأسيس هذا المكتب بهدف الإشارة إلى حدوث تحول في نشاطات الهستدروت الصهيوني، والانتقال من النشاط السياسي إلى العمل الحقيقي في (أرض-إسرائيل).

كانت نشاطات هذه الهيئة في البداية، صغيرة متواضعة، بيد أن روبين الذي عرف بأسلوبه المنهجي، عمل في إطار خطة شاملة،استند فيها إلى أول بحث أجراه، وقد كان من الواضح بالنسبة له، وبصورة لا يتطرق إليها الشك، إن المشروع الصهيوني في (أرض-إسرائيل)، يقوم على نقطتين رئيستين- خلق أغلبية يهودية في (أرض-إسرائيل) وشراء الأراضي، وقد لعب موقف (روبين)، الذي تحدث عن فتح المجال أمام المستوطنين لتحديد أشكال الاستيطان ومساعدتهم قدر المستطاع، دورا مهما جدا في خلق أكبر صور التعاون بين الاستيطان الجديد المتبلور في (أرض-إسرائيل) وبين الإدارة الصهيونية.

وفي عام ١٩١٦ نفي (روبين) إلى استانبول على يد السلطات العسكرية التركية. ثم عاد إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٩٢٠. وخلال فترة رئاسة (وايزمان)، حتى عام ١٩٣١، كان (روبين) عضوا في اللجنة التنفيذية الصهيونية (باستثناء فترة قصيرة في الفترة ما بين عامي ١٩٢٧-١٩٢٨)، ومسؤولا عن المشروع الاستيطاني في (أرض-إسرائيل).

وفي عام ١٩٣٣، عاد (روبين) إلى اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية، وأخذ على عاتقه مهمة تنظيم استيطان المهاجرين من ألمانيا.

شغلت قضية العلاقات مع العرب فكر روبين إلى حد بعيد، ورغم أنه لم يتنبه إلى المشكلة في البداية أبدا، بيد أنه أكد عقب نشوب الحرب العالمية الأولى،على

أهمية البحث عن أي وسيلة ممكنة للاتفاق مع العرب، وهذا يعني ضرورة السعي من أجل التوصل إلى حل يتمثل في دولة ثنائية القومية.

كان (روبين) من بين مؤسسي مجموعة (حلف السلام)، وترأسها في الفترة ما بين عامي (١٩٢٥-١٩٢٩)، كما عمل بروفيسورا في علم الاجتماع وتركيبة اليهود الاجتماعية في الجامعة العبرية بالقدس منذ عام ١٩٢٦-وحتى وفاته عام ١٩٤٣.

يسرائيل بلكيند:

من مؤسسي مجموعة (بيلو)-مجموعة الطلائعيين اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل عام ١٨٨٢ في إطار الهجرة الأولى في تاريخ إسرائيل، والذين اتخذوا لهم شعارا من سفر "أشعيا ٢،٥" وهو: "يا بيت يعقوب هلم لنسلك في طريق الرب"، وأخذوا الحروب الأولى منه فقط.

ولد (بلكيند) في روسيا عام ١٨٦١، وقد تلقى تعليمه العبري من والده (مائير) الذي كان بين طلائع الشباب الذين عملوا على نشر العبرية بين اليهود في روسيا، ومن أبرز الأساتذة في (أرض-إسرائيل) بعد ذلك.

كان بلكيند في طليعة المهاجرين، وكان يعزو أهمية كبيرة للهجرة إلى (أرض-إسرائيل) والعمل فيها، وقد هاجر إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٨٨٢، واستوطن بداية في (ريشون لتسيون). وفي عام ١٨٨٩، انتقل للعيش في يافا، حيث أسس مدرسة لنشر التعليم العبري، وانتقل في عام ١٨٩٢ للتدريس في مدرسة "اليانس" بالقدس.

وبعد حدوث أعمال الشغب في (كيشنييف) عام ١٩٠٣، أسس مدرسة عبرية لتعليم الأيتام الذين فقدوا ذويهم، في تلك الأحداث.

كتب (بلكيند) الكثير من المقالات وألف كتيبات تحدث فيها عن تاريخ شعب إسرائيل، و (أرض-إسرائيل).

مجموعة "بيلو":

اختصار الأحرف العبرية الأولى للشعار الذي اتخذه أعضاء هذه المجموعة من سفر "أشعيا ٢،٥"وهو: "يا بيت يعقوب هلم لنسلك في طريق الرب".

أسس (يسرائيل بلكيند) هذه المجموعة في روسيا، مطلع عام ١٨٨٢، وقد أطلق عليها في البداية اسم "دابيو"، اختصار الأحرف العبرية الأولى لفقرة "تحدث إلى أبناء إسرائيل وسيسافرون، سفر صموئيل ١٢،١٥، بيد أنه غير اسمها بعد فترة قصيرة إلى "بيلو".

وصلت أولى مجموعات بيلو إلى (أرض-إسرائيل) في صيف عام ١٨٨٢، وضمت (١٣) شابا وشابة، أقاموا في منزل عربي خارج يافا، ثم انتقلوا للعيش في القدس، حيث حاول بعضهم البحث عن فرص عمل، فيما حاول البعض الآخر، الانضمام إلى مستوطنة (ريشون لتسيون) الجديدة.

وحتى عام ١٨٨٣، كان في إسرائيل حوالي (٣٠) من أعضاء (بيلو)، عاشوا أوضاعا قاسية، في الوقت الذي تم فيه حل المجموعة في روسيا.

يحيئيل ميخال بينس:

من رواد "الاستيطان الجديد" في أولى سنوات الهجرة الأولى (١٩١٣-١٩٤٢) هاجر إلى (أرض-إسرائيل) من روسيا البيضاء عام ١٨٧٨، وقد قدم العون اللازم للمستوطنات التي أقيمت في بدايات الهجرة الأولى، وكان في طليعة المهاجرين ومن مؤسسي مستوطنة (الجديرة) ، ومدير شؤونها لفترة محدودة، كان أديبا وكرس جهوده في القضايا الفكرية والتعليمية.

مينا شوحط:

"المرأة التي أصبحت أسطورة"، هكذا وصفت (مينا شوحط) المولودة في روسيا عام ١٨٨٠، والتي كانت نشيطة في الحركة الثورية وهاجرت إلى (أرض-إسرائيل) عام ١٩٤٥.

اسمها الحقيقي (مينا بيلبوشنيتس)، كانت من طلائع حركة "هشومير"-الحارس، وعضوا في كيبوتس "كفار جلعادي"، وتزوجت من (إسرائيل شوحط) مؤسس حركة "هشومير"، وفي عام ١٩٢١، توجهت إلى الولايات المتحدة في حملة جمع التبرعات من أجل شراء الأسلحة. وقد شاركت في أحداث ١٩٢١، في الدفاع عن تل أبيب، كانت من بين مؤسسي المنظمة السرية "الكيبوتس"، وعملت بنشاط لسنوات طويلة في مجالات الأمن والحراسة.

بيرل (بئيري) كتسنلسون:

مفكر وزعيم حركة العمل الصهيوني في (أرض-إسرائيل) ولد عام ١٨٨٧ وتوفي عام ١٩٤٤.

تركت هذه الشخصية بصماتها على حياة الاستيطان اليهودي في (أرض-إسرائيل) في مناح ثقافية وأيديولوجية واقتصادية على مدى ٣٥ عاما، ولقد وصفت بألقاب كثيرة بينها "الموجه"، "المرشد الروحي الأكبر" و "الزعيم الروحي لحركة العمل الإسرائيلية".

ولد (كتسنلسون) في روسيا وهاجر إلى (أرض-إسرائيل)، عام ١٩٠٩، عندما كان في الثانية والعشرين من عمره، حيث عمل مزارعا، وقد رفض الانضمام إلى أحزاب العمال التي تأسست خلال الهجرة الثانية، مثل حزب "بوعليه تسيون"-عمال

صهيون، "هبوعيل هتسعير"-العامل الشاب، وفضل البقاء في صفوف غير الحزبيين، الذين طالبوا بتوحيد جميع الأحزاب العمالية.

عمل (كتسنلسون)، سكرتيرا لنقابة، "بوعليه هجليل"- "عمال الجليل الزراعية، وساهم في تأسيس نقابة " بوعليه يهودا"- جنوب "أرض- إسرائيل".

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى، تجند (كتسنلسون) في الكتائب العبرية، وقد بذل في الفترة ما بين عامي ١٩١٩-١٩٢٠جهودا لتوحيد حركة العمال-بداية من خلال تشكيل حزب "وحدة العمل"، ومن ثم تأسيس هستدروت العمال العام. وفي السنوات اللاحقة، كان من زعماء الهستدروت، وحزب عمال (إسرائيل) كان المحرر الأول لصحيفة "دفار" وأسس دار النشر "عام عوفيد وشعب يعمل"، وأسهم في إنشاء "بنك هبوعليم" ومؤسسات مالية أخرى عديدة.

حاييم وايزمان:

كيميائي، ولد في روسيا عام ١٨٧٤ وتوفي عام ١٩٥٢، كان أول رئيس "لدولة إسرائيل"، وزعيم الحركة الصهيونية في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وقد توجه عام ١٨٩٢ للدراسة في ألمانيا، حيث انضم هناك إلى الهيئة الصهيونية للطلبة، التي تأثرت بآراء (أحاد هعام) وجذبها الظهور الكاسح (ليثودور هرتسل).

دعي (وايزمان) لحضور المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧، بيد أنه لم يتمكن من الحضور، وفي عام ١٨٩٨، عقد المؤتمر الصهيوني الثاني وشارك فيه، وسرعان ما تبنى مع زملائه موقفا معارضا لهرتسل.

وخلال الجدل الذي جرى حول خطة أوغندا، تردد (وايزمان) كثيرا قبل أن يبدي معارضته للخطة التي طرحت عام ١٩٠٣. وقد توجه بعد ذلك إلى إنجلترا حيث عرضت عليه وظيفة باحث ومحاضر في جامعة (مينستر) عام ١٩٠٤. وهناك تزوج من زميلة له، وواصل نشاطاته كعضو في اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني، التي انضم إليها عام ١٩٠٥.

وفي المؤتمرات الصهيونية التي عقدت حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، كان (وايزمان) ممثل تيار الصهيونية المركبة التي زاوجت بين الصهيونية السياسية والصهيونية الواقعية. ومع نشوب الحرب العالمية الأولى، كان (وايزمان) على قناعة تامة، ومنذ البداية، بأن مستقبل الصهيونية مرتبط بانتصار بريطانيا وطرد الأتراك من (أرض-إسرائيل)، وكي يفرغ نفسه للعمل السياسي في بريطانيا، أعلن وايزمان تجميد العلاقات مع المراكز الصهيونية في أوروبا، وتمشيا مع ظروف عمله، انتقل للعيش في لندن، ليتسنى له القيام بنشاطاته الصهيونية والدبلوماسية.

وقد انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل تقديرا له على جهوده الكبيرة، التي مهدت الطريق أمام تأسيس "الدولة اليهودية" في (أرض-إسرائيل).

ابراهام مناحيم أوسيشكين:

زعيم صهيوني ولد عام ١٨٦٣ في روسيا، وتوفي عام ١٩٤١. كبر وترعرع وتعلم في موسكو، سمي بالرجل الحديدي للصهيونية ومع اندلاع أحداث عام ١٨٨١ في جنوب روسيا، انضم إلى حركة "محبة صهيون"، وعين سكرتيرا لروابط أعضاء الحركة في روسيا.

أكد (أوسيشكين) منذ البداية أن العمل الصهيوني ينبغي أن يقوم على أساس الاستيطان الزراعي في (أرض-إسرائيل). وفي عام ١٨٨٩ انضم إلى رابطة "بني موشيه"-

أبناء موسى- التي أسّسها (أحاد هعام)، ومع ظهور هرتسل، انضم إليه، رغم تحفظات حركة "محبة صهيون" على الموقف الذي تبنته الصهيونية السياسية التي كان هرتسل يمثلها. وفي الجدل الذي جرى حول "خطة بازل"، أيد (أوسيشكين) إعداد صيغة حذرة لا تثير غضب الحكومة العثمانية.

في عام ١٨٩٨، انتخب (أوسيشكين) عضوا في اللجنة التنفيذية الصهيونية، ولطالما أكد على أهمية الجانب التنظيمي في العمل، وبعد وفاة هرتسل، كان (أوسيشكين) من عرابي تيار "الصهيونية المركبة".

وفي عام ١٩٢٣، استبعد (أوسيشكين) من اللجنة التنفيذية الصهيونية على خلفية معارضته للخطة التي طرحتها الوكالة اليهودية الموسعة، ولسياسات وايزمان الاقتصادية، بيد أنه عين فيما بعد رئيسا للصندوق القومي الإسرائيلي، وشغل هذا المنصب حتى وفاته، وقد توسعت في عهده أراضي الصندوق القومي الإسرائيلي من ٢٢.٠٠٠ دونم إلى ٥٦١.٠٠٠.

اليعازر بن يهودا (بيرلمان):

أديب وعالم نحوي، أحيا اللغة العبرية وقدم الكثير للصحافة العبرية في (أرض-إسرائيل) ولد في لتوانيا عام ١٨٥٨، حيث تلقى تعليمه ودرس التوراة. وقد أثرت فيه الحرب الروسية-التركية وصحوة شعوب البلقان في الفترة ما بين عامي ١٨٧٧-١٨٧٨ إلى حد كبير، وتوصل بعد ذلك إلى قناعة، بأن الوقت قد حان، لإحياء النهضة القومية للشعب اليهودي. وفي عام ١٨٧٨، توجه إلى باريس لدراسة الطب وعاد بعلاقات مع شخصيات مختلفة، وقد توصل إلى نتيجة تقول: إن حركة إحياء النهضة القومية اليهودية، يجب أن تقوم على أساسين: خلق استيطان يهودي جديد في

(أرض-إسرائيل)، يكون كمركز روحي لجميع المهاجر اليهودية (وقد سبق بذلك "أحاد هعام")، وإحياء اللغة العبرية كلغة للشعب اليهودي.

هاجر (بن يهودا) إلى (أرض-إسرائيل) مع زوجته (ديورا) عام ١٨٨١ واستقر في القدس. وقد أخذا على نفسيهما عهدا بعدم التحدث في بيتهما بلغة غير العبرية.

حاول (بن يهودا) بداية الانخراط في الاستيطان القديم في القدس، وقد شكل بعد ذلك، وبالتعاون مع زملائه، رابطة "تحيات يسرائيل"-بعث إسرائيل التي دعت إلى الاستيطان الزراعي، إقامة مجتمع منتج، معارضة تقسيم الأرض، التعليم القومي-العبري وتعليم اللغة العبرية.

عمل (بن يهودا) مدرسا في مدرسة "اليانس" واعتمد اللغة العبرية كلغة أساسية، وفي عام ١٨٨٤ أسس مجلة "هتسفي" الأسبوعية (التي أصبح اسمها فيما بعد "هؤور" و "هشكفا". وقد اضطر بن يهودا إلى خوض مواجهة شديدة مع زعماء الاستيطان القديم، أنصار التقسيم، والذين اتهموه بالتحريض ضد النظام العثماني.

لقد تبنى (بن يهودا) موقفا واقعيا تماما، من وجهة نظر سياسية، وقد أيّد خطة أوغندا، لأنه كان على قناعة بأنها فقط، التي يمكن أن تؤدي إلى إقامة "دولة يهودية"، وبعد ثورة الشبان الأتراك دعا إلى التجنس بالجنسية العثمانية والانخراط التام في المملكة العثمانية الجديدة، ولقد أدت مواقفه تلك إلى عزله في المعسكر الصهيوني، فعكف على استكمال مشروعه اللغوي الضخم، غير أن المنية وافته عام ١٩٢٢، وأكملت زوجته الثانية (شقيقة زوجته الأولى ديورا)، وابنه أيهود مشروعه حتى النهاية.

تم بحمد اللـه وعونه

الصهيونية..

النظرية والتطبيق



هذا الكتاب

يحكي قصة «نضال» الحركة الصهيونية، وهي تغذ الخطى نحو تطبيق نظريتها التي وضعها «الآباء»، لتكون نبراساً ليهود العالم، يهتدون بها، في طريقهم إلى تحقيق الحلم، الذي كان ذات يوم مجرّد كلام على ورق، ليصبح الآن «دولة إسرائيل»، أو الدولة العظمى في الشرق الأوسط، كما يطلقون عليها.

في قاموس المصطلحات الصهيونية، ليس مهماً كيف تصبح النظرية حقيقة، ذلك أن الأهم هو الغاية وليس الوسيلة، ونستطيع، نحن العرب ، أن نقول ونكتب، عن اللاأخلاقية الصهيونية، والقتل والتهجير واغتصاب الأرض، وامتهان كرامة الإنسان، بيد أننا، وعندما يتعلق الأمر بالعمل، نلوذ بالاتكالية، ونعلّق فشلنا على مشجب الاستعمار.. والطليان.

لعل من حق الأجيال علينا، أن نقول لها، لقد كنا آنذاك ندير ظهورنا لما نرى، وحتى حين استفحل الخطر، تصدينا له بشكل أقرب إلى الفردية، حيث كنا قد استجبنا لنداء التفكك والفرقة.

لا نجلد الذات، لكننا نتطلع إلى حالنا، لنجده استمراراً لما كان، فقد تغيّرت أصول اللعبة، وأصبحت أشد خطراً.

«الصهيونية.. النظرية والتطبيق»، كتاب يجسّد شعار «شعب الله المختار»، القادر على تحقيق المعجزات، ربما كان بعض ما جاء فيه صحيحاً، بيد أنه لا يخلو من مبالغات، ومع ذلك فإنه ترجمة للمثل القائل «من جد وجد»، وهو وإن كان دعائياً للصهيونية، فإن فيه عبراً واستخلاصات واستنتاجات، قد تساعد في تنشيط الهمم، بحيث نتجاوز مرحلة هز الرؤوس، و«حايد عن ظهري بسيطة».

يوئيل رفيل وضع حقائق في كتابه، ربما وجدها ناجزة في معاهد الأبحاث، تتساوق مع أساليب التعمية الصهيونية، بيد أن نور البواطلة، مترجمة الكتاب، أدخلت عليه لمسات، حيثما كان ذلك ضرورياً، فغدا جديراً بالقراءة بإمعان.

دار الجليل



عمّان ـ ص .ب ٨٩٧٢ ، تلفون ٥١٥٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ ـ فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨